بسم الله الرحمن الرحيم

كليّة : الآداب

قسم : اللغة العربية

السَّهم الذَّهبيّ

في الدرس اللغوي

"علم اللغة"

الفرقة : الثالثة عام

تأليف

الدكتور / عاطف فكّار

أُستاذ النحو والصّرف والعروض

رئيس قسم اللغة العربيّة في كليّة الآداب بقنا

جامعة جنوب الوادي

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١ م

رؤية الكلية

كلية التربية بالغردقة مؤسسة رائدة محلياً ودولياً فى مجالات التعليم ،والبحث العلمى ،وخدمة المجتمع ، بما يؤهلها للمنافسة على المستوى : المحلى ، والإقليمى ، والعالمى .

رسالة الكلية

تقديم تعليم مميز في مجالات العلوم الأساسية و إنتاج بحوث علمية تطبيقية للمساهمة فى التنمية المستدامة من خلال إعداد خريجين متميزين طبقا للمعايير الأكاديمية القومية، و تطوير مهارات و قدرات الموارد البشرية، و توفير خدمات مجتمعية وبيئية تلبي طموحات مجتمع جنوب الوادي، و بناء الشراكات المجتمعية الفاعلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)

صدق الله العظيم [طه/٢٥: ٢٨]

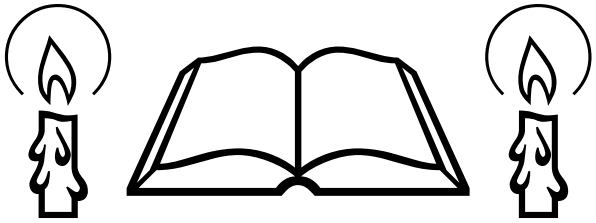

إهداء هذا الكتاب

إلى :

- **والدى الطيّب (رحمه الله).**
- **ووالدتي الصَّابرة الغالية ، التي أعطتني، ولم تأخذ منِّى .**
- **زوجتي الغالية، وزهرات عمرى أبنائي .**
- **والزملاء والزميلات .**
- **كُلِّ مُحبٍ للغتنا العربيَّة على امتداد الوطن العربي الكبير.**

.....

المقدّمة

المقدمة

الحمدُ لله حمدًا يليقُ بجلاله وعظيم سلطانه , فسبحانه الكريم المنان خلق الانسان , وعلمه البيان , وأنزل على عبده كتابه بأفصح لسان ؛ فكان للناس هدًى وتبيانًا , والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد المبعوث بلسان عربي مبين وعلى آله وصحبه أجمعين

.... أمَّا بعدُ[1] ....

ـ فقد اعتمد العرب على الملاحظة والمخالطة والتجربة باعتبارها الينبوع الأول لعلومهم ، وهم المعروفون ببداوتهم كغيرهم من الأُمم المتعدّدة التى مرّت في سيرها للحضارة بهذه البداوة التي لا تتيح دراسة منظمة ، ولا فكرًا فلسفيًّا متعمقًا ، ولا قدرة على الربط بين المعلول وعلّته ، ولا الحدث وسببه ، ومع ذلك فمن العرب من كان متميّزًا بلون من المعرفة المستمدة من الحواس والبيئة والأحداث ، فهي معرفة من نتاج طبعه، ومن خطرات فكره ، مبنيّة على تجربة ذاتيّة متوارثة ؛ لذا لم يكن للعرب علم أو ثقافة، أو معرفة ذات أُصُول وقواعد ، فطور البداوة يناقض ذلك ... حيث كان العربُ البداة جاهلين باللغة كتابة وقراءة لبداوتهم ، وذلك بخلاف العرب من أهل الحضر في الطائف ، ومكّة ، ويثرب ، والحيرة [2] ، والشام ، واليمن ، وقريش ، ومصر ، والعراق، والحبشة ؛ حيث كان التجار يضربون في الأرض إلى هذه المدن ، والتجارة في حاجة إلى كتابة وحساب، وفى هذه المدن نشأ الكتَّابُ والقُرَّاءُ، ووجدت كتابات عربيّة، ومئات الألواح والصُّور في

---

١ ـ تعرب[أمَّا] عوضًا عن أداة الشَّرط وفعله ، و [بعدُ] : ظرف متعلّق بفعل الشّرط المحذوف ، وما بعد الفاء : جواب الشّرط ، والتقدير: مهما يكن من شيءٍ بعد، فكذا . انظر: السّهم الذهبى ، د/ عاطف فكار ، كلية الآداب ، (المقدمة)

٢. كان أهل الحيرة يعلمون أبناءهم الكتابة فى الصِّغر، كما فعل حماد بن زيد بن أيوب كاتب النعمان الأكبر، ثم علم حماد ابنه زيد الذى أتقن العربيّة والفارسيّة ، وتولى كتابة البريد بالعربية لكسرى زمنًا ، وكذلك منهم عدىّ بن زيد العبادى الذى كتب فى ديوان كسرى، وكتب أهل الحيرة تاريخهم فى الجاهليّة ، وأخبار العربيّة ، والأنساب ، والأعمار ، كما دوَّنُوا الأشعارَ ، ومدائح الملك النعمان بن المنذر لأهل بيته ،وعلقوها وأثبتوها فى الخزائن بأمر من الملك ، كما كتب العرب الأحلاف، كحلف ذى المجاز ، وكتبوا الديون والعهود والمواثيق والكفالات، ووصفوا مظاهر الطبيعةِ فى العصر الجاهلى .

انظر: الحيوان ، للجاحظ ١/ ٦٨ ، والأغانى للأصفهانى ٢/١٠٠ وما بعدها ، وشرح المفضليات لابن الأنبارى ، ص٤٦٠ ، والعمدة ، لابن رشيق القيروانى ١ /٦١ ، والخصائص، لابن جنّى ٣ / ٣٩ ، والمزهر ، للسيوطى ٢ / ٣٥١ ، وطبقات الشعراء ، لابن سلام ، ص ٢٣ .

عهد دولة معين ، وسبأ ، وحِمْيَر في جنوبي الجزيرة العربيّة ، ووجدت كتابات عربيّة على قبّة قصر(غمدانَ) بجوار صنعاء، وعلى عمود مأرب (سد بين صنعاء وحضرموت وعلى ركن حصن المشقَّر(حصن بالبحرين) .

ـ **ولما أشرق نور الإسلام** كان في قريش وحدها سبعة عشر رجلا يكتبون، منهم ورقة بن نوفل الذى كان يكتب باللغتين (العربيّة والعبريّة) ، وكاتب صحيفة المقاطعة كان من قريش ، كذلك تعلّم الأوسُ والخزرجُ من جماعة من اليهود كانوا يكتبون الخط العربي .

ـ وفى غزوة بدر الكبرى افتدى بعض مشركي قريش أنفسهم بتعليم عشرة من أولاد الأنصار الكتابة ، وذكر أن النضر بن الحارث بن كلدة القرشي قد أجاد الكتابة (العربيّة ، والفارسيّة) ، ودوّن أخبار الفرس وقصصهم ..

ـ **كما أن من الصحابة** (رضوان الله عليهم) من الكتّاب من دوّنوا القرآن الكريمَ ، ومنهم من كتبَ الرسائل إلى الملوك والأمراء ، وقد عرف هؤلاء الكتابة قبل الإسلام ، أمثال : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والزبير بن العوّام ، وعامر بن فُهيرة ، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الأرقم ،وثابت بن قيس ، وخالد بن الوليد ، وزيد بن ثابت ، وأُبىّ بن كعب ، وعبد الله ابن أبى سرح ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وحنظلة الأسيدى ...كما كانت (الشفاء) ابنة عبد الله بن عبد شمس العدويّة تكتب ، ولما أسلمت قبل الهجرة وفدت على النبي (ص) بالمدينة ، وعلّمت السيدة (حفصة) الكتابة ، وكذلك السيدة أم كلثوم ، أما السيدة عائشة ، والسيدة أم سلمة (رضى الله عنهما) فقد كانتا تقرآن المصحف ، ولا تكتبان[1] .

ـ **وبعد فإنى أرى أن** القرآن الكريم ذكر مادة القراءة (سبع عشرة) مرّة ، ومادة التلاوة (ثنتين وستين) مرّة ، ومادة الكتابة بمعنى الخط (ثلاثمائة) مرّة ، والقلم (أربع) في أربع آيات ، والصحف (ثمان) مرَّات ، والدرس ومادته (ستّ) مرّات ..

ـ **فهل يُعقل أن هذا العدد** الوفير من الآيات التي تذكر القراءة، والكتابة، والتلاوة ،والقلم والسطر ، والدرس ، والصّحُف يخاطب قومًا يجهلون القراءة والكتابة جهلاً عامًّا ، سبحانه هو القائل :

---

[1] سيرة ابن هشام ٣٢٠/١

* : [اقرأ باسم ربّكَ الذى خلَق] العلق/١.

* [هآومُ اقرأوا كتابيَهْ] الحاقة /١٩.

- [اقرأ كتَّابَكَ] الإسراء /١٤
- [يتلو صُحفًا مُطهرة] البينة /٢
- [وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدلِ] البقرة / ٢٨٢.
- [كرامًا كاتبينً] الانفطار / ١١
- [ولقد كتبنا في الزبور] الأنبياء / ١٠٥.
- [ن . والقلم . وما يسطرونً] القلم / ١،٢

ـ **فليس بصحيح ما شاع قديماً وحديثاً** عن جهل العرب المسلمين بالقراءة والكتابة ؛ فللعرب دور واضح وإسهامات متنوعة في الدرس اللغوي يجب أن نبرزه لنجعله أُسًّا من أُسُس أُصُول علم اللغة الحديث ؛ لما فيه من دقّةٍ ، وشمولٍ ، ووضوح ، ، وباعتبارهم اللغة من أعرق مظاهر الحضارة الإنسانيّة ، وصانعة الرقى والتقدم ، وقوام الحياة الروحيّة ، والفكريّة، والماديّة ؛ حيث تخلق من أفراد المجتمع الإنساني أُمّةً متماسكة الأُصُول ، موحدة الفروع .

ـ **وحيث إنها ظاهرة اجتماعيّة معقدة** ، أو نظام من الرموز والإشارات الاصطلاحيّة ، تحتاج فى دراستها للاستعانة بعلومٍ أُخرى ، كعلوم (الاجتماع ، وعلم وظائف الأعضاء ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والنفس ، واللغة التطبيقى) ، وباعتبار آخر هو أنَّ هذا العلم أصيلٌ في تراثنا العربي الإسلامي ، وعليها يتوقف جانبٌ كبيرٌ من سعادته أو شقائه بما يحققه من نجاحٍ في الاتصال بغيره من البشر .

ـ **واللغة التى تدور حولها هذه الدراسة** هى اللغة التي تتمثّل في كل الكلام الإنساني ، وليست اللغة العربيّة ، أو الانجليزيّة ، أو الفرنسيّة ، أو الألمانيّة ، أو غيرها من اللغات ، وأن الأُصُول والخصائص الجوهريّة التي تجمع بين سائر اللغات في كلّ صورها هي موضوعات علم اللغة . فاللغة من حيث هى وظيفة إنسانيّة عامة دارت حولها مباحث اللغة وعلومها باعتبارها تخدم الدراسات اللغويّة عامة ، وهده الدراسات والنظريّات تتفق مع أحدث ما انتهى إليه علماء اللغة

المحدثون[1] ؛ لذا تُعدّ اللغة من أعجب المبتكرات التى أفرزها التطور البشرى ، واحتاجت إلى جهود كثير من العلماء لفكّ شفرتها ، وتفسير حقيقتها .

تناول علماء العربيّة عناصر اللغة " مستوياتها ": الصوتيّة ، والصرفيّة ، والنحويّة ، والدلاليّة[2] ، ويُعدّ الجانبُ الصوتى من أبرز هذه الأنظمة اللغويّة ؛ لما له من كبير الأثر في الأداء والنطق اللغوي السّليم ، وتعليم ، وتعلُّم اللغات الأجنبية .

. وأدرك علماءُ اللغة أهمية ودور الأصوات في تكوين البناء اللغوي ، فجعلوا لها دراسات خاصّة مستقلّة ذات مناهج وتطبيقات عمليّة مفيدة في جوانبَ متعدّدة : في التعليم ، والهندسة ، والاتصالات ، والإعلام ، والطب ، وغيرها ؛ لذلك ألقيت الضوء على هذا النوع من الدراسة فتناولت الصوت اللغوي (معناه ، وكيفية حدوثه ، وإنتاجه ، وأعضاء الجهاز النطقي ، وتقسيم الأصوات اللغويّة حسب نطقها (مخارجها) ، وحسب خصائصها ، وذلك بصورة ميسرة تهدف إلى معرفتها بسهولة حتى يتشوّق الطالب لدراستها والخوض فيها ، كلٌّ حسب إمكاناته وميولاته ، وليعرف أن العربيّة هي اللغة الوحيدة السّامية التي عرفت علم الأصوات ودراسته منذ زمن الخليل ..

ـ نعم ، لم نفِ بحاجة الباحثين ؛ لتفرع هذا العلم ، وتعدّد مناحيه مما يجعله في حاجة إلى وقت طويل ، وبحوثٍ ممتدّة ، ولكن ما ذكرته يُعدّ من أولويات ما يجب أن يعرفه وأن يهتمَّ به دارسو اللغة باعتباره البذرة الطيبة لدراسة أتم وأكمل .. لذا كان من الضروري أن يقفَ دارسو اللغة العربيّة على هذه الجهود المبذولة ، وعلى تلك النظريات والنتائج التي تمخضت عنها هذه الجهود في مجال علم اللغة ومستوياته ، وهى معروضة في هذا الكتاب عرضًا يجمع إلى الدقّة والصّحّة الوضوحَ والبيان ...

---

[1] . انظر : مقدمة فى علوم اللغة ، د / البدراوى زهران ، ص ٥ ، ط ثانية ، دار المعارف ١٩٨٦ م .

٢ . قسّم العلماء مستويات التحليل اللغوى (مجالات علم اللغة) إلى أربعة مستويات (صوتيّة ، وصرفيّة ، ونحويّة ، ودلاليّة) ، بينما يجعلها د/ السعران(رحمه الله) ثلاثة (صوتيّة ، ودلاليَّة ، والمستوى الصرفى والنحوى معًا) ويجعلها أُستاذى د/ كمال بِشر (رحمه الله) خمسة (الأصوات، والصرف، والنحو، والمعنى، والمعاجم) ... ويقسمها أُستاذى د/ محمود فهمى حجازى أربعة (صوتيّة ، وصرفيّة ، ونحويّة ، ومعجميّة)
انظر : علم اللغة (القسم الثانى) د / كمال بشر ، ص ١٠ : ١٢ ، وعلم اللغة د/ محمود السعران ، ص ٨٩ ، ١٢١ ، ١٨٣ ، وأُسُس علم اللغة العربيّة د/ محمود فهمى حجازى ، ص ٤٣.

درس الباحثون اللغة قديمًا باعتبارها أهم المميزات التى يمتاز بها الإنسان عن غيره من سائر المخلوقات ، واستخدموا فيها مناهج وطرقًا متعدّدة بأفكار وأساليب متنوعة .واهتموا بوضع القوانين وتنوع المناهج البحثيّة ، ومنها : المنهج التاريخى، والوصفى ، والمقارن ، والمعيارى ، والتقابلى .حسب نوع البحث وأهدافه طبقًا لرغبات الباحث المتخصِّص في اللغة أو في الأدب .

الفصل الأول

دراسة تمهيديّة

القرآن الكريم واللغة العربيّة

القرآن الكريم واللغة العربيّة

ـ القرآن مفجّر علوم اللغة في التراث[1] ، حيث يبذلُ الدارسُون طاقاتهم حول الكتب المقدّسة ، حيث تستخرج مكنونات العقول ، وتتعدّد المباحث ، وتنفجرُ العلوم وتتنوّع ..فقد كان كِتَاب (الفيدا) المقدّس عند الهنود سببًا في سبقهم في الدراسات اللغويّة بصفةٍ عامة ، فصنّفُوا في الدراسات الصوتيّة مباحث جليلة ، وخلّفوا نحوًا بالغَ الدقّة ، ومن أبرز النحاة الوصفيين القدماء في الهند هو العالم (بانينى) .

ـ ويعدّ صاحب الفضل فى نشأة " الدراسات اللغويّة " في التراث الإسلامي ؛ لأنه نصٌّ لُغويّ تتطلب العناية به الخوض في هذه الدراسات ، وذلك يدل على خوف علماء المسلمين من أن يُصيب القرآن لحنٌ ، أو تحريفُ أصحابِ الألسنة بعد الفتوحات الإسلاميّة ، واختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم ؛ لذلك حافظ علماء المسلمين على القرآن ، وتوزّعت جهودهم حوله ، فاتجهت طائفة منهم لتصحيح متنه[2] ، وبرعوا في ذلك فنشأ بفضل هؤلاء العلماء علم العربيّة ، وكان أول من وضعه (أبو الأسود الدؤلي ت ٦٩ هـ) ، وهو أول من ضبط المصحف بالشكل .

ـ ومن علماء المسلمين الذين عنوا بدراسة القرآن : نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وزر بن حبيش ، وعثمان بن عفّان ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعاصم بن أبى النجود ، وسليمان الأعمش، وعمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدى، وعمرو بن دينار، والزهري ، ويونُس بن حبيب ، والكسائي ... وهم علماء في القراءة ، واللغة ، والنحو .. **ومن ملاحظاتهم للقراءة والنقط** والربط بينهما اهتدوا إلى حركات الإعراب، وأتقنوا ترتيل القرآن، ومخارج حروفه فأنشأوا بذلك ما عرف بعلوم القرآن ، وقد زادت على خمسين نوعًا[3]، واهتدوا وهم بصدد ترتيل القرآن والاعتناء به للخوض فى دراسات ومباحث لُغويّة تطورت فيما بعد وصارت علومًا .

وكلُّها تخدم ميادين البحث اللغوى، وعرفت هذه العلوم باسم علوم العربيّة ، وعرف فيما بعد

---

[1] ـ راجع : مدخل إلى علم اللغة د/ البدراوى زهران (رحمه الله) ، ص ٢٥ وما بعدها ، والعربيّة لغة العلوم والتقنية ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص ٥٩ : ٦٣ ، ط ثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م ، دار الاعتصام

٢ ـ من يتدبر القراءات القرآنيّة يجد أن المغايرة قد تكون إما تغيير فى الحركات أو فى الأبنية ، والصيغ ، أو فى الأصوات ، أو فى الألفاظ ، وكلها من مباحث الدراسات اللغويّة .... انظر : مقدمة فى علم اللغة ، د / البدراوى زهران ، ص ١٦ .

[3] ـ ذكرها الإمام السيوطى فى كتابه " الإتقان فى علوم القرآن " ، ومن هذه العلوم : مواطن النزول ، وقائعه ، أوقاته ، الابتداء ، الوقف ، الإمالة ، المدّ ، الإدغام ، الغريب ، المشترك اللفظى ، المترادف ، الاستعارة ، التشبيه ، دراسة المعجم ، الاشتقاق ، أحكام القرآن ، الفصل والوصل ، الإيجاز ، والإطناب ، والقصر ، وعلم التراكيب..... انظر: الإتقان ، للسيوطى ، ط ١٩٧٣ م ، المكتبة الثقافيّة ، بيروت .

بعلم النّحو، ويتضمن في مفهومه الدراسات الصرفيّة والصّوتيّة، وكان عملُ" أبى الأسود الدؤلي " وغيره من النّحاة في بادئ الأمر أن يعربوا المصحف ، أى : يضبطون أواخر كلماته بالنقط ، ويرسلون المصاحف في الناس يهتدون في القراءة بها ، وتكون لهم إمامًا ، وما إن اهتدوا إلى قواعد الإعراب حتى كانوا قد أحاطوا بها ودونوها، وجمعها "سيبويه" في كتابه الذى لم يزل من بعده إمام النحاة[1].

- **اللغة العربيّة قادرة** على التعبير عن مختلف الأفكار وشتى الموضوعات ، والتعبير العلمى في مجال العلوم ، ونقل المصطلحات العلميّة الدقيقة ، كما أنها قادرة على ملاحقة جميع مجالات التقدم العلمي؛ لذا فهي لغة حضاريّة علميّة .
- **ارتبطت حياة الأُمّة الإسلاميّة** عبر تاريخها الطويل بالقرآن الكريم التى امتدّت آثاره المضيئة إلى معظم بقاع الأرض ، وكان تأثيره في اللغة العربيّة كبيرًا وشاملاً .

١ ـ أثر القرآن فى نظام اللغة العربيّة ، وأبنيتها ،كالنظام الصوتى ، والصرفي ، والنحوي ، ونظام المعاني .

- **ففى النظام الصوتى** : حافظ القرآن على الخصائص اللغويّة للأصوات العربيّة ، وحفظها من انقراض بعض أُصواتها نتيجة انتقال اللغة عن طريق التلقي بالمشافهة؛ حيث حرص المسلمون على عدم التهاون ، أو التفريط في أي تحريفٍ ، أو تغييرٍ في نطق أي صوت من أصوات اللغة ، أو طريقة الأداء للنص القرآني ، وتعدّ اللغة العربيّة السّامية هي اللغة الوحيدة التي توجد فيها أصوات الحلق ، وأصوات الإطباق كاملة بغير نقصان .
- **وفى النظام الصرفى** : حافظ القرآن الكريمُ على أبنية الكلمات العربيّة ، والأوزان الصرفيّة لها
- **وفى النظام النحوى** : أضاف القرآن تراكيبَ جديدةً لتوضيح مفاهيم الدين الجديد ، والتعبير عن أفكاره ؛ حيث حافظ على نظام الإعراب .
- **وفى نظامِ المعانى** :
- اتضح أثره في تهذيب وتنقيح اللغة ، وساهم في الارتقاء بها من كافة جوانبها : (الأغراض ، والمعاني ، والأخيلة ، والأساليب ، والألفاظ) .

---

[1] انظر: : إحياء النحو ، للأُستاذ إبراهيم مصطفى ، ص ٩ : ١١.

- **وفى الأغراض** :

عالج القرآن أموراً لم تكن العربيّة تعنى بها من قبل ، كمسائل القوانين، والتشريع، والقصص ، والعقائد ، والإصلاح الاجتماعى ، وأمور في السباسة ، والقضاء ، والعبادات ، والمعاملات ، ودراسة الظواهر الطبيعية ، والفلك ، والحيوان، والنبات ، بالإضافة إلى أغراض أُخرى ظهرت بسبب انتشار الإسلام ، ومظاهر الحضارة ، وتقدم العلوم والفنون فأدّى ذلك إلى اتّساع الأغراض وارتقائها من ناحية المعاني ، والأخيلة ، والأساليب .

- **أثر القرآن فى المفردات** :

ـ نلحظ تميز مفردات العربيّة بفصاحتها ؛ حيث جعل علماء البلاغة العربيّة شروطًا لفصاحتها من أهمها : أن تخلو من التنافر بين حروفها .

ـ كما نلحظُ دخول ألفاظٍ أجنبيّة إلى اللغة العربيّة ، وقد ألفتها العرب ، وصارت كأنها من أصل عربىّ ، مثل :(المرجان، والفردوس): معرَّبان عن اليونانية، و(سندس، وأباريق): معرّبان عن الروميّة ، ولفظ (بلع) فى قوله تعالى : (وقيل يا أرضُ ابلعى ماءك) : معرّب عن الحبشيّة ، وأصله من الهنديّة[1] .

ـ كما نلحظ إثراء القرآن الكريم للثروة اللفظيّة للغة العربيّة بالكثير من المفردات ، بخلاف المفردات المستعملة ، أو الشائعة من قبل .

- **أضاف القرآن لألفاظ العربيّة فوق معانيها القديمة معان خاصة جديدة تتصل بالعبادات ، والشعائر ، وشئون الإدارة ، والحرب ، وأُمور السياسة ، والمصطلحات العلميّة ، والفنيّة ، والأدبيّة ومن تلك الألفاظ :(الصلاة، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والإمام ، وأمير المؤمنين ، والقاضى والوالي ، والخليفة ، والشرطة ، والوظيفة ، والقطائع ، والشاتية ، والصائفة ، والمتطوعة ، والثغور ، والعمارة ، وديوان الجند ، وديوان الرسائل ، والخاتم ، والسكّة ، والنعت ، والتوكيد والتعزيز ، والحد ، والجوهر ، وغيرها من المفردات في مختلف الفنون)[2].**

- **كما قضى الإسلام على كثير من الألفاظ العربية الجاهليّة التي تدلّ على نُظُم حرّمها الإسلام ،**

---

[1] ـ للمزيد من هذه الألفاظ ـ انظر فى القراءات القرآنيّة فى ضوء علم اللغة الحديث ، د/ عبد الصبور شاهين

[2] ـ انظر : فقه اللغة ، د/ محمد إبراهيم نجا ، ص ٩٢ وما بعدها .

كأسماء الأنصبة التي كانت لرئيس الحرب قديمًا (كالمرباع ، والصفايا ، والفضُول ، وكألفاظ الإتاوة ، والمكس ، والحلْوان ..

- **كما قضى الإسلام على** أسماء أيام وأشهر كان لها اتصال بشئون وثنيّة، أو نظم جاهليّة لدى العرب ، واستبدل الإسلام بدلها الأسماء الحالية .

ـ أثر القرآن فى تثبيت دعائم الوحدة اللغوية :

- المقصود من ذلك هو اجتماع الأُمّة العربيّة على صورة موحدة للغة (اللغة العربية المشتركة ؛ لتتفاهم بها قبائل وعشائر العرب ، حيث نزل القرآن بها ، وفهمه العرب ، وأدركوا إعجازه ،

وعمل القرآن على تدعيم هذه الوحدة عن طريق :

أ ـ تقوية سلطان لغة قريش ؛ إذ نزل القرآن الكريم ، وجاء الحديث النبوي الشريف بهذه اللغة وهما دعامة الدين الإسلامي المعتنق من معظم قبائل العرب، كما أدّى انحصار الخلافة الإسلاميّة ، ومعظم مقاليد الأُمُور في يد قريش زمنًا طويلا ـ إلى تثبيت دعائم اللغة ..

ب ـ المحافظة على النصّ القرآني من الفساد ، أو اللحن ، أو التحريف ساعد ذلك في تثبيت دعائم الوحدة .

ج ـ باعد القرآن بين تحويل اللهجات العربيّة مع الزمن إلى لغات مختلفة[1]فحافظ على الوحدة اللغويّة .

د ـ استمرار التعبّد بالقرآن الكريم ، وتلاوته ، ومدارسته ، والالتفاف حول مائدته ، والتفقه فى علومه ؛ ممّا زاد من رسوخ وثبات الوحدة اللغويّة .

ـ فالقرآن أدّى إلى تثبيت الوحدة اللغوية ، وجمع أبناء العربيّة على لغةٍ واحدةٍ يستعملونها فى تلاوتهم للقرآن الكريم ، وتفسيره ، وتدارسه ، ويستعملونه فى صلواتهم وقضائهم وأحاديثهم

ـ أثر القرآن فى تحقيق العالميّة للغة العربيّة

أ ـ انطلقت العربيّة متحركةً إلى كلّ مكان تحرّك فيه القرآن الكريم ، وقضت على معظم اللغات التى سادت فى معظم هذه البلاد آنذاك .

ب ـ ضمن القرآن استمرارية هذه اللغة وبقاءها ، فالله تعالى حفظ كتابه ، وضمن استمراره

---

[1] ـ كما تحولت لهجات اللغة السّاميّة الأولى إلى لغات ، كالأكاديّة ، والآراميّة ، والعربيّة ، والحبشيّة ، وكذلك تحول لهجات اللاتينية للأُوروبية .

وبقاءه ، فلابدّ أن نستمرّ اللغة العربيّة التى نزل بها كتاب الله ، وأن تبقى ، وهو تشريف لم تحظ به أيّة لغة غير العربية ، وفى هذا تحقيق شريف لعاميّة اللغة العربيّة .. .

ج ـ صارت اللغة العربيّة وعاءً للقرآن الكريم ، وللسنّة النبويّة المطهرة ، ولتعاليم الرسول الكريم وأصحابه ، فحصنها ذلك من الانهيار أمام الحضارات الأجنبيّة ، أو ما يُعرف بـ (المعجم) .

ـ أثر القرآن فى نشأة علوم العربيّة :

ـ أدى ارتباط اللغة العربيّة بالقرآن إلى الحرص على القرآن من التحريف وعلى لغته من تسرّب اللحن إلى نطقه وقراءته ، ومحاولة تفسيره ، وفهمه ، وبيان أوجه إعجازه ممّا أدّى إلى نشأة الكثير من العلوم العربيّة الإسلاميّة .

ـ واتّجه كل علم بدراسة جهة من الجهات الكثيرة فى كتابنا العظيم (القرآن الكريم) كعلم التفسير ، وعلم الفقه ، وعلم الأُصُول ـ كلها لفهم النصّ القرآني ، واستنباط أحكامه

ـ كذلك اتّجه فريقٌ من العلماء لدراسة اللغة ؛ لأنها السبيل إلى فهم القرآن وتفسيره ، ومعرفة أحكامه وأُصُوله ، أى أن الباعث لدراسة اللغة هو باعثٌ دينىٌّ ، وعلى مدى التاريخ الإسلامي نجد أن عالم اللغة ـ غالبًا ـ ما يكون عالمَ دين ؛ لذا خلَّفتِ الحركة العلميّة فى القرون الإسلاميّة الأولى **ـ خلّفت ـ تراثًا واسعًا بفضل جهود علماء المسلمين الممثلة فى** :

أ ـ جمع وتدوين اللغة من أهل اللغة الأُصلاء أنفسهم (فصحاء الأعراب القادمين من البادية) ، وتسجيلهم للغة سماعًا ومشافهةً فى مجموعة من الرسائل أو الكتيبات متناولين مظاهر الحياة العربيّة، كما فعل أبو عمرو بن العلاء ،والخليل بن أحمد الفراهيدي والكسائي ، ثم أبو زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبو عبيدة ، وغيرهم .

ب ـ تأليف المعاجم اللغويّة : سابقين بهذه الصناعة أكثر الأُمم ، وذلك بشهادة المنصفين من علماء الغرب ، ومن أوائل هذه الكتب : (العين للخليل ، والجيم : لأبى عمرو الشيبانى)[1] .

ج ـ علم النحو ، وكتاب سيبويه ، والتصريف للمازنى ، والمقتضب للمبرد ، ومعانى القرآن

---

[1] ـ العين ؛ لأنه بدأ بحرف العين ، والجيم : الديباج ؛ إظهارًا لحسنه .

لأبى زكريا الفرّاء ت ٢٠٧ هـ) ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى(ت ٢١٠ هـ) وكتُب ثقافيّة لغويّة عامة ، كأدب الكاتب ، لابن قتيبة ، والكامل فى اللغة والأدب، للمبرد ، وفصيح ثعلب ، ومجالس ثعلب ، وكتب اللحن فيما تلحن فيه العامة ، لعلى بن حمزة الكسائي ، وإصلاح المنطق ، لابن السكيت[1] .

- **وبعد فهذه قبسات من علوم اللغة العربيّة نخلص منها إلى** :

. أنه لولا نزول القرآن الكريم بهذه اللغة لماتت تلك اللغة ، واندثرت كما اندثرت لغات سامية أُخرى ، وذلك لأن العرب فى الجاهليّة لم يكونوا أهل حضارة ومدنيّة ، ولم يكونوا من ذوى القوة ، والسّلطان، والتطلّعات التوسعيّة، ولم يكونوا أصحاب دين سماوي مقدّس وكلّها عناصر إذا افتقدتها أيَّةُ لغة ، فلا محالة إلى زوال، أو تشعُّب وانقسام .

.....

١ . يعالج فيها الخطأ فى الحركات أو أصوات العلة ، ، أو فى الأصوات الصحيحة ، أو فى المعنى . ...
انظر : دراسات فى اللغة العربيّة ، د . فتحى محمد جمعة ، ص ١٣٢ : ١٥٧ .

الفصل الثانى

(مفاهيم ، ومصطلحات)

[اللغة ، والمنهج ، والبحث]

مفاهيم ومصطلحات

تقتضي الضرورة أن نجد أو نعرف معاني المصطلحات الأربعة التي نحن بصددها..

مفهوم مصطلح [اللغة] لغة واصطلاحاً

ـ كلمة (لغة) عربيّة أصيلة ، أم مُعرّبة ؟[1].

ذكر أهلُ اللغة، وأصحابُ المُعجمات أنَّ كلمةَ [لُغة] عربيَّة أصيلة مُشتقَّة منَ الفعل [لَغِى/ يلغَى/ لُغوَة] بكسر العين فى الماضي ، وفتحها فى المضارع ، أي : لَهَجَ ، والجمع : لُغات، ولغون ، كقولهم : كرات ، وكُرون . واللغو : يعنى النطق ، واللغا : يعنى : الصوت .

- **وعلى هذا فإن كلمة اللغة واشتقاقاتها تدور حول معنى الأصوات الإنسانيّة ، وعليه فإن (علم اللغة) ، أو (فقه اللغة) يعنى : فهم الأصوات، وإدراك خصائصها ، وهو العلم الذى يتناول مفردات اللغة ، وتراكيبها ، وخصائصها ، والأطوار التى مرت به[2].**
- **وقيل (لغة) : مشتقَّة منَ الفعل:[لغا/ يلغُو/ لغوًا] ، أىْ : تكلَّمَ ، والأصلُ : لُغْوَة : بضمّ ، فسكُون، على وزن: فُعْلَة، ثُمَّ حذف لام الكلمة، وعوض عنه بالتَّاء المربُوطة، فصَارتْ : لُغَة**

وقيل : لُغة مُعرَّبة منَ الكلمة الإغريقيَّة[logs] ... وعرَّبها العرب إلى [لوغوس] ، بمعنى : الكلام واللُّغة ؛ وذلك لوجود تشَابه كبير بين الكلمة العربيَّة [لوغوس] ، والكلمة الأغريقيَّة [logs]..

جاء التعبير القرآني بلفظ [لِسَان] ثمان مرَّات ، ولَمْ تأتِ لفظة [لُغَة] فى القرآن الكريم ولو مرَّةً واحدةً كما فى قوله تعالى:" وما أرسلنا منْ رسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قومِه "إبراهيم/٤..وقوله تعالى: "بلسَانٍ عربي مُبينٍ"

وذلك لما يأتى :

أ ـ وجود تشابه كبير بين الكلمة العربيّة والكلمة الأعريقيّة .

ب ـ تعبير القرآ بلفظ (لسان) نحو ثمانى مرات ، وليس بلفظ لغة ، كما فى قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) إبراهيم ٤ ، أى : بلغة قومه[3] ، ومنه قوله تعالى :

---

[1] . انظر : دراسات فى فقه اللة ، د/ ميمى الصالح ، ص ٢١ ،٢٢ ، ط١٩٨٩ م ، دار العلم ، بيروت.

[2] . الخصائص ، لابن جنّى ٣٣/١ ، وأساس البلاغة ، للزمخشرى ، مادة (ل.غ .و) ، والمصباح المنير ، وتاج العروس مادة (ل . غ . و).

[3] يفرق العالم اللغوى (دوسوسير) بين مصطلحى (اللسان ، والكلام ، بقوله اللسان مجموعة من الصّور اللفظيّة المختزنة في الذهن الجماعى ، ، وأنها ذات قيم موحدة عند جميع الأفراد، على حين أن الكلام أمر فردى يكون المادة التى يبنى منها اللسان ، وذلك ينوع من الاتفاق الجماعى ، بمعنى : أن اللسان أداة للتفاهم الجمعى .. والكلام نشاط فردى لغوى يعالج الحياة الواقعيّة

(بلسانٍ عربيٍّ مبين) على حين أن لفظ اللغة لم يرد فى القرآن الكريم ولو مرة واحدة ؛ ممّا يرجح سبق اللسان للغة فى الاستعمال العربى القديم .

ج ـ عدم ورودها فى الشِّعر الجاهلي ، أو فى الأدب العربي المنثور قبل عصر الترجمة من الأغريقيّة .

ـ أي : أن كلمة (لغة) لم ترد مستعملة فى كلام عربي يعتد به ، ولم يستعملها العرب الخلص فى كلامهم ، وإنما كانوا كغيرهم من الأُمم السّامية ، بل كأكثر أمم الأرض يستعملون كلمة (لسان) للدلالة على اللغة .

اللغة عند علماء اللُّغة ، والاجتماَع ، والنفس ، والمنطق ، والفلسفة :

لم يقتصر الاهتمام باللغة على علمائها ، بل إن هناك علماء غيرهم ـ كثيرين ـ اهتموا باللغة لاتصالها بقضاياهم العلميّة ، ومنهم علماء الطبيعة ، والتشريح ، والرياضة ، والتاريخ ، وعلم النفس، والمنطق، والفلسفة، والاجتماع ، وغيرهم قديمًا وحديثًا ، ومن ثمّ فقد خصّها الباحثون والدارسون ، بالاهتمام والدراسة ؛ لذا فسنعرض لمفهومها ، وبيان حقيقتها .

عرّفها " ابنُ جنّى (ت ٣٩٢ هـ) " بأنها " أصوات يعبِّر بها كلُّ قومٍ عنْ أغراضِهِمْ [١]"، ويشمل هذا التعريف مادة اللغة (طبيعتها) فهى رموز صوتيّة أحلها الإنسان بموهبته الخلاّقة محل الخواطر والأفكار ، وذلك لأن الرمزيّة هى العمل الأساسى فى الفكر الإنسانى ، كما يشمل عرفيّة اللفظ ، ويشمل اجتماعية اللغة ، حيث تنشأ اللغة بالمجتمع وتحيا به ، كالنبات يحي ويثمر تبعًا للتربة ، ويشمل وظيفة اللغة فى أنها أداة للتعبير عن أغراض أفراد المجتمع والجماعة ، وقد نقل السيوطي ، وابن منظور ، والشريف الرضى ، وابن خلدون هذا التعريف ، وهذا التعريف يتفق مع الدرس اللغوي الحديث الذى رأى أن اللغة أصوات ، وحددتها دائرة المعارف البريطانيّة والأمريكيّة بأنها " نظام من الرموز الصوتيّة ، أي أنها هيئة ، أو شكل ، أو تركيبة

للفرد ، وهو وحده الذى يعبر عن الواقعية والعاطفية ، أما اللسانُ فليس سوى إمكانات تعبيريّة ، وقد عارضه في ذلك تلميذه (شارل بالى) الذى يرى أن أُستاذه قد تغالى في اعتبار اللسان أمرًا ذهنيًّ ناتجًا عن العقل الجمعى ، ويقول أُستاذى د/ عبد الصبور شاهين (رحمه الله) :"وعلى أى حال فليس من المقبول أن نفصل فصلا صارمًا بين اللسان والكلام ، كما أنه ليس من صواب المنهج أن ندمجهما إدماجًا تامًا ؛ فإن دراسة الكلام تقيد اللسان ، كما أن دراسة اللسان تقيد الكلام ، وخير لى أن أتناولهما بمنهج متكامل يبرز لأعيننا الحقيقة اللغويّة كما ينبغى تناولها .

ـ انظر: علم اللغة ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص١ ، ط٥ ، ١٤٠٨ م / ١٩٨٨ م ، مؤسّسة الرسالة .

١ ـ الخصائص ، لابن جنى ٣٣/١ ، تحقيق الشيخ / محمد على النجّار ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت .

خاصّة تتفق عليها الجماعة اللغوية المعيّنة .

فاللُّغةُ : أداةٌ للتعبير عنِ الأغراض والأفكار العقليَّة، والعواطف، والمعاني النفسيَّة ، والرغبات ، والمطالب الحيويَّة ، والاحتياجات الإنسانيَّة فهي وسيلة التفاهم المُعبِّرة عنْ أفكاره واحتياجاته "والأغراض هي المعاني والدلالات التي يتناقلها الناس ويعبرون عنها بالأصوات والألفاظ ، فهي وسيله التعبير عن الأغراض الكلامية " ولما كانت اللغة تتكون من دلالات وألفاظ حظيت بجانب كبير من عناية العلماء، فنجدهم درسوا هذه الألفاظ ودلالتها ، فدرسوا الكلمة منفردة وموقعها في الجملة ومعناها عند تقدمها أو تأخرها.

- **ويعرفها الدكتور / إبراهيم أنيس** [1]بأنها نظام عرفي لرموز صوتيّة (الأصوات) يستعملها الناس فى الاتصال بعضهم ببعض "، وعرفها " دوسوسير " السويسرى بأنها حصيلة اجتماعيّة لملكة الكلام ومجموعة من الأعراف الى أقرّها المجتمع .، وبأنها " دراسة اللغة فى ذاتها ، ومن أجل ذاتها أى دراسة اللغة التى يتحدث بها الناس بالفعل دون تغيير من طبيعتها ونظمها . دراسة موضوعيّة للكشف والوصُول إلى حقيقتها دون تصحيح أو تعديل أو تقويم ؛ لأنها ليست من مهام الباحث "

وعرّفها " سابير " الأمريكى بأنها " وسيلة إنسانيّة خالصة لتوصيل الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى تصدر بطريقة إرادية[2] .

- **وعرّفها (هنرى سويت " الانجليزى** بأنها التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلاميّة المؤتلفة فى كلمات

- **وعرّفها العالم الفرنسى " أنريه مارتينيه** " بأنها " أداة اتصال يحلل بها الإنسان، ويبرز تجاربه فى وحدات كلاميّة ذات مظهر صوتى ، ومحتوى دلالى .

- **وعرفها المحدثُون بأنها** " رموز ، أو علامات صوتيّة اصطلاحيّة ، تستعملها الجماعات الإنسانيّة فى التعبير عن المعانى وغيرها من شئون الحياة "[3].

---

[1] . انظر : اللغة بين القومية والعالميّة ، د/ إبراهيم أنيس ، ص ١١ ، دار المعارف بمصر ، ط ١٩٧٠ م

[2] . انظر: اللغة بين الفرد والمجتمع ، د/ محمود السعران ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، ص ٦٠ وما بعدها ، ومن أُسُس علم اللغة ، د/ محمد يوسُف حبلص ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ط ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٣ انظر : دراسات فى اللغة العربيّة ، د/ فتحى محمد جمعة ، ص ٣ ، ط ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

ـ وقيل : إن اللغة وعاء للأفكار العقليّة، أو المعاني النفسيّة، ووسيلة للتعبير عن مطالب الإنسان الحيويّة .

ـ لذا نعتبر تعريف ابن جنّى تعريفًا دقيقًا وافيًا مشتملاً على حقائق شتى ، منها : أن اللغة أصوات ، إنسانيّة ، إراديّة ، وظاهرة اجتماعيّة ذات وظيفة اجتماعيّة ؛ لأنها تنمو فى أحضان المجتمع ، ويعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم الماديّة والمعنويّة ، كل ذلك جعل ابن جنّى فى مقدمة العلماء الباحثين عن اللغة وقضاياها المختلفة .

ـ وأن هذا التعريف يتفق مع تعريفات المحدثين للغة ، حيث إنهم عرَّفُوا اللغة تعريفًا قريبًا من تعريف ابن جنى ..ولقد أحسّ الدارسون للحضارات بأهمية اللغة لفهم الثقافة، وذلك لأن أى نظام لغوى تعبير عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها ولنفسها ، وإذا لم يكن هذا التعبير كاملاً ، ومن ثمَّ فلا يستطيع أن يفهم حضارةً ما حقَّ الفهمِ من يجهل وسيلتها اللغوية فى التعبير .

ـ اللغة وعلماء الفلسفة والمنطق :

ـ يرى الفلاسفة والمناطقة ، وعلى رأسهم "جفونز" أن اللغة وسيلة لتوصيل الأفكار، والعواطف ، والرغبات ، وأنها مساعد آلى للتفكير ، وأنها أداة للتسجيل والرجوع ، وأراد بذلك لغة الكتابة لأن الشخص يكتب ، ويسجل أفكاره، وآراءهُ ،ثم يرجع إلى ما سجل وقت الحاجة إليه.

ـ وفى فهم ذلك صعوبة؛ فاللغة ليست مستودعًا للفكر المنعكس، أو وسيلة لتجسيم الفكر؛ فاللغة وسيلة للتفاهم بين أفراد المجتمع ، وتوصيل الأفكار ، وحلقة فى سلسلة النشاط الإنساني المنتظم ، أى أن اللغة جزء من السلوك الإنساني ، كما أن استعمال اللغة قد يكون للتسلية ، أو الترفيه، أو النظر فى أُمور تخصُّهم فى إدارة أعمالهم ، وشئونهم ، وهذه الأشياء لا تدخل ضمن تعريفهم ؛ فاللغة لا تستعمل للتعبير عن الأفكار بقدر ما هي وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي ، كقولك للشخص :" كل عام وأنتم بخير " ، و" كيف حالك " ؟ ، فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين وإنشاء علاقة اجتماعيّة بينها .

اللغة هي ظاهرة عقلية عضوية نفسية اجتماعية تميزه عن غيره من الكائنات الحية ، وتتألف بنية هذه الظاهرة من أصوات تنظم في كلمات تكون الجمل لتؤدي الدلالات المختلفة .

واللُّغةُ : وعاء التجارُب الشَّعبيَّة ، والعَادات والتقاليد، والعقائد التى تتوارثها الأجيَال، وهى سجل تاريخ الشعب، ترتقى برقيّه، وتنحطُّ بانحطاطه ؛لأنها ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ تنمو فى أحضان المُجتمع وتربط بين أفراده ، وتجعل منه وحدةً مُتماسكةً فى عاداته ، ومعاملاته .

والواقع أنه لا توجد لُغة بدُون وجُود مُجتمع ، ولا توجد لُغة مُنفصلة عنْ جماعة إنسَانيَّة تستخدمها وتتعامل بها فى علاقاتها وعاداتها فهي حدّ فاصل بين[شعب وشعب]،و[أُمَّة،وأُمَّة] ، و[حضارة وحضَارة] ؛ فهي ظاهرة اجتماعيَّة مكتسبة تنمُو وتتطوَّر معَ المُجتمع ، وتؤثِّر فيه قوَّةً ، وضعفًا

بقدر ما هى وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي ، كقولك لشخص : [كلّ عام " وأنتم بخير] ، وكيْفَ حالُكَ ؟

. فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين وإنشَاء علاقة اجتماعيَّة بينها..

وعرفها علماء الاجتماع بأنها " نظام من رموز عرفيّة ، يتعامل عن طريقها أعضاء المجموعة الاجتماعيّة المعينة، وهى الأداة الرابطة بين أفراد المجتمع، ووسيلة التفاهم المعبرة عن أفكاره واحتياجاته ، وتجعل منه وحدة متماسكة ، وهى وعاء التجارب الشعبيّة ، والعادات ، والتقاليد والعقائد التى تتوارثها الأجيال واحدًا بعد الآخر .

اللُّغة ظاهرة: إنسانية اجتماعية، مكتسبة منَ المحيطين بالإنسان ،وعرفيَّة تعارفتْ عليها الجماعة اللُّغويَّة، واللغة رُمُوز تستخدم فى الاتِّصال ، ونقل الأفكار ، كالصفير، والحركات ، وصوت مدفع الإفطار ، وأجراس الكنائس، وصوت القطارات والسيَّارات، وإشَارات المرُور، والألوان البيضاء : للفرح ، والسوداء للحزن ، واللغة مُتغيِّرة لعوامل جغرافيَّة ، وجنسيَّة ، ونفسيَّة، وتغير ثقافي ، وتطور لُغويّ ، **كقولك** :

[ذئب/ ديب ، ذيل/ ديل ، ثلاثة/ تلاتة، الذى/ اللى ميكتبش، ولد/ ود ، هيكتب، الهواء/ الهوا]

واللغة المنطوقة أسبقُ منَ المكتُوبة لحاجة البدائي لها ، وينظر إليها عن طريق الفم والأُذُن ، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضَارة ، وبالقلم .

والإنسان بطبعه مدنىّ، محتاج للغة؛ لأنَّ من طبيعته البحث والاستطلاع، ووصف حقائق الموجُودات ووضع القوانين ، وتشخيص الظواهر ، وألفته بالآخرين واجتماعه بهم ، وتصارعه معهم باعتبار الإنسَان أرقى الكائنات المخلُوقة بما ميَّزهُ اللهُ من نعمة العقل .

وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرضٍ مَا ، واسعة أو ضيّقة ، ثمَّ انتشارها وامتدادها ؛ حيثُ ينتشرُون جغرافيًّا، كما أنَّ الإنسَان بطبعه الاعتزاز بلغته يتعصَّبُ تعصُّبًا قوميًّا لها ، كنقل

الأُمويين دواوينهم إلى العربيَّة، وتطهير الألمان للغتهم منَ الألفاظ الفرنسيَّة الدخيلة، وإبعاد تركيا الألفاظَ العربيَّة عن لغتها ، ومحافظة بولندا على لغتها فى الأُمُور الرسميَّة .

ولمْ يكن انتشار اللغة، أو كثرة استعمالها فى المحافل الدوليَّة دليلاً على رُقيِّها، بلْ تنتشر اللغة نتيجة للغزو والفتُوحات ، وسيطرة المُستعمِر على هذه البلدان فتتأثَّر الشُّعُوب المستعمرَة بلغةِ المُستعمِر[كالفتح العربي لبلاد فارس ، ومُصَارعة اللغة الفارسيَّة] ، و[فتح بلاد الشَّام ، ومُصَارعة اللغة الرُّوميَّة] ،و[فتح مصرَ ، ومُصَارعة اللغة القبطيَّة] ، واقتصار اللغة الأصليَّة على أداءِ المراسم والعبادات فى الكنائس ، والأديرة .

واللغة أيضاً وسيلة لنقل الأفكار،ووسيلة للهو والتسلية،والبهجة والمتعة والتعبير عنِ الحزن والسُّرُور والانفعالات ،كمَا فى شرح المدرس للدرس، أو مرافعة المحامي لموكِّلِه، كمَا أنها وسيلة للترابط الدولي والقومي ، كجامعة الدول العربيَّة، واتِّحاد الدول الناطقة بالفرنسيَّة، ودول الكومنولث ".. ـ **واللغة من خصائص الإنسان** وحده دون سائر المخلوقات ، رغم ما أكدته البحوث العلميّة الحديثة من وجود تفاهم بين الحيوانات ، والحشرات ، والطيور ، كما ورد فى القرآن الكريم على لسان النملة والهدهد، إلا أن اللغة الإنسانيّ تتميز عن ذلك بأنها نظام يمنحه العقل لجهاز النطق الإنسانى متمثلاً فى أعضائه : (الحنجرة ، واللسان ، وفراغ الفم ، و..)، وهى أعضاء محدودة الحجم والأوضاع تنتج مجموعة محدودة من الأصوات .

ـ **نعم** ،كان للحيوان الأعجم إشارات ورموز استخدمها كوسائل للتفاهم بين جماعاتها، وكان للطيور مثلها ، ولكن الإنسان هو أرقى هذه الكائنات حيث كان ... بما ميزه الله تعالى من نعمة العقل ، فقد أصدر الأصوات السّاذجة ، ثم ارتقت وأخذت صورًا وأشكالاً تبعًا للظروف البيئيّة ، والتفكير الإنسانى حتى استقرت فى هذا الوضع .

ـ واللغة كالكائن الحى مرت بمراحل متعدّدة ، ينبغي أن نسلم بتطور اللغات ونموّها ، كما ينبغي أن نسلم بأن كثيرًا من اللغات قد ماتت تحت وطأة أقدام الزمن المندفع إلى الأمام بلا توقف ..

ـ وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرض ما ، فيكون نموها متوقفًا على مدى سعة ، أو ضيق هذه الأرض ، وعلى قوّة ونفوذ وقدرات هؤلاء البشر على الانتشار[1] .

---

[1] وأقصد بالأرض ـ هنا ـ البيئة ، وهى الدائرة الجغرافيّة والبشريّة التى تدور فيها لغة من اللغات ، وتعيش فى محيطها ، وتتأثّر بها أيّة لغة ، ولا ينقض أن هذه اللغات لها أرض أولى زحفت منها إلى آفاق العالمين ، كما لا ينقض ذلك وجود بعض اللغات ممتدًا لمساحات أكبر ومسافات أوسع كما هو واقع مع اللغات ، كما : الصينية ، والانجليزيّة ، والروسية ، والأسبانية ، والهنديّة ، والعربيّة ، والبرتغاليّة ، والألمانية ، واليابانيّة ، والفرنسيّة ، والإيطالية ، والماليزيّة مرتبة وفقًا للدراسات الإحصائيّة التى أوضحت أن الأُمم المتحدة تعتمد ست لغات فقط ،هى: الانجليزيّة، والفرنسيّة ، والروسية ، والأسبانية ، والإيطالية ، والعربيّة ..

فمثلاً اللغة العربيّة : هى لغة تُنسب إلى مجموعة من الناس تسكن منطقة جغرافية معينة، ويسمّى أهلها بالعرب ،وتحتل المرتبة السادسة على مستوى العالم من حيث عدد الناطقين بها ، وكان من السهل مضاعفة هذا العدد لو أخلص العرب لديهم ، وتعصبُوا للغتهم كما فعل أسلافهم من جهود مخلصة لنشر هذا الدين وهذه اللغة، وإلى جانب اللغة العربيّة يوجد فى العالم نحو (ثلاثة) آلاف لغة منطوقة، بخلاف اللهجات وكل لغة لها جمهورها المستخدمون لها ، ولها مساحتها التى تسود فيها .

. والواقع أن هذه التعريفات السّابقة ، كتعريف القدماء(ابن جنّى، وابن خلدون) ، وتعريفات المحدثين (سابير ، ودى سوسير ، ود/ إبراهيم أنيس) قد حددت إلى حدٍّ كبيرٍ طبيعةَ وماهيةَ اللغة وأهمَّ خصائصِها ، فهي جميعها تؤكد أن اللغة ظاهرة إنسانيّة اجتماعيّة مكتسبة ، فى شكل نظام عرفي من الرموز الصوتيّة ذات المعنى ، تستخدم . غالبًا . أداة للاتِّصال بين أفراد جماعة لغويّة معيّنة .

ـ اللغة عند علماء الأحياء والتشريح :

. أما عند هؤلاءِ فقد عدّوها كائنًا عضويًّا ، وذهب بعضهم إلى أن علم اللغة بذاته علم بيولوجي ، وإذا كانت اللغة بما لها من نفوذ قوى ، فقد جذبت كلّ هؤلاء وغيرهم إلى الوقوف أمامها ، ومحاولة الإفادة من طبيعتها ونظمها فى ميادين المعرفة المختلفة ، فإنها مع كلّ هذا لم تكشف عن كلّ أسرارها إلا في دراسة خاصّة بها تدرسها بذاتها ولذاتها[١].

"حاجة الإنسان إلى اللغة "

احتاج الإنسان هذه اللغة يتعامل بها فاستقرت في تلك الأصوات المألوفة لكل مجتمع بشري ؛ لأن من طبيعة الإنسان الاستطلاع والبحث ، ووصف حقائق الموجودات ، ووضع القوانين ، والقيام بتحليل أعضاء جسمه ووظائفها ، وتشخيص الظواهر الفسيولوجية والبيولوجية ، كذلك اهتم ببحث لغته ، لما عرفه من أهميتها ، والحفاظ على مجتمعه ، وعدم الاستغناء عن جماعته والإنسان قيل عنه : مدني بطبعه ، أي أنه لا يستغنى عن أهله ، بل يميل إلى الألفة والاجتماع

(١) . انظر : فقه اللغة ، د/ عبد الله ربيع ، ص ٢٢ وما بعدها ، ومحاضرات فى فقه اللغة العربيّة ، د/ محمد علام)

مع بني جنسه؛ لذا فقد أدرك أهمية اللغة في تحقيق هذه الغاية، كما أدرك أهمية دراسة حقيقتها وأسباب انتشارها ، وانقسامها،وعوامل بقائها وتطورها وظواهرها وضعفها وقوتها، وصراعها مع اللغات المجاورة .

❁ **وهنا نلحظ** اعتزاز كل طائفة بلغتها فتزعم كل قومية بأن لغتها أولى اللغات في العالم[١]

والحقيقة أن هذه المزاعم نابعة من تعصب قومي نابع من اهتمام هذه الشعوب والقوميات بلغاتها ، وقد هبت لدراستها ؛ لتكشف عن سر بقائها واستمرارها .

وأعتقد أن انتشار اللغة ليس دليلًا على رقيها ، فليس صوابًا أن نقول بأن اللغتين : الإنجليزية أو الفرنسية هما أرقى اللغات لسعة انتشارهما في مناطق كثيرة من العالم ، أو لكثرة استعمالهما في المحافل الدولية ؛ وذلك لأن انتشار هذه اللغات يعود للغزو ، ولسيطرة هذا المستعمر على بلدان عديدة نشر الاستعمار فيها لغته، فتأثرت هذه الشعوب المستعمرة – بفتح الراء– المغلوبة – بلغة الغازي، تاركة لغتها الأصلية للمرض والموت[٢] .

ونشاهد ذلك أيضًا – حين فتح الفاتحون العرب – الأقطار المحيطة بهم ، فصرعت العربية الفارسية في بلاد فارس ، والرومية في بلاد الشام ، والقبطية في مصر، واقتصرت هذه اللغات على أداء المراسم والعبادات في الكنائس والأديرة ، بالإضافة إلى ذلك نظام اللغة وجوهرها ، وقواعدها المعجمية والنحوية والصرفية والدلالية والاشتقاقية .

لأن اللغة : نظام صوتي يتم من خلالها التعرف على مجموعة الأصوات المفردة في لغة ما ، أو

---

(١) فقد زعم العبريون أن اللغة العبرية هي الأولى التي تكلم بها الإنسان في بدء وجوده التاريخي .)
وزعم العرب أن لغتهم العربية هي أولى اللغات .
وزعم الأتراك أن التركية هي صاحبة السبق على جميع اللغات .
وعالم سويدي يقرر أن " آدم " كان يتكلم السويدية ، وأن الحية التي أغرت + حواء كانت تتكلم الفرنسية
وباحث ألماني يقرر أن لغة " آدم " كانت الألمانية
وباحث أخر يرى أن الآرمية هي الأصل .
وزعم آخر أن الصينية هي أقدم الغات .
وقيل : إن لغة " آدم " كانت العربية ، ولما بعد العهد صارت سريانية
وكله يغلب عليه التعصب لإعلاء قومية بعينها .
انظر : اللغة بين الفرد والمجتمع – د/ محمود السعران – ١/٣٠.

(٢) فمثلا : تسجل كتب التاريخ أن إنجلترا تعرف بأنها الأمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، وما ذلك إلالاتساع رقعة البلاد التي غزتها واستعمرتها فالغزو وما ينجم عنه من سيطرة بعض الشعوب بقوتها وثقافتها على شعوب أخرى ، كان من أهم أسباب انتشار اللغات ، أو انكماشها ، وصراع اللغات بعضها مع بعض .

في لغة معينة ، ويتكون النظام الصوتي من مجموعة من الوحدات الصوتية (الفونيم) وهي أصغر وحدة صوتية ، كالباء والتاء ، والثاء و .... وعن طريقها يمكن التفريق بين المعاني[١] وهي نظام صرفي يتم من خلاله التحكم في عملية صياغة الكلمات والمفردات ، ووحدة النظام الصرفية تسمى (المور فيم) وهي أصغر وحدة ذات معنى مثل كلمة : اكتبا .

وهي نظام نحوي يتم من خلاله تحديد القواعد التي تحكم بناء الجمل ، وتقوم على مجموعة من الأسس منها : الاختيار أو الانتقاء لكلمات أو صيغ صالحة للتعبير عن المعاني، ومنها الموقعية (النظر في ترتيب وحدات الجملة) ، ومنها المطابقة بين وحدات الجملة ، ومنها الإعراب التي تشير علاماته إلى وظيفة كل وحدة داخل الجملة كما أنها نظام دلالي بنوعيه .

أ- المعجمي : لإدراك المعاني الأساسية للمفردات .

ب-السياقي : لتحديد المعاني المتنوعة بتنوع التراكيب والسياقات المختلفة .

والأرجح : أن هذه الأنظمة تتآزر وتتكامل ، ويمهد بعضها البعض الآخر لوضع تللك الضوابط والأحكام التي تعطينا هذا النظام المسمى " باللغة " ، وهذا كله يؤكد أن اللغة مجموعة أنظمة تتعاون معا للوصول إلى غاية، أو هي نظام أكبر مكون من أنظمة أصغر، والكل هدفه المعنى[٢]

"وظائف اللغة"

١- **اللغة هي الأداة الفعالة** التي تربط بين أفراد المجتمع، وتجعل منه وحدة متماسكة ، فهي المعبرة عن أفكاره واحتياجاته ، وهي كل ما يهمه في هذه الحياة [٣].

٢- **اللغة هي الوعاء** الذي يحفظ تجارب الأمة وثقافتها وتاريخها وتراثها ونقله عبر الأجيال، فهي ظاهرة إنسانية مكتسبة من المجتمع ذات نظام من وحدات (صوتية وصرفية) لها سمات معينة أو خصائص مشتركة .

٣- **نقل الخبرة الإنسانية** ، والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة ؛لأن اللغة تولد الفكر ، فهي أداته التي تنظمه ، وتنقل نتائجه للعقول والأذهان عبر المسافات الزمنية ، والمكانية فتحدث المعرفة التي تحقق آمال الإنسان .

٤- **يرى" جيفونز"أن اللغة** وسيلة للتفاهم ،وأداة تساعد على التفكير، وتقوم بتسجيل الأفكاروالرجوع إليها([٤]) .

---

(١)انظر : علم الأصوات لما لمبرج – تعريب د / عبد الصبور شاهين ٢٥٣/٩٢٢ ، وعلم اللغة العام – د/كمال بشر – ص٣٨ وما بعدها ، وأسس علم اللغة لماريو باي – ترجمة د/ أحمد مختار عمر – ص٧٧ وما بعدها ، ومن أسس علم اللغة – د/ محمد يوسف حبلص – ص٢٧.

(٢) انظر: من أسس علم اللغة – د/ محمد يوسف حبلص – ص ٤٥.

(٣) انظر : علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبد الغفار حامد هلال – ص٥ – ط ثانية ١٩٨٦م.

(٤) راجع : علم اللغة بين التراث والمعاصرة –د/ عاطف مدكور –ص ١٤ – ط ١٩٨٧م – دار الثقافة بالقاهرة ، ومدخل إلى علم اللغة – د/ محمد حسن عبد العزيز – ص ١١٩.

٥-تحقيق الاتصال أو الترابط بين أفراد المجتمع ، فتؤدي إلى تماسكه فهي أسمنت المجتمع ، فهي **تدبر شئون المجتمع** ، وتقسيم العمل ، وتوزيع الجهد ، والمساعدة على إنجاز بعض الأعمال والأنشطة الحيوية التي يؤديها العمال في صورة جماعية كالصيد والبناء وأعمال الحفر .

٦- **اللغة وسيلة الإنسان للهو والتسلية** ، ومصدر بهجته ومتعته،وإدخال السرور إلى النفس والتعبير عن الجمال والتأثير في النفوس والقلوب ، لما فيها من انسجام صوتي ، وواقع غنائي على الأذن .

٧-**الاتصال أو التوصيل ، أو النقل** ، أو التعبير للأفكار والمشاعر والمعاني والانفعالات والرغبات ، أو الفكر بوجه عام ، تراه في شرح المدرس دروسه للطلاب ، أو تقديم المحامي للغته في المرافعة ، والاديب والعالم والفيلسوف، وكلها تتطلبها الجماعة المتكلمة بها، فهي وسيلة لخلق العلاقات الاجتماعية وتوثيقها ، أو تلبية رغبة البشر في الاجتماع الإنساني .

٨-**المناجاة والقراءة** ، واستعمالها في السلوك الجماعي ، كالصلاة ، والدعاء ، والمخاطبات الاجتماعية كلغة التحيات والتأدب.

٩. تستخدم كمساعد آلي للفكر، تسهل الفكر وتساعد على نموه، فهو يؤثر في نمو اللغة وتطورها ، وهذا أمر واقع ، لتفاعل اللغة بالفكر .

واللغة وعاء الفكر ، ولا وجود للفكر دون اللغة ، وما سمى المنطق إلا من النطق إشارة إلى ما بين اللفظ والفكر من صلات .

وقيل : " اللغة سجل تاريخ الشعب ، ترتقى برقيه ، وتنحط بانحطاطه" ، ومهما تعددت الآراء في تحديد العلاقة بين الفكر واللغة ، وتضاربت في أسبقية النشأة لكل منهما ، فلن نجد من يستطيع التنبؤ بمصير الفكر والتقدم الإنساني لو لم توجد لغة النطق وأداة الكلام(١) .

١٠ -اللغة أحد مقومات الوطن والوطنية :

حيث تكون اللغة رابطا قويا يجمع الشعب الناطق بلغة واحدة ، واللغات المختلفة في الأمة الواحدة ، أو الوطن الواحد .

فاللغة جزء من كياننا الروحي ، ومعين لتراثنا ، وقطعة من تاريخ الأمة ، لذا تفرض الدول المستعمرة لغاتها على الشعوب المحتلة ، كما فعلت إيطاليا في ليبيا – وفرنسا في تونس والجزائر أثناء استعمارهما ، لكن الشعوب المحتلة تتماسك بكيانها " لغتها " حتى أثناء الاستعمار ، كما فعلت بولندا عندما احتلتها الإمبراطوريات العظمى في القرن ال ١٨ ، لذا نجد الشعوب المحتلة تركز على مطالبة المستعمر في أن تكون لغاتها في الأمور الرسمية .

---

(١) انظر : علم اللغة ومناهجه – د/ عبدالله ربيع محمود ، و د / عبد الفتاح البركاوي – ص ٢٤ – ط أولى – ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م – مؤسسة الرسالة .

وفي التاريخ دلالات كثيرة على اعتزاز الشعوب بلغاتها ، فقد نقل الأمويون دواوينهم إلى العربية ، وسعى الألمان في نهاية القرن ال١٩ إلى تطهير لغتهم من الألفاظ الفرنسية الدخيلة ، كما أبعدت تركيا الالفاظ العربية عن لغتها .

١١-اللغة وسيلة للترابط الدولي والقومي :

تعد جامعة الدول العربية هي جامعة اللغة العربية ، وهناك اتحاد الدول الناطقة ، ودول الكومنولث ، وقيل : للروابط اللغوية بين أمريكا وانجلترا دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولي بجانب الحلفاء .

١٢-اللغة وسيلة للترابط الاجتماعي :

اللغة نشاط اجتماعي ، يحصل بها على العون والمساعدة ، وتقيم الود والألفة بين الناس ولغة التحيات والتخاطب والسؤال عن الحال والصحة ، ولغة التأدب ، ولغة الكلام ، وقد نرى أن الصمت أحيانا في الاجتماعات على أنه مظهر سلوكي عدائي ، أو مظهر من مظاهر اختلاف في وجهات النظر .

فاللغة هي محاولة للوصول إلى أعماق شعور الجماهير ، والتأثير في الناس وإقناعهم ، ودفعهم إلى عمل سلوكي معين ، أو تغيير نمط سلوكي ، أي أنها تصنع الرأي العام .

١٣-اللغة وسيلة للتنفيس عن الإحساسات وبخاصة العنيفة منها :

قد يستخدم الإنسان اللغة ناشدا الأشعار الحزينة باكيا من فقدهم من أحبابه ، بقصد التفريج ، أو التنفيس عن آلامه وأحزانه ، وذلك عندما يخلو إلى نفسه ، دون قصد إلى نقل إحساسات ، أو أفكار معينة .

١٤- اللغة وسيلة للتسلية أحيانا : -

حيث يقوم الأفراد بالتلاعب بأصواتهم بقصد التلذذ والسرور ، والمعجزة الإلهية في جعله أعضاء النطق آلات موسيقية يجب على الإنسان أن يداعبها ويلعب بها ، لذا فالثرثرة عند المرأة في غير المواقف الرسمية بهجة ومتعة .

ومجمل القول في وظائف اللغة في المجتمع نجد أنه بجانب وظيفتها الأساسية التي هي التواصل بين أفراد المجتمع ، هناك وظائف أخرى قد تقل في أهميتها ولكن يجب علينا عدم نكران وجودها ، وهذه الوظائف المتعددة للغة تجعلها من أهم الظواهر أو المؤسسات الاجتماعية .

وقد قيل : " اللغة أصوات في حروف ، وحروف في كلمات ، وكلمات في جمل ، وجمل في نحو ، نحو في بيان ، والبيان وحدة لا تتجزأ ، والإنسان كائن مجتمعي ، واللغة تكس هذا الإنسان " .

" خصائص اللغة الإنسانية [1] "

حيث إن الأشكال المستخدمة في الاتصال لدى الحيوان محدودة للغاية ومحصورة في غرائزه ورغباته . فاللغة الإنسانية أشكالها متنوعة تبعًا لتجارب ومعارف الإنسان ، وأما صيحات الحيوان فتفتقر إلى التأليف أو التركيب والتقسيم وذلك مختلف عن اللغة الإنسانية القادرة على الخلق والابتكار تبعًا للمواقف حيث يستخدم الإنسان لغته وفقًا لقواعد صوتية وصرفية ونحوية معقدة متعارف عليها بين أفراد جماعة .

١-اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل أبناء الجنس البشرى دون سائر المخلوقات ، فالإنسان حيوان ناطق يتميز عن غيره من المخلوقات بأنه وحده القادر على وضع أفكاره في ألفاظ ، وممارسة الحياة في جماعة متعاونة ومرتبطة بعمل جماعى .

٢-اللغة ظاهرة اجتماعية يتبعها أفراد المجتمع ويستخدمونها في علاقاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ، فهي نتاج العقل الجمعي .

٣-اللغة ظاهرة مكتسبة ، أي يتلقاها الإنسان ويتعلمها من المحيطين به ، ويرى العلم الأمريكي (سكينر) أن اللغة عادة مكتسبة لدى الإنسان وأن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تماما ، وبالتدريب المتواصل يتمكن من السيطرة عليها ، وللمجتمع دور كبير في صيغ الكلام بالطابع الاجتماعي .

٤- اللغة عرفية تنشأ من اصطلاح الجماعة اللغوة المعينة ، فهي ليست تحكمية مفروضة على المجتمع من خارجه ، فمعارف الناس على تسمية الأشياء بأسماء قد تكون مختلفة عند أناس .

والقول بعرفية اللغة لا يحول دونا لاعتراف بما بين أفراد الجماعة اللغوية من فروق لا يحدها الحصر .

٥-اللغة نظام وقواعد مقروءة تخضع له في توزيع أصواتها وكلماتها وجملها .

٦-اللغة رموز استخدمها الإنسان في اتصاله ، بأخيه كالصفير ، والحركات ، وأصوات مدفع الإفطار، وأجراس الكنائس ، وصوت القطار ، وإشارات المرور المختلفة، وكاللون الأسود كرمز للحزن ، والأبيض رمز للفرح عند المصريين ، وهز الكتفين عند الإنجليزي كعلامة النفي بـ (لا) ..... وهكذا ، فكلها رموز تشبه اللغة المنطوقة .

٧- اللغة صوت ذو معنى يصدر عن أعضاء الجهاز النطقي الإنساني .

٨- اللغة متغيرة : والتغير هو انتقال ظاهرة لغوية من حالة إلى حالة أخرى في مرحلة من

---

(١) انظر : اللغة بين القومية والعالمية – د/إبراهيم أنيس – ص ١٥ وما بعدها .، ومدخل إلى علم اللغة – د/ محمد حسن عبد العزيز – ص ٩ : ١٩ – ط ١٩٩٢م – مكتبة الشباب ، ومن أسس علم اللغة – ص ٨: ٢٠ – د / محمد يوسف حبلص .

مراحل تاريخ اللغة المعينة ، والتغير يلحق أنظمة اللغة : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية تبعًا لقواعد وقوانين أقرب ما تكون إلى الثبات واطراد النتائج ، ولا طاقة لأحد بمقاومتها ، أو تغييرها .نحو كلمات : ذئب / ديب ، وذيل / ديل ، وذبح / دبح ، وثلاثة /تلاتة ، وثوب / توب ، وخبيث / خبيس ، وذكر / زكر ، والذي / إللي ، ميكتبش وهيكتب .

وترجع أسباب التغير لظروف :

جغرافية ومناخية ، وصفات بيولوجية، وجنسية ، وعوامل نفسية ، وانتقال اللغة من جيل إلى جيل والميل إلى السهولة والاقتصاد في الجهد ، نحو : الهواء شديد ، يقولون : الهوا شديد ... محمد ولد مطيع ، فتقول : محمد ود مطيع .

وكذلك من أسباب التغير :

- تأثر اللغة بلغات أخرى .
- والصراع اللغوى .
- والتغير الثقافي.

فاللغة :نظام من الرموز المنطوقة والمكتسبة تستخدمه جماعة معينة من الناس بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فيما بينهم .

" اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة "

اتصل الإنسان الأول بأخيه مستعينًا ببعض الوسائل كالحركة ، والرسم ، والصوت ، والضوء ، ثم تطورت ملكة الكلام لدى الإنسان ، فنشأت عن ذلك اللغة المنطوقة ، فاستخدمها ردحا من الزمن حينما أحس بالحاجة للاتصال بغيره من بني جنسه حين يصعب على الصوت أن يؤدي الغرض ، لبعد المسافة والزمن .

وحينما أراد أن ينقل خبراته وتجاربه لأحفاده ، وهنا أدرك عدم كفاية اللغة المنطوقة لإتمام عملية الاتصال في وقت لم يملك فيه الإنسان وسائل الاتصال السلكية أو اللاسلكية ولا وسائل التسجيل ، عندئذ تطورت وسائل الاتصال فصارت اللغة المكتوبة .

ومن ذلك يتضح سبق اللغة المنطوقة للغة المكتوبة ودليل ذلك

- أن الإنسان بدائي يحتاج لأبسط الضرورات ومنها اللغة المنطوقة ، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضارة ، و إذا لم تكن ثمة حاجة للكتابة اكتفى باللغة المنطوقة ، كذلك بداية الإنسان عندما يولد يتعلم اللغة المنطوقة ، ثم يتبع بيئته فقيرة متخلفة لا تعلمه ، أما إن كانت مستنيرة فإنها تحرص على تعليمه القراءة والكتابة ، أي أن تعلم اللغة المنطوقة أولا ، ثم يكون الحرص والتوجيه لتعلم اللغة المكتوبة أو لا يكون ، ومقتضى هذا أن حقيقة اللغة تقوم على الأصوات

المنطوقة لا الكلمات المكتوبة ، أو كما قال " جسبرسن " : " إن اللغة ينظر إليها عن طريق الفم والأذن ، لا عن طريق القلم والعين " [١] .

" الفرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة "

اللغة قديمة قدم المجتمع الإنساني ولكن البحث فيها لم ينشأ إلا في إطار التقدم العلمي ، ولذا فإن كتابتها " تدوينها " ظاهرة حديثة نسبيا ، فهناك شعوب كثيرة أميون لم تدون لغتها ، ولم تتصور أن تلك العبارات المنطوقة يمكن أن تدون إلا بعد مرورها بمرحلة من الرقي الحضاري ، فاللغة معروفة للإنسان كمعرفته للماء والتنفس .

لكن متى عرف الإنسان التحليل العلمي لمكونات الماء وخصائصه ،أ و الجهاز التنفسي ، أو عمليتي الشهيق والزفير ؟

❁ لا شك أنه عرف ذلك منذ وقت قريب نسبيا

وإليك عزيزي القارىء بعض الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة :

١-من حيث الثبات والتنوع : نجد أن الأولى متنوعة والثانية ثابتة نسبيا ، حيث تعتمد على اختيار
٢- العبارات المناسبة ، ولا تظهر فيها ملامح شخصية الكاتب، أما الأولى فتظهر شخصية وجنسية المتكلم
٣-من حيث المنطق والانفعالية : نجد أن الأولى انفعالية تتنوع فيها عناصر الصوت من نبر وتنغيم ووقف وحركات ونظرات تبعًا للموقف " جد – هزل " " سهل – صعب " لا تملك فيها الحواس ، أما الثانية فهي منطقية تعتمد على السيطرة على الحواس في قدرتها على التصوير والدقة في التعبير .
٤-من حيث التكلف والعفوية : نجد أن الأولى عفوية ، والأخرى متكلفة لحاجتها إلى ضبط وقواعد تحتاج إلى افتعال وتحليل أو احتياط .

" اللغة والكلام "

اللغة : هي الميول والقدرات اللغوية عند الإنسان بصفة عامة ولا يقصد به لغة معينة ، وإنما يقصد به اللغة بوصفها ملكة أو قد يملكها أي إنسان ، وهناك اللغة المعينة كالعربية أو الإنجليزية أو الفرنسية مثلا ، وتعني مجموعة من النظم والقوانين اللغوية المخزونة في عقول أفراد الجماعة اللغوية المعينة ، ويسمى هذا المفهوم بمصطلح " اللسان " .

والكلام عبارة عن : الأصوات اللغوية التي يحدثها المتكلم وقت الكلام في شكل نظام صوتي صادر عن الجهاز النطقي في شكل ذبذبات تنتشر في الهواء وتصل إلى أذن السامع حاملة معاني معينة [٢] .

❁ ويفرق العلماء بين اللغة والكلام على النحو التالي : –

---

(١) انظر : دراسات في اللغة العربية – د/ فتحي محمد جمعة – ص ٤ .

(٢) انظر : دور الكلمة في اللغة (مترجم) – ص ٣٥،٣٦.

١-اللغة ظاهرة اجتماعية " وليدة المجتمع وإفراز البيئة " ، أي أنها نتاج الجماعة ، أما الكلام فهو : ظاهرة فردية يمارسها المتحدث الفرد في الوقت المعين ، ويحمل ملامح الفرد التي تميزه عمن سواه ، فهو أمر فردي يؤلف المادة التي تتكون منها اللغة .

٢-اللغة ثابتة وتتغير ببطء ، أما الكلام فهو شيء عابر سريع الزوال، رغم أن وسائل التسجيل الصوتي الحديثة قد منحته شيئا من الثبات والاستقرار.

٣-اللغة نظام مفروض علينا من الخارج ، أي أن الإنسان تلقاه من مجتمعه منذ الصغر ولا دخل له فيه ، فهو مكتسب كغيره من السلوكيات الخارجية الأخرى ، أما الكلام فهو نشاط متعمد ومقصود يمارسه المتحدث الفرد .

٤-الكلام سلوك ، واللغة معايير هذا السلوك ، والكلام نشاط ، واللغة قواعد هذ النشاط ، والكلام حركة ، واللغة نظام هذه الحركة ، والكلام يحث بالسمع نطقا ، والبصر كتابة ، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام [١] .

والتفريق بين اللغة الموجودة بالقوة والكلام الموجود بالفعل ، أو بين الدائم والزائل ، أو بين الاجتماعي والفردي يعد حدثًا خطيرًا في تاريخ علم اللغة في القرن العشرين [٢].

❁ ومع هذا الاختلاف :

فإن بين الكلام واللغة علاقة وثيقة تتمثل في أن كلام الجماعة اللغوية يدور في فلك القواعد والمفردات التي تتألف منها اللغة ، فإذا ما قدر لهذه الكلمات أن تنتشر لظروف مناسبة لها ذاعت وأصبحت من مخزون الجماعة المعينة ، فإذا لم تتوازنها الظروف الملائمة تظل عملا فرديا بحتا .

كاستخدام المجتمع للكلمات : ثلاجة – دباسة – غرافة ، لما تعارف عليه أفراد المجتمع ، حيث أصبحت لغة بعد أن كانت كلاما ، وهذا ما يسمى بالتطور اللغوي .

" نشأة اللغة الإنسانية "

اختلف العلماء حول موضوع النشأة ، وتنوعت أراء المفكرين ، ولم يصلوا إلى نتائج يقينية ، بل كان معظمها مصطبغًا بالصفة الشخصية ، فيقول (ماريو باي) : فيم يختص بشأن اللغة وطبيعتها : " لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول ، والمناقشات الفلسفية ، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد " .

وحاول البعض عرض نظرياته عن نشأة اللغة بثوب علمي ، مدافعا عنه في صلابة وإصرار ، غير أن بعض المعتدلين من علماء اللغة سخر من مجرد التفكير في جعل موضوع نشأة اللغة ضمن بحوث علم اللغة .

---

(١) انظر : مدخل في اللغة – ص ١٧٢.

(٢) انظر : اللغة العربية : معناها ومبناها – ص ٣٢.

قررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع ، وعدم قبول أي بحث فيه [١].

❁ كما أن كثيرا من علماء اللغة المشهورين من أمثال (بلو مفيلد ، وفيرث) لم يتعرضوا لدراسة هذا الموضوع بشكل علمي .

❁ واعتبر (فيرث) أن الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية التي على طالب علم اللغة أن يلم بها إلمامًا سريعًا ، ولا بأس من ذلك حتى نعرف بعض النظريات والآراء التي حاول بها العلماء تفسير نشأة اللغة الإنسانية .

" نظريات نشأة اللغة [٢] "

يرجع الفضل في هذه النشأة إلى المجتمع الإنساني ، وحاجة أفراده للتعاون والتفاهم ، والإنسان حيوان ناطق ، واللغة من أهم المؤسسات الاجتماعية عند الإنسان وإحدى مميزاته الرئيسية التي تميزه عن الحيوان ، وربما أن موضوع نشأة اللغة مشكلة فكرية قديمة ، كثرت حولها البحوث ، وتعددت بصددها الآراء والنظريات ، ومن أهمها :-

١- نظرية التوقيف [٣] : -

ترى أن اللغة وحي إلهي بدليل قوله تعالى :

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [٤] ، ومن الإنجيل المقدس في العهد القديم " أن الله دعا أدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية " ، ومعناها : أن اللغة توقيف من الله تعالى (جاهزة في عالم الغيب) ثم كشفها وأطلع عليها آدم وورثها بنوه .

وأصحاب هذه النظرية قديمًا : هيراكليت الفيلسوف اليوناني (ت٤٨٠ق.م)

وفي العصور الوسطى : ابن فارس ، والأشعري ، والنسفي ، وابن جني ، والسيوطي ، وفي القرن ال ١٨ : الفيلسوف الفرنسي دوبو نالد، والأب لامي .

وإن كان علم اللغة يرفض هذه النظرية ، وذلك لافتقارها إلى الحجة العلمية المقتعة بدلًا مما يتبين لنا من وهن وضعف الحجج والأدلة لمخالفتها سنن التطور وطبيعة الظواهر الاجتماعية [٥] .وليس لهذه النظرية دليل عقلي واقعي يؤيدها.

---

(١) انظر : فقه اللغة – د/ عبده الراجحي – ص٧٧ ط دار النهضة – بيروت .

(٢) انظر : الخصائص لابن جني ١/٤٠:٤٨، والمخصص –لابن سيدة –١/٣:٦

ودلالة الألفاظ – د/إبراهيم أنيس – ص ٢٣ وما بعدها .

ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل – د/ علي عبد الواحد وافي .

وفي علم اللغة العام – د/ عبد الصبور شاهين ص ٦٩ وما بعدها

وعلم اللغة –د/محمود السعران – ص ٥٢.

(٣) انظر : علم اللغة – د/ على عبد الواحد وافي – ص ٩٧– ط٧ – نهضة مصر . والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس – تحقيق السيد أحمد صقر – ص٦ طبعة الحلبي ، والخصائص لابن جني ١/٤١ ، والمزهر للسيوطي ١/١١..

(٤) سورة البقرة : ٣١.

(٥) انظر : في فقه اللغة د : ناجح حافظ مبروك – ص ٤٤.

٢- **نظرية الاصطلاح والمواضعة** :-

ترى أن اللغة ابتدعت بالاتفاق والمواضعة ، أي أن اللغة نشأت من صنع الإنسان ، فهو الذي ركب الكلمات من الحروف ، ووضع ألفاظ اللغة لمعانيها حسب حاجته في هذه الحياة ، أي وضع اللغوي سمة أو لفظًا يدل على إبانة الشيء ، نحو إنسان ، وعين ، ويد ، ورأس ، وقدم ، وبذلك تنشأ العربية .

ومن أنصارها قديمًا : (ديمو كريت) اليوناني

وفي العصور الوسطى : (ابن جني) ، واستاذه (ابن علي الفارسي) .

وفي العصور الحديثة : (آدم سميث) الإنجليزي ، (وريد) الإنجليزي .

وليس للنظرية سند عقلي ، أو نقلي أو تاريخي ، وما تقرره يتعارض مع نواميس النظم الاجتماعية التي تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها ، فلا تخلق خلقًا ولا ترتجل ارتجالا ، ولا توجد دفعة واحدة .

٣- **نظرية محاكاة أصوات الطبيعة** [١] :

ويذهب أصحابها إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو الأصوات المسموعة ، كدوي الريح ، وحفيف الشجر ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وسجيح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، ولعل ذلك يكون قريبًا إلى الصحة والمعقول ، وأكثرها يتفق مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات ، وظوهر الطبيعة الاجتماعية ، ويؤيد ذلك لجوء الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام إلى محاكاة الأصوات الطبيعة ، وإن كان ذلك لا يعيد تاريخ نشأة اللغة ، ويعد العالم الألماني (هردر) أول من دافع عن هذا المذهب .

* ويمتاز مذهب المحاكاة بشرحه مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ ، وبالبيئة التي تحيط به ، ولكن يؤخذ على هذا المذهب ما يلي :-

١-حصره أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة .

٢-تجاهله الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس ، وهي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية .

٣-لا يبين لنا كيف نشأت الكلمات الكثيرة التي نجدها في اللغات المختلفة ، ولا نرى فيها محاكاة لأصوات المسميات ، ويتضح ذلك بوجه خاص في أسماء المعاني كالعدل والمروءة والكرم والشجاعة ، وغيرها .

٤-رفض المنهج العلمي للغة البدائيين .

---

(١) انظر : علم اللغة – د/ وافي – ص١٠٥، ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل – د/وافي –ص٤٢–ط نهضة مصر، ودلالة الألفاظ – د/ إبراهيم أنيس – ص١٦: ١٨–والخصائص لابن جني١/٤٦ ، وفقه اللغة العربية – د/محمد إبراهيم نجا – ص ٢١.

٥-إن طريق المحاكاة يجعل الإنسان في مرتبة أدنى من الحيوان ، لأنه قلده حاكيًا صوته قاصدًا الدلالة على مصدره . هذه هي المآخذ التي دعت المدافع عن هذا المذهب وهو العلامة (هردر) الألماني إلى العدول عنها في أخريات حياته ، كما سخر منها (مكس موللر) الألماني ومع ذلك فإن لأصحاب هذا المذهب الفضل في أنه فتح للباحثين باب البحث الفلسفي في نشأة اللغة . كما أنه لا يبعد كثيرًا في إرجاع نشأة اللغة – أحيانا – إلى ملاحظة خاصة ، ويعد د/كمال بشر تلك النظرية بعيدة أيضًا، لأن لغات بعض الشعوب البدائية تكاد تخلو خلوا تاما من مثل هذه الكلمات [١]

٤-نظرية التنفيس عن النفس :

تصور أن نشأة اللغة عند هؤلاء السلف البعيد حيث بدأت بصفة انفصالية محضة ، فمحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان ، فكانت مجرد غناء ينظم بوزن حركة المشي ، أو العمل اليدوي ، أو صيحة كصيحة الحيوان ، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة فهذه الأصوات الساذجة ، قد تطورت على مر الزمن ، حتى صارت ألفاظًا ، ولعل الصيحة لدى الحيوان والتي تكشف عن خوف أو لرغبة في الغذاء بعد أن زودت بقيمة رمزية اعتبرت كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون .

❁ وتمتاز هذه النظرية بعزوها نشأة اللغة الإنسانية

أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني ، وبالحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان ، من انفعالات وأحاسيس ، فإذا كانت النظرية السابقة قد أرجعت نشأة اللغة الإنسانية إلى ملاحظة خارجية موضوعية ، أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها ، فإن هذه النظرية خطوة أخرى في اتجاه آخر نحو البحث عن حل للمشكلة ، فإنها تشرح لنا منشأ بعض الكلمات التي تعجز النظرية السابقة عن شرح منشئها .

❁ ومع كل هذا فإنها نظرية ناقصة وغامضة ، لأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردها إلى أصوات انفعالية ، ولأنها لا تشرح لنا سر تحول تلك الأصوات الساذجة الانفعالية إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية ؛ لذا انصرف عنها اللغويون ، وسخر منها (مكس مولر) .

٥-نظرية الاستعداد الفطري :

أذاعها (مكس مولر)، على أن الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة ، كما أن لديه الرغبة في التعبير عن أغراضه بأي وسيلة من الوسائل ، وذلك عند الحاجة أو في الوقت المناسب .

---

[١] انظر : قضايا لغوية –د/كمال بشر –ص١٢٢.

ولعل الذي دعا (مكس مولر) إلى وضع هذه النظرية ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة ، وهم تواقون لأن يضعوا أسماء لأشياء التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء ، كما أنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل ارتضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم والتعبير عن أغراضهم ، فاستنبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة التي تنشأ عنها الألفاظ .

❁ ونرى في هذه النظرية مشكلة المشكلات ، فكيف ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية ؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة ؟ وإذا كان قد زود بفطرته بهذه الألفاظ فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات ؟ وكيف تسنى للإنسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكامنها ، ويطلقها على المسميات المختلفة ؟

فالنظرية إذن تنقل الباحث من مشكلة إلى مشكلات أعمق منها ، وأشد غموضا منها ولبسا ، ومن أبرز عيوبها : أنها تفرض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الإنسان كاملة غير خاضعة لسنة التطور .

٦-**نظرية الملاحظة** :

برهن العالم الألماني (جيجر) من خلال تجاربه إلى أن الأعمال والإشارات الإنسانية هي أقدم ما وصل إليه من الأصوات اللغوية الأولى ،وأنها أول ما عرف الإنسان عن أخيه ، وأول ما لفتت الإنسان الأول وأثارت اهتمامه ، حيث كان الإنسان يعمل وله حالات انفعالية تثير الاهتمام وتخلق التأثر ، فتثير الملاحظة والانتباه من حوله ، نحو : كلمة الكشط أو السلخ فإنها مشتقة من عمل الإنسان بالجلود في سلخها ، وفي الخشب حث كشط لحاؤه ، والشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب .

❁ ويؤيد هذه النظرية أن جميع أسماء الآلات تقريبًا مشتقة من كلمات تدل على أعمال إنسانية ، كما في لغتنا العربية من نحو : انتشار والمفتاح والمقص والمخرز، وكلها مشتقة من أصول يدل كل واحد منها على عمل إنساني مهم .

وإن كانت هذه النظرية خطوة لحل المشكلة إلا أنها لم توضح لنا بأسلوب مفهوم أو معقول الأصول العامة الأولى للأصوات التي أرجعتها إلى الأعمال والإشارات الإنسانية المشتقة من أعمال الإنسان، فمن الصعب جدا إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات كلها إلى تلك الأصول العامة .

٧-**نظرية الأصوات التعجبية العاطفية** : -

ترى أن اللغة الإنسانية بدأت هكذا عند الإنسان بصورة غريزية للتعبير عن انفعالاته من فرح ، أو وجع ، أو حزن ، أو استغراب ، أو تقزز ، كقولك : (أف) عندما تتأفف ، أو (وي)عند التلهف أو التحسر .

وقد رفضت هذه النظرية لعدم قدرتها على عدم إبراز الصورة الحقيقية لنشأة اللغة .

٨-**نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ومدلولها** :

أن اللغة الإنسانية بدأت بالمقاطع الطبيعية التي يتفوه الإنسان بها عفويا عند استعماله أعضاء جسمه في العمل اليدوي ، كما تسمع إذا وقفت بجوار عامل ينحت صخرا ، أو يحمل ثقلا ، أو يقطع شجرة ، أو حداد يعمل .

وقد رفضت هذه النظرية : لعدم أدلتها القوية على إبراز صورة حقيقية لنشأة اللغة أيضًا.

٩-**النظرية الاجتماعية** :

ترى أن اللغة نشأتَ عن طريق الأصوات الجماعية نتيجة التقاء الإنسان الأول مع إخوانه من البشر في أعمال تحتاج إلى أصوات تخفف على أنفسهم مشقة العمل فأصدر أصواتًا لا معنى لها ، كقولهم : هيلا هوب ، ثم صار لها معنى بعد ارتباطها بالعمل وأصبحت على مر الأيام وسيلة للتفاهم .

أي أن اللغة وضعتها الجماعة فهي اجتماعية ، وهذا ليس معقولًا أن يظل الإنسان أبكما زمنًا طويلًا حتى يلتقى بغيره فينطق الأصوات المعبرة دفعة واحدة دون مران سابق ، وهذا يخالف للمألوف .

كما أنه ليس معقولا أن الإنسان لم يعرف اللغة إلا بعد تكوين الجماعة ومزاولتها للأعمال الشاقة التي هيأت له سبيل الوصول إلى الكلام .

١٠-**نظرية التطور اللغوي** :-

تأثر أصحابها بنظرية التطور العام للعالم " دارون " ورأوا أن التطور اللغوي يشبه التطور والنمو اللغوي عند الطفل ، وزعموا أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فكرية متعددة ، متمشية مع مراحل نموه العقلي ،وهذه المراحل هي : -

أولًا : **مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية** :

صدرت عن إنسان العصور الأولى حيث لم تنضج أعضاء نطقه ، بالإضافة لميوله ورغباته المحددة ، لذا جاء بعض الأصوات مبهمة وغير مفهومة أحيانًا وبدون رغبة أو غرض معين .

ثانياً : **مراحل الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بالإشارات**

المتنوعة التي تساعد الأصوات فطريا في أن تبين عن أغراضها ، وقد ساعد نمو أعضاء النطق ونمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان على هذا التطور في الأصوات وتكيفها ، وتنوعها ، لاختلافها في الشدة والرخاوة ، والجهر والهمس ، وغير ذلك ، وتمثلها تلك الأصوات التي تصدر عن الطفل في نهاية السنة الأولى من عمره ، حيث تكون مصحوبة بإشارات منبئة عن أغراضه بما فيها من دلالات على الخوف أو الحنين ، أو النفور ، أو الرضا ، أو القلق ، أو الاضطراب ، أو الشعور بالحاجة إلى المعونة ، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره ، ويستغيث بغيره من بني جنسه .

ثالثاً : مرحلة المقاطع :

حيث صارت أصوات الإنسان غير المحددة المعالم إلى أصوات محددة ، وفي صورة مقاطع قصيرة ، مستنبطة من أصوات الأشياء أو الظواهر الطبيعية ، أو متأثرة بها حيث يتأثر الطفل مثلا في بداية عامه الثاني من عمره بمن حوله و يتأثر بهم فينطق مقاطع متكررة حتى تنطبع في نفسه ، وتكون منها لغته البدائية ، ، نحو : " هوهو " عن الكلب ، و" نونو " عن القط ، و" تك تك " عن الساعة ، وغير ذلك .

رابعاً : مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع :

وقد وصل الإنسان إليها حين اكتمل عقله، ونضجت أعضاء صوته، واتسع نطاق حياته الاجتماعية وكثرة رغباته، واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره، وفي هذه المرحلة يتألف معجم الطفل اللغوي من الكلمات الشائعة في بيئته ممن يحيطون به .

خامساً : مرحلة الوضع والاصطلاح :

❁ وهي المرحلة الأخيرة للنمو اللغوي ، وتصنعها حاجة الإنسان للاحتكاك ببيئته ، ومسايرة اللغة المستخدمة لديه مع تفكيره وعقله ، مشاهداته ، وكثرة التجارب وتغاير دروب الحياة .

❁ وفي هذه المرحلة وضعت المصطلحات العلمية ، وابتكرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة ، وازداد النمو الفكري ، وأوغل الإنسان في التحضر ، وتتناسب هذه المرحلة مع الطفل عندما يذهب إلى المدرسة ويدرس العلوم والفنون ، ويتعلم بعض المصطلحات العلمية والفنية المختلفة ، ثم تأتي مرحلة التنسيق والتجميل للكلام شعرًا ونثرًا .

هذا هو مذهب التطور اللغوي في نشأة اللغة الإنسانية ، ويمتاز بما يأتي :

١- يخضع نشأة وتطور اللغة إلى سنة التطور العام مثلها كالكائن الحي ، ينشأ صغيرًا ساذجًا ، ثم ينمو شيئًا فشيئًا ، بحكم طبيعته وبيئته ، فاللغة كظاهرة اجتماعية تخضع لعوامل التطور .

٢- يشرح سر نمو اللغة متنًا وأسلوبًا ، ويعزو ذلك إلى تقدم ورقي الإنسان اجتماعيًا ، وإلى حاجته لتنمية لغته لتساير حياته ، ليستطيع التعبير عن أفكاره ورغباته .

٣- وجود أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها ، وأن الإنسان قد تأثر في إصدار الأصوات الساذجة أو المكيفة بما سمع من أصوات الحيوان أو الظواهر الطبيعية ، معبرًا عن آلامه ورغباته وانفعالاته وعواطفه .

٤- عدم إنكار هذا المذهب لأثر الاشتقاق والوضع في تنمية متن اللغة وتوسيع نطاقها .

❁ تلك هي أهم النظريات التي اشتهر أمرها في الكلام على نشأة اللغة الإنسانية عند القدماء من فلاسفة الإغريق ، وعلماء الغرب المسيحي في العصور الوسطى ، وعلماء اللغة ، وأهل الكلام من العرب ، وفلاسفة القرن الرابع الهجري وما بعده ، والمحدثين من علماء اللغة في أوربا حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وأوائل القرن العشرين ، وكلها نظريات لم تحل مشكلة

النشأة اللغوية ، ولم تفسرها تفسيرًا يمكن أن تطمئن إليه ، لعدم استقامتها على المنهج العلمي ، وبعدها عن الواقع اللغوي المطابق لحياة الإنسان الأول .

❁ لذا يجب إخراج مسألة أصل اللغة ونشأتها من مجال البحث اللغوي، بينما ابن فارس يجعل البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام،بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر [١] .

ويقول (جسبرسن) : إن علم اللغة لا يمكن أن يحجم إلى الأبد عن البحث في الوقت أو المكان الذي يتوقع أن يكون قد حدث فيه تطور لغوي .

والحق أن الإنسان بطبعه يميل للتطلع إلى المعرفة ، فيجوز أن تكون هذه النظريات القديمة قد ظهرت نتيجة اهتمام الإنسان بأصله وطبيعته ، فكل من الإنسان واللغة مترابطان فمتى عرف نشأة اللغة عرف متى وأين ظهر الإنسان [٢] .

وأرى : أن مباحث أو نظريات نشأة اللغة فيها كثير من المغالاة ويرى بعض اللغويين أنه من الضروري إقصاء هذه المباحث التي لا تتعلق بفقه اللغة تعلقا وثيقا [٣] .

بينما يجعل ابن فارس البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام ، بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر [٤] .ومهما يكن من أمر فإن موضوع نشأة اللغة لا يزال الخوض فيه من الأمور الفلسفية الميتافيزيقية التي تخرج الباحث فيه من نطاق الحقائق العلمية إلى البحث فيما وراء الطبيعة ، وفي أمور لا تملك منها اليوم أية وثائق أو مستندات والله أعلم [٥] .

ومع ذلك فقد أعجبني رأي أستاذي د/ عبد الصبور شاهين " من المفيد لبيان أهمية اللغة أن يتساءل اللغوي عن نشأتها ، مهما تكون عسيرة على التصور فهذا هو المدخل الطبيعي لدراسة الظاهرة المجهولة الأصل، ولإثارة خيال الدارسين حولها،و أمر لا يخلو من فائدة " .

ويقول أيضًا : " كما أنه في نظرنا ضرورة منهجية لا ينبغي تجاهلها " [٦].

وهكذا نرى أن كل النظريات التي حاولت من جانبها أن تفسير نشأة اللغة وقد رفضها علماء اللغة جميعًا ، لعدم قدرتها على أن تفسر إلا جانبًا محدودًا (ضيقًا) من اللغة ، وذلك لأن أصل اللغة يغطيه الحجب والغموض بسبب قدم عهوده .

---

(١) انظر : فصول في فقه العربية – د/رمضان عبد التواب – ص ٤١.

(٢) انظر : دور الكلمة في اللغة ، ل (ستيفن) – ترجمة د/كمال بشر – ص ١٦ وما بعدها – مكتبة الشباب – ١٩٧٥م واللغة بين الفرد والمجتمع ل (جسبرسن) – ترجمة د/ عبد الرحمن أيوب – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٥٤م –١/٣٠.

(٣) يقول د/ صبحي الصالح : " فالمنطلق الصوري وتعليلاته وأقيسته ، وما وراء الطبيعة من الغيبيات ، وفرض القواعد والمعايير ، كما تفرض أحكام القانون ، كل هذه ليست من المنهج اللغوي في شيء ، فلا مناص من تجديد البحث في فقه اللغة إذا أردنا للغتنا الحياة والخلود، انظر : دراسات في فقه اللغة – د / صبحي الصالح – ص٣١.

(٤) انظر : أصول في فقه العربية – د/ رمضان عبد التواب – ص٤١.

(٥) انظر : في علم اللغة – د/ سيد شرف أحمد السيد و د/ عبد الهادي أحمد محمد السلمون – ص ١٠٣.

(٦) انظر : في علم اللغة العام – د/ عبد الصبور شاهين – ص ٨٢.

ومن الصعب علينا أن نهتك هذه الحجب إلا بالتخمين ، والخيال ، والغيبيات ، وكلها مرفوضة لدى علم اللغة الحديث .

وسواء كانت هذه الأصوات ناشئة عن طبيعة الإنسان ، أو أجمع على وجودها بالاصطلاح والمواضعة ، أو بوحي إلهي وتوقيفي ، أو نشأت للمحاكاة لأصوات الحيوانات أو الطبيعة ، أو للأصوات الانفعالية ، أو الأصوات الجماعية ، أو المؤثرات الخارجية ، أو أن اللغة غريزة في الإنسان الأول ، أو غير ذلك مما قيل في نشأة اللغة[١].

فإن اللغة : هي تلك الأصوات التي ينتجها جهاز النطق الإنساني معبرًا بها عن إحساساته وحاجاته اليومية المتعددة ، وهي تعبير وتوصيل وتواصل [٢] ، كما أنها أداة نستخدمها للتأثير في الغير .

حقيقة المنهج :

أولًا:المنهج لغةً: المنهج والمنهاج : هو الطريق الواضح والنهج بتسكين الهاء هو الطريق المستقيم، يقول ابن منظور:طريق نهج :بين واضح وأنهج الطريق : و ضح واستبان وصار نهجا بينا واضحا، وفي كلام العرب : إنّهج رجل ينهج أي يربو من السمن ويلهث، وأنهجت الدابة :صارت كذلك، وضربه حتى أنهج أي انبسط، وقيل بكى، ونهج الثوب ونهج فهو نهج، وأنهج : بلي ولم يتشقق وأنهجه البلى فهو منهج، ويقول الخليل :طريق نهج :واسع واضح، وطرق نهجة، ونهج الأمر وأنهج، لغتان، أي وضح، ومنهج الطريق :وضحه، والمنهاج :الطريق الواضح .

وورد في المعجم الوسيط" : المنهج هو الخطة، ومنه منهاج الد راسة ومنهاج التعليم ونحوهم ، وقد أجمعت معظم المعاجم على أن المنهج هو الطريقة أو الأسلوب ويستخدم هذا المصطلح أيضا للدلالة على طريقة البحث عن المعرفة والاستقصاء ..

كثيرًا ما يوظف المنهج على أنه التيار أو المذهب أو المدرسة، بهدف الكشف عن الطريقة أو الأسلوب لتيار معين ، أو مذهب معين أو جماعة معينة ، يقول أحمد مطلوب إ ن المعنى العام للمنهج هو الأسلوب الذي يقود إلى هدف معين في البحث والتأليف أو السلوك .

---

(١) انظر : دراسات في فقه اللغة – د/ صبحي الصالح – ص ٣١:٦٦ ، ودلالة الألفاظ – د/ إبراهيم أنيس ص ١٢٣ ، وفي علم اللغة العام – د/ عبد الصبور شاهين – ص ٦٩: ٨٢.

(٢) يستخدمها الإنسان ليعبر بها عن أفكاره المختلفة ، وحاجاته المتعددة ، وهذا التعبير يريد به الإنسان أن يوصل رسائل معينة إلى أفراد المجتمع الذي يعيش فيه ، فيرتبط بهم ويرتبطون به ، وهنا ينشأ نوع من التواصل والترابط بين أفراد المجتمع
انظر : أصول تراثية – د/ كريم زكي حسام الدين – ص ٩٢ ، ومدخل إلى اللغة – د/ محمد حسن عبد العزيز – ص ١١٩.

والمنهج : يعني" الطريقة أو مجموعة الإجراءات التي تتخذ للوصول إلى شيء محدد كأن نتخذ خطوات تحلل بها الكلمة صرفيا، ذلك أن المنهج والمنهاج يرد في العربية على معنى الطريق الواضح..

والمنهاج :الخطة المرسومة(محدثة) ، ومنه منهاج الدراسة أو منهاج التعليم ونحوهما ...

المنهج المنهاج، الجمع مناهج.**والمنهج في الاصطلاح**" :وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة

المنهج العلمي : خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية؛ بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها، ويقصد" بمناهج البحث :الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغرا "ض، ويقصد بها أيضا" : الأصول التي تتبع لد راسة أي جهاز من الأجهزة اللغوية ."

المنهج جملة الإجراءات والأساليب التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها ، ويوضح ما انبنت عليه من مسلمات نظرية وأسئلة محورية، تبين تبعاتها وتوقعاتها، وتعمم نتائجها وتقترح تطبيقات جديدة، ويكشف عن المبادئ والأسس المنطقية في حل المشكلات كما تقترح صياغات جديدة لتلك المشكلات. ويمكن تعريف الأداة بأنها الطريقة التي استخدمت في جمع المعلومات ، كالمقابلة ، والملاحظة ، أو الاستبانة.

ثالثاً: البحث لغةً :

االبحث يعنى طلب الشئ وإثارته، وفحصه، وكلّها معان تشير بالفعل إلى طبيعة البحث العلمى؛ إذ هو طلب لمجهول يستدعى كلّ ما يمكن أن يمدّ الباحث بمعلومات مفيدة فى مجال البحث والتنقيب عنه ، ثم فحص ما تجمّع من تلك المعلومات لطرح ما ليس ذا صلة بالبحث المطلوب وإبعاده ، ثم دراسة وتحليل ما تبقى ممَّا له صلة مباشرة ، أو يساعد على دراسة جانبٍ من جوانبه . والبحث : طلبك الشئ فى التراب ، والبحث أن تسأل عن شئ وتستخبر، ويقال:بحث عن الخبر، أى طلب علمه.

وقد وردت كلمة[بحث] فى القرآن الكريم فى موضع واحد فى سياق خبر من أقدم أخبار الإنسان ، دالةً فيه على الطلب فى الأرض ،كما فى قوله تعالى:[فبعث اللهُ غُرابًا يبحثُ فى الأرضِ ليريَهُ كيفَ يُوارى سوأةَ أخيه] المائدة / ٣٦ ...

وبالرجوع إلى كتب اللغة والبحث فيها عن مادة [ب ح ث] نجدها تدور حول معنى واحد هو طلب الشئ وإثارته وفحصه ، والتنقيب والتفتيش عنه .

أمّا البحثُ اصطلاحًا فهو محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها ، ثم فحصها وتحقيقها بتقصٍ دقيق ، ونقدٍ عميق ، ثمّ عرضها عرضًا مكتملاً بذكاء وإدراك لنسير فى ركب الحضارة العالميّة ، وتسهمُ فيه إسهامًا شاملاً أو هو طلب الحقيقة وتقصسها وإذاعتها بين النّاس ... أو هو الطريقة التى يسير عليها دارس أو باحث ليصلَ فى النهاية إلى حقيقة فى موضُوع من الموضُوعات أو فى علمٍ من العلوم . مؤيدة بالحججِ والأساليب التى تيبهنُ على صدق ما توصّل إليه من خلال أُسلوبٍ علميٍّ قويّ

والبحث اللغوى لا يحتاج من الباحث اللغوى إلاّ إلى أن يعمد إلى نصوص اللغة ، فيقوم بجمعها واستقصائها ، ثمّ يأخذ فى تحليلها ، وبيان ما اشتملت عليه من عناصر يصفها وصفًا لُغويًّا ، ويُلاحظ ما بينها من علاقات ، وما تؤديه الكلمات من وظائف فى التركيب ، وما تدل عليه التراكيب من معان دون أن يتدخّل برأيه فى شئ من ذلك ، فمهمة الباحث تقف عند[الرصد ، والملاحظة ، والتحليل ، والوصف] فلا يتجاوز تلك النصوص إلى شئ آخرَ من فلسفة أو منطق ، أو أُمور غيبيّة لا سندَ لها من النصّ اللغويّ .

والبحث متعة لا يدرك حقيقتها إلاّ مَن خاض غمرات المجهول بحثًا عن الحقائق ، فإذا وصل إليها ارتاحت نفسه واطمأنَّ قلبه ، ولن تكون للبحث متعته ولذّته المرجوّة إلاّ إذا توافرت فيه الحريّة الكاملة الكافية ..

ودراسة البحث اللغوى على أُصُول وقواعد ثابتة دراسة مهمة للغاية ؛ وذلك لأنها تضعُ الباحث فى أوّل الطريق الجامعىّ على أُصشول البحث وقواعده وخطواته فى مجال البحث إلى أن يكتمل فى صياغة تامّةٍ ، سواء أكان بحثًا صفيًّا فى سنوات الجامعة،أم بحثًا لنيل درجة تخصُّصيّة معيّنة .

والبحث اللغوى ما هو إلاّ فرع من فروع البحث العلمى العام ، والعناية به تقتضى الاهتمام بالمصادر والمراجع ؛ لأنهما اللذان يؤخذ منهما مادة البحث .

ومن خلال القراءة والتصفُّح . وهو عمل الباحث . فى كتب التراث لجمع النصوص التى يتكوّن منها البحث ويقوم عليها ، ثم يقوم الباحث بتقييده فى أوراق محفوظة حتى لا ينفلت ما جمعه سريعًا إذا اعتمد على ذاكرته ... لذا قيل :

- العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيدُهُ ..... قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيدَ غزالةً...وتعيدها بين الحدائق طالقة ثم مرحلة التنقيح والاختيار من بين النصُوص المكتوبة ما يكتمل به البحث المطلوب

فليس من الضرورى أن يضيف الباحث جديدًا إلى حقائق العلم والمعرفة ؛ لأنه قد لا يتمكن من

إضافة ذلك الجديد ، وتكون مهمته ـ حينئذٍ ـ إقرار حقيقة معروفة ، أو التأكد من صحّة قانون مسلّم يه ، ؛ لأنه ليس بلازم أن ما بحث مرّة لا يبحث ثانية ، أو ما حُقِّقَ مرّة لا يُحقّق ثانية ، وإلا لما تقدّم العلم خطوات إلى الأمام ، فكم من الحقائق التى كانت من المسلمات أضحت ـ بعد البحث والفحص ـ ليست بحقائق وإنما أوهام وظنُون . ... هذا وقد يأخذ البحث اللغوى ـ أحيانًا ـ شكلاً تفسيريًّا نقديًّا ، فيشتمل على الكثير من التعليلات والأدلّة المنطقيَّة بهدف الوصُول إلى حلول ، وذلك حينما يكون موضُوع البحث تقويم لغة أديب ـ مثلاً ـ وينبغى أن يتوفر فيه إلى جانب معرفته التّامّة والدقيقة بعناصر اللغة ـ قوّة الملاحظة ، وحدّة النظر ، والفطنة ، والخبرة ؛ لأن هذه الأشياء جميعًا تؤهله إلى التفسير النقدى ، والتعليل المنطقى ..

فقد يكون من أهداف البحث :

١ـ شرح البحوث السّابقة التى تحتاجُ إلى شرح وتوضيح وتفصيل

٢ـ إعادة صياغتها من جديد بأُسلُوب يناسب العصر .

٣ـ اختصار المطوّل منها دون أن يُخلَّ بشئ من معانيه .

٤ ـ إعادة ترتيبها وتوزيعها من جديد تسهيلاً على القارئ لها .

٥ ـ إجراء موازنة بينها ، وترجيح بعضها على بعض .

٦ ـ عمل تعليقات عليها تزيدها وضوحًا وفائدة .

٧ ـ تكوين موضُوع منظّم من مادة متناثرة .

البحث اللغوى عند العرب : **ليست الدراسات اللغويّة مبكرة عند العرب؛ وذلك لما يلى**:

أولاً : اعتمادهم على الحفظ ، وعلى مشافهة الأعراب ، وعلى التلقى.

ثانياً : ولأن اللغة العربيّة هى لغتهم المتوارثة منذ نعومة أظفارهم .

ثالثاً : ولأنَّ اللغة العربيّة لسان المحادثة والخطابة والشّعر لديهم .

رابعاً : ولكونهم أمّةً أُميَّةً لا عهد لها بالتدوين، ولا تدعو إليه الحاجة.

خامساً:توجيه اهتمامهم إلى العلوم الشّرعيّة والإسلاميّة منذ القرن الثانى الهجرى حيث بدأ علماءُ المسلمين يسجلون الحديث النبوى ويؤلّفون فى الفقه الإسلامى، ثم اتّجهوا إلى تسجيل العلوم غير الشّرعيّة ومن بينها اللغة والنّحو .. وذلك كله لخدمة النصّ القرآنى ..

سادساً: لم يُؤثر عن العرب أى نوعٍ من هذه الدراسات قبل الإسلام فلقد سبقتهم إلى تلك الدراسات أُممٌ كثيرة ... حتى نزول القرآن باللغة العربيّة لم يكن للعرب سبق تدوين لغتهم ودرسها ، ولم يكن لهم عهد بالتأليف ولا بالقراءة ، ولا بالكتابة، ولا بالحساب ، وقد أكّد ذلك الحبيبُ المعصُوم سيدنا" مُحمَّدٍ [ﷺ] فى حديثه:"إنَّا أُمَّةٌ أُميَّةٌ لا تقرأُ ولا تحسب".

فلما جاء الإسلام، وامتدّت فتوحاته بدت الحاجة إلى جمع اللغة وتفسيرها وإلى تعليمها ، وإلى الحفاظ عليها ممَّا قد يتسرّب إليها من اللحن الذى تفشّى نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من العجم فى الأسواق عن طريق التجارة، والخطابة، ومجالس الشّعر، هذا وقد أنكر سيدنا عمر، وسيدنا علىّ(رضى الله عنهما) اللحن ؛ فرسِم الإمام لأبى الأسود الدؤلى عمل النحو وصناعته، فكان ذلك من الدواعى الملحة لوضع القواعد النحويّة التى تقى اللسان من الخطأ فى الأصوات ومعانى الكلمات والأساليب والقواعد التى فسد منها ما فسد ؛ فكان ذلك دافعًا داعيًا إلى جمع الألفاظ مؤيدة بمأثُور الكلام وبخاصّة الشّعر حتى تظلّ اللغة واضحةَ المعانى فيستعان بها على فهم ما قد يخفى من ألفاظ القرآن الكريم؛ لذا قيل:"إذا أُلبسَ عليكم شئ من القرآن فالتمسُوهُ فى الشّعر فإنى عربىّ"، وفى المزهر للسيوطى :" إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسُوهُ فى الشّعر؛ فإنَّ الشّعرَ ديوانُ العربِ"، إضافة إلى احتياج أهل البلاد المفتوحة الذين اعتنقوا الإسلام إلى تعلّم اللغة العربيّة؛ لفهم كتاب الله وسُنّة رسُوله مُحمَّدٍ [ﷺ] ؛ ليثبت ذلك الدين فى نفوسهم ويعرفُوا مبادئه وتعاليمه .

ومن هنا فإن لقاء اللغة العربيّة بلغات البلاد التى فتحها المسلمون أوجد تشوهًا فى أُصُولها ، وفى طريقة أدائها، وإلى إهمال بعض الألفاظ العربيَّة واستعمال كلمات أجنبيَّة دخلت العربيّة للحاجة إليها فشاعت على ألسنة الناطقين بها من أهل تلك البلاد ، ثم دورانها فى الاستعمال العام وإهمال نظائرها العربيّة ، أو تقليدًا من العرب لما استعذبُوهُ من ألفاظ تلك اللغات الأخرى نتيجة اتّساع نطاق

الاختلاط بالأعاجم .. ولا شك أن العربيّة صرعت لغات البلاد المفتوحة ـ كالفارسيّة فى العراق ، والروميّة فى الشّام والقبطيّة فى مصر ..

يُضاف أيضًا أن بعض العلماء أرادوا أن يُثبتوا براعة العربيّة ورقيّها على غيرها من اللغات وصلاحيتها للحياة والحضارة بجانب الحفاظ على دين الإسلام وكتابه المقدّس[القرآن الكريم]

فالخلاصة أن الدراسات الأوليَّة كانت تهدف إلى الحفاظ على النص القرآنى وفهم مدلوله ومعناه، ومنها نقط أبى الأسود الدؤلى للمصحف الشريف ..

ولا نغفل أن المدونين الأولين للغة دوّنوا المفردات حسبما اتفق، وبقدر ما يتيسّر لهم سماعًا،

فقد يسمعون كلمة فى:[الفرس، والغيث، والأنواء والرجل القصير، والنبات، والشّجر، والإبل ، والخيل، والسّلاح] ، وهكذا يدونون بلا ترتيب ، ثم اتّجهوا بعد ذلك إلى التبويب، والتصنيف ، والتقسيم سواء بردها إلى النظائر،أو بحسب الموضُوعات ، ومنهم من اهتمّ بتسجيل الظواهر الخاصّة بالقبائل ، ومن هنا ظهرت جهودهم فى تكوين المعاجم اللغويّة وإنشائها ، وعلى رأس هؤلاء العالم اللغوى الخليل بن أحمد الفراهيدى [ت ١٧٠ أو ١٧٥ هـ] وكتابه " العين " بما حوى من تبويب للمادة اللغويّة واهتمام بالألفاظ والمفردات من حيث الجمع والتفسير والإحصاء ، وأيضًا العالم اللغوىّ ابن السّرّاج [ت ٢١٦ هـ] فى أُصُول النحو ، وابن جنّى [ت ٣٩٢هـ] فى خصائص العربيّة ، وابن فارس[ت ٣٩٥هـ] فى فقه اللغة وأُصُولها وخصائصها ، بجانب نحوها وصرفها .

لكن الفكر العلمى المتوهج لم يزل يحسّ أن لغة العرب لم يُكشَف بعد عن كلّ أسرارها ، بل إنّ كلّ ما عرف من نحو وصرف وألفاظ إنما يمثّل فروعًا لم يصل البحث العلمى بعد إلى جذورها وأُصُولها والمعرفة العلميّة ، ولا تتمُّ بالفروع ، ولا تتحقّق بالجزئيَّات ..

<u>ومنذ نهاية القرن الرابع الهجرى</u> توالى التأليف فى متن اللغة وفقهها ولكن دون مناهج مبتكرة أومادة علميّة جديدة فى أغلب الأحيان ، وتبيَّن ذلك فيما تلاه من عصُور ..

<u>ففى القرن الخامس الهجرى</u> ظهرت مؤلّفات لغويَّة تحوى بحُوثًا متعلّقةً بفقه اللغة ومتنها ،كـ [كتاب فقه اللغة: للثعالبى ت ٤٢٩ هـ] بما فيه من اهتمام بمعانى الألفاظ، والكلمات المعربة، والمنسوبة، والمقارنة بين اللغات، ودرجة استعمال الألفاظ كثرة وقلّة،وغيرها من المباحث المتعلقة بمتن اللغة،وفقهها، واشتقاقاتها، ومجازاتها، والمعرب منها، ودلالة الألفاظ ،والمشترك اللفظى،

والترادف،والتضاد، وقضايا الإبدال ، والمذكر والمؤنّث، والأصيل والدخيل ، والصّحيح والضّعيف ، وتداخل اللغات وتوافقها،والقلب والإبدال ، والنحت ، وغير ذلك من البحُوث اللغويّة كما فى كتاب [مبادئ اللغة للإسكافى ت ٤٢١هـ]، وكتاب[المخصّص لابن سيدة ت ٤٥٨هـ]، ومعجم" أساس البلاغة " للزمخشرى [ت ٥٣٨ هـ]..

وفى القرن السّابع ألَّف ابنُ منظور[ت ٧١١ هـ] كتابه " لسان العرب" وفى القرن العاشر ألّف السّيُوطى [ت ٩١١ هـ] كتابه " المزهر " فى علوم اللغة ..

وفى القرن الحادى عشر يؤلّف شهاب الدين الخفاجى كتابه " شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل .. وأعتقد أن معظم ما جاء من مؤلّفات بعد نهاية القرن الرابع كان نقلاً من علوم السّابقين وهى على كلّ حال دراسة مفيدة إلى جانب ما يبدو لأصحابها ـ أحيانًا ـ من آراء مدعمة بالكثير بما ورد فى كتب السّابقين ..

ومع تقسيم الدولة العباسيّة إلى دويلات ثم سقوطها واستيلاء غير العرب على مقاليد الحكم فى البلاد أخذت الحركة العلميّة تخبو ، وفرّ مَنْ فرَّ من علماء القطرين[المشرق والمغرب]إلى مصرَوالشّام بعد سقوط الخلافتين العباسيَّة والأندلسيَّة،وضاعت معظم المؤلّفات،وذهب جُلُّ الكتب فى الفتن الكائنة من التتار وغيرهم .. وبذا ضعفت تلك النهضة العلميَّة وركدت الحركة اللغويَّة العربيَّة ؛ نتيجة اهتمام الأتراك بلغتهم التركيَّة والعمل على إضعاف اللغة العربيّة ، وإن كانت حركة التأليف موجودة ومستمرّة فى النقل عن السّابقين، أو تلخيص ما قالُوه ، أو شرحه ، أو التعليق عليه .

بدأت الحركة العلميّة فى الظهور فى العصر الحديث بعد مجئ الحملة الفرنسيّة ورحيلها عن مصر، فانتشر التعليم ، وأُوفدت البعثات العلميَّة إلى أُوربا ، ونما الاتّصال الفكرى بين العرب والغرب، واستجلاب العلوم الغربيَّة الحديثة إلى مصر، كعلوم اللغة،وعلم الطباعة، وظهور الصحافة والمسرح ودور الخيالة، ثم دور الإذاعة، ممّا كان له الأثرُ الأكبر فى ذيُوع اللغة العربيَّة ، وارتقاء الفكر ، وغزارة المعارف ، فظهرت الحاجة إلى مناقشة قضايا اللغة لتفى بحاجة المجتمع ، فأنشئت المجامع اللغويّة فى مصر والعراق وسوريا ، وكان لذلك فضل كبير فى نهُوض الدراسة اللغويّة وظهور بحوث علماء اللغة المحدثين كدراسة أصوات اللغة وتراكيبها ودلالاتها، ودراسة اللهجات ، وبادرت الجامعات المصريَّة فى

تدريس هذه العلوم على الطلاب ، وحثّ طلبة الدراسات العليا فى التنقيب عن تراث الأجداد ، ومدى التأثير والتأثّر

تنوعت البحوث اللغويّة عند العرب خوفًا من اللحن، وحفاظًا على كتاب الله تعالى ، وقامت *دراسات متنوعة للغة* ، منها :

أولاً :**جمع الألفاظ** :

أ ـ جمع الألفاظ من البادية لأخذ اللغة من الأعراب الفصحاء وتدوينها صافيةً دون شوائب العجمة نتيجة الفتوحات الإسلاميَّة واختلاط العرب بغيرهم من الأُمَم ، وتشمل ألفاظًا خاصّة ببعض الموضُوعات كما فعل الأصمعى وأبو خليفة الدينورى وأبو زيد فى أسماء الوحوش والنبات والشّجر، والإبل والخيل، والسّلاح ، والأنواء، والغرائز، والجرائم .

ب ـ جمع الألفاظ الموضُوعة لمختلف المعانى كما فعل ابنُ السكيت فى الألفاظ، والهمذانى فى الألفاظ الكتابيَّة، والإسكافى فى مبادئ اللغة، وابنُ سيدة فى المخصّص .

ج ـ جمع ألفاظ اللغة على نظام معجمى دقيق ومنظم ومشروح شرحًا وافيًا مؤيّدًا بمأثُور الكلام شعرًا ونثرًا : قرآنًا وحديثًا ... وقد جاء على يد الخليل فى أوّل معجم عربى[العين]،وسار على دربه الأزهرى فى تهذيبه والقالى فى بارعه، وابن سيدة فى محكمه، وابن دريد فى جمهرته ،كما انتهج الجوهرى فى صحاحه طريقة القافية، وحذا حذوه الفيروز أبادى فى قاموسه، وابن منظور فى لسانه..وطريقة الأبجدة عند ابن فارس فى مقاييسه ومجمله،والزمخشرى فى أساسه،والفيومى فى مصباحه وغيرهم من أرباب المعاجم الحديثة.

ثانياً : **وضع القواعد التى تقى اللسَان من الخطأ** :

وقد قامت به طائفة من العلماء لتصحيح الخطأ اللغوى والحفاظ على طبيعة السليقة العربيّة؛ حتى لا يقع متعلمها فى اللحن، ولتستقيم الألسنة عليها .... ويتم ذلك عن طريق وضع القواعد اللغويَّة الخاصَّة بالمفردات [الاسميّة،والفعليّة،والحرفيَّة]والتراكيب العربيَّة كما نطقها العربىّ الفصيح وقد أُطلق على ما يختصُّ منها بمواقع الكلمات والجمل [علم النّحو] وما يختصّ ببنية مفردات اللغة[علم الصّرف]وتعدّدت البيئات اللغويَّة فاشتهرت البصرة، والكوفة ،وبغداد ،والأندلس، ومصر، وغيرها..

وتعدّدت المناهج العلميَّة والمذاهب حيث اعتمد البصريُّون على دراسة الظواهر النّحويّة دراسة وصفيَّة تحليليَّة معتمدين فى دراسة الظاهرة على الكثرة من الشّواهد التى تؤكّد القاعدة التى رأوها ... بخلاف الكوفيين الذين كانوا يكتفون بالشّاهد الواحد ولو لم يُعرف قائله ... ويراه البعض من الباحثين أنه بعيدٌ عن الدرس اللغوى الصّحيح، أى: لا يتفق والبحث العلمى السّديد؛ لما جاء به من تكثير للقواعد ، وتضاربها فى بعض الأحيان ... ثم فريق البغداديين الذى وقف بين الفريقين السّابقين فأخذوا منه ما يوافق هواهم وما يحلو لهم موفقين بين المذهبين فى كثير من قضايا النحو ومسائل الصّرف ... كما أسهمت الفرق الأخرى[الأندلسيون، والمصريون] بآراء لا يُستهان بها .. حتى جاء المتأخرون من أعلام اللغة أمثال الزمخشرى فى المفصل،وابن الحاجب[ت ٦٤٦هـ] فى الكافية والشّافية وابن مالك[ت ٦٧٢ هـ] فى التسهيل والألفيّة، وابن هشام[ت٧٦١ هـ] فى قطر النّدى وشذور الذهب، وأوضح المسالك، ومغنى اللبيب ..

وأعتقد أنها لا تعدو أن تكون دراسات أوليَّة تعليميَّة ؛ لأنها لا تتعدّى أن تكون إصلاح الأخطاء ، وتقويم اللسان إلى جوهر اللغة ..

ثالثا : **الاهتمام بالقراءات القرآنيَّة** :

وقد قامت به طائفة من العلماء[القرّاء ، وعلماء القراءات] لمعرفة أُصُول علم القرآن، وطريقة أدائه حسب الوجوه المروية فيه عن رسول الله مُحمَّدٍ [ﷺ] وكثرعلماء القراءات واشتهروا بالعدالة والأمانة والضبط، وألّفوا فى القراءات فظهر كتاب الحجة لابن خالويه[ت ٣٧٠ هـ] والحجة لأبى على الفارسى، والمحتسب لابن جنّى.. ثم تتابعت الكتب فى القراءات، كاالكشف لمكى ابن أبى طالب [ت ٤٣٧هـ] ، وجامع البيان لأبى عمروعثمان بن سعيد الدانى [ت ٤٤٤هـ] والكافى فى القراءات السبع لأبى القاسم الإشبيلى[ت ٤٧٦هـ] ، والشّاطبيّة لأبى القاسم الشّاطبى[ت٥٩٠هـ] والنشر وغاية النهاية فى طبقات القرّاء للجزرى[ت٨٣٣ هـ] وغيرها من الكتب..والقراءت حفظت أصوات اللغة العربيّة ؛ لأنها تمثل النطق العربى الأصيل لهذه اللغة .

رابعاً : **الدراسة البلاغيَّة** :

وتختصّ بحوثها ببيان فصاحة الألفاظ وجزالتها،وحسن الأساليب، وموقع كل لفظٍ فيها ، ومناسبتها لمقتضى الحال وظهورها قى ثوبٍ لائقٍ بديع وقد قامت هذه البحوث على دراسة الإيجاز والإطناب ، ودراسة علوم المعانى والبيان والبديع ، وأُلّفت الكتب فى مجاز القرآن لأبى عبيدة [ت ٢٠٩هـ]، وإعجاز القرآن للجاحظ[ت٢٥٥ هـ] والبديع لابن المعتز [ت ٢٦٩هـ]،والصّناعتين لأبى هلال العسكرى[ت٣٩٥هـ]،ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى[ت٤٧١ هـ] ومفتاح العلوم للسكاكى[ت٦٢٦هـ] وتلخيص المفتاح للخطيب القزوينى[ت ٧٣٩هـ] .. وغيرها من المؤلّفات .

خامساً : **الدراسة الأدبيَّة والنقديَّة** :

اهتمّ علماء العرب بدراسة نراثهم الأدبى الذى يعى ثروتهم اللفظيَّة ومادتهم الفكريَّة،وأحوالهم الاجتماعيَّة، وعاداتهم، وتقاليدهم، والأخبار والحوادث الاجتماعيَّة التى تبيّن حال الأُمّة العربيّة وأمجادها وانتصاراتها وتكشف عن مستواها الفكرى والحضارى. مستمدّة من مأثُور كلامهم ومن سجل تاريخهم الحافل ..

ونشأ من ذلك علم تاريخ الأدب فقام بدراسة الشّخصيَّات الأدبيَّة ـ للشعراء ، والخطباء ، والكُتَّاب ، متناولة حياتهم ، والمؤثرات عليها والموازنة بينهم ، والموازنة بين نتاجهم من الناحية الأدبيَّة والفنيَّة .. وفى هذا الشّأن أُلِّفت كتبٌ عديدة يرجع إليها فى علم الأدب والنقد ..

أهمية البحث:

أولًا: **اكتشاف المشكلة**:

يعتبر اكتشاف مشكلة وتحليلها شرطًا مسبقًا لإجراء أي بحث؛ لأن الشعور بالمشكلة هو الدافع الذي يستنير البحث، والطالب لا يستطيع أن يكتشف المشكلة إلا إذا كان مهتمًّا بموضوع ما اهتمامًا زائدًا يدفعه فضوله الفكري لمتابعته إن وجده مكتوبًا أو ملاحظًا أو معاشًا على الواقع، ويعتبر الاطلاع والملاحظة المبدئية أمرين مهمين لتنمية المشكلة في طريق التعرف عليها .

ثانياً: **التعرف على المشكلة**

لا يمكن أن تحل المشكلات إلا إذا كان الباحث يتمتع بموهبته فى إدراك العوامل المحددة التي أدت للمشكلة أو الصعوبة، ويعتبر تعيين المشكلة وتحليلها خطوة كبيرة إلى الأمام، مع اعتبار الاطلاع والملاحظة المبدئية أمرين مهمين لتنمية المشكلة في طريق التعرف عليها..

ثالثاً: التحديد الدقيق للمشكلة:

على الباحث أن يخصص مشكلة بحثه إلى الحجم الذي يجعل معالجته ممكنة ، ولا يتم ذلك إلا بتقنية خاصة، منها :

أ - تحليل المشكلة إلى مكوناتها اليسيرة.

ب - جمع المعلومات التي قد تعين على فهم المشكلة.

ج - اشتقاق المعاني من المعلومات.

د - تمحيص الافتراضات الكامنة وراء المكونات المقترحة ..

رابعاً: عرض المشكلة:

تؤدي المشكلة المصاغة بطريقة غامضة أو مبهمة إلى إرباك الباحث بدلًا من أن ترشده إلى مصادر المعلومات اللازمة لحلها.... ويتطلب وصف للمشكلة عناية فائقة ؛ فالهدف هو عرض الأبعاد الدقيقة للدراسة في صورة لفظية تستخدم مفاهيم ومصطلحات محددة. على أن يصوغ الباحث السؤال الرئيسي والأسئلة المحورية والفرعية التي ينبغي أن يجيب عليها لكي يحل المشكلة..

. هنالك ثلاثة اعتبارات لا بد من توفرها في صياغة المشكلة ، وهي:

- يجب أن تحدد المشكلة علاقة بين متغيرين أو أكثر.

- يجب أن تصاغ المشكلة بوضوح وتوضع في شكل سؤال حتى يسهل تحديدها

-يجب أن يعبر عن المشكلة بحيث يتضمن ذلك إمكانية اختيارها .الحقيقة أن هنالك عدة أسس ومعايير يقوم عليها اختيار المشكلة ، هي:

- الإحساس بالصعوبة.

. وضوح الإشكال وتحديده.

- الأصالة والعمق.

- الفائدة المرجوة والإضافة الحقيقية للعلم ..

- الجدة والطرافة ، بمعنى أنها غير مسبوقة (لم تحل من قبل)..

- تراعى الإمكانيات المادية والعقلية والنفسية الخاصة أسئلة البحث..

: إن أهمية صياغة مشكلة البحث في سؤال مركزي يمكن من فهمها إذ لا تتضح مشكلة البحث تمامًا إلا من خلال طرح مجموعة من الأسئلة المحورية التي تشكل الإجابة عليها حلاً للمشكلة.

على الباحث الذي يريد أن يصل من خلال بحثه إلى نتائج مرجوة الفائدة أن يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة التي تدور حول محور الموضوع تشكل الإجابة المبدئية عليها فروض البحث

فروض البحث..

- بناء الفروض تعتبر مرحلة صياغة الفرض واختبار صحتها أو خطئها من أهم المراحل المنهجية عن تخطيط البحوث والفروض اصطلاحًا هي حلول مقترحة او نبوءة علمية لحل مشكلة الأصل أنها تقديرات تتكون من عناصر صيغت كنظام منسق من العلاقات التي تحاول تفسير حالات أو أحداث لم تتأيد بعد عن طريق الحقائق.

. إن الفروض تتضمن حقائق ولكنها تسمو على الحقائق المعروفة لتعطي تفسيرات مقبولة لأوضاع مجهولة..

-**أهمية الفرض**-: إن فائدة الفروض تبدأ في تنظيم جهود الباحث. وتعينه على تركيز ملاحظاته لاكتشاف العلاقة بين المتغيرات التي ترتبط ببحثه دون تشتت فيقوم الباحث بجمع المعلومات المناسبة لهذه الفروض فيكون أكثر تحديدًا ، وتكون جهوده أكثر إثمارًا ، ويكون بحثه منطقيًا

الفصل الثالث

فقه اللغة

علم العربية

وجهود علماء العربية

تمهيد :

اهتم الباحث اللغوي العربي بالدراسات اللغوية العربية ، لصلاتها الوثيقة بلغته وتراثه العربي والإسلامي ، فقد وازن بين اصطلاحات ثلاثة :

(علم – فقه–لغة) [١] ، حتى يصل إلى الغاية المنشودة من دراسات علماء العربية للغة ، ويتضح له مفهومها .

فالعلم اصطلاحاً :

يطلق على البحث الذي يتناول دراسة مجموعة من الظواهر لمعرفة حقائقها ووظائفها ، وعلاقتها بغيرها ، وتطورها ، وأسباب ذلك ونتائجه ، على جهة الوصف التحليلي .أما ما يتجه إلى التطبيق والاستفادة من دراسة الظواهر فإنه يسمى" فنًا " .

فقه اللغة :

هو العلم الذي يكشف أسرار اللغة ومعرفة قوانين حياتها ، وسر تطورها ، ودراسة ظواهرها المختلفة : تاريخية ، ووصفية ، كما يهتم بدراسة ، ومعرفة الخصائص النحوية ، والصرفية والصوتية ، والدلالية ، وغيرها من أنظمة اللغة .

أي أنه يشمل كل الدراسات اللغوية :

كالبحث في نشأة اللغة والاحتكاك ، والأصوات ، ودلالة الألفاظ ، والتر اكيب النحوية ، وعلاقة الجمل بعضها ببعض ، ودراسة الأساليب البلاغية ، ويطلق عليه في الغرب (فيولوجي)[٢].

كما يبحث فقه اللغة في مسائل :

كـ (الإبدال ، والقلب ، والنحت ، والتصحيف ، والاشتراك ، والترادف ، والاشتقاق ، والقياس والاطراد ، والشذوذ وغيرها .

وفقه اللغة هو : العلم الذي يبحث عن الألفاظ العربية ومعانيها وتراكيبها وعن المباحث العامة التي تتعلق بها في أطوارها المختلفة .

---

(١) فمادة (علم) تفيد الفهم الدقيق والمعرفة والخبرة بالشيء

والمَعلَم لغة : الأثر يستدل به على الطريق ، وعلمت الشيء : عرفته وخبرته وشعرت به ، وأتقنته ، والمتعلم : الإنسان أول دخوله في العلم ، والعالم : الإنسان طالت مزاولته للعلم ، والمعالم : الآثار التي تدل على شيء ما معنويًا أو ماديًا .

أما مادة (فقه) : فتفيد العلم والفهم ، والفقيه : العالم ، والأنثى : فقيهة من نسوة فقائه وفقهاء ، وفقهت الحديث أفقهه إذا فهمته ، (وفقه) بضم القاف : صار فقيهًا والوصف : فقيه ، وفاقهته ، أي : باحثته في العلم .

انظر : لسان العرب والمصباح المنير – مادة (ف ق هـ) .

(فقه) مادة (ف ق هـ)كما ورد في لسان العرب : الفقه : العلم بالشيء والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله ، على سائر أنواع العلم ، وأصل الفقه : الفهم ، وفقه فقهًا ، بمعنى : علم علمًا ، وفي المعجم الوسيط : الفقه : الفهم والفطنة والعلم ، وغلب على علم الشريعة و أصول الدين.

(٢) قد عرف (فقه اللغة) في العالم العربي الحديث في الجامعة المصرية حين ألقى (جويدى) محاضرته بالجامعة المصرية في ١٩٢٦/١٠/٧ ، ورأى أن كلمة (فيولوجي) يصعب ترجمتها للعربية ، وقد تعني دراسة الصرف والنحو والنقد والأدب واللغة والحياة العقلية ، فيدخل في دائرة الفيولوجي (علم اللغة) وفنونها المختلفة ، كتاريخ اللغات ، ومقابلة اللغات ، والنحو والصرف ، العروض ، وعلوم البلاغة ، وعلم الأدب ، وتاريخ الأدب ، وتاريخ العلوم ، وتصنيفها ، والتدوين .

✿ **هذا وقد شاع ذكر** هذا المصطلح (فقه اللغة) في كتب العربية قديمها وحديثها ، ويطلق على نوع من البحوث اللغوية كالكلام في أصل ونشأة اللغة ، وخصائصها ، وتداخل اللغات وتوافقها وتنوعها فروعًا ولهجات وقضايا لغوية أخرى كالقياس ، والاطراد، والشذوذ، والاشتقاق، والترادف، والمشترك اللفظي والمعنوي، والفصيح من الكلام ، والمصنوع والدخيل ، والمعرب والمولد ، والقلب ، والإبدال ، والنحت ، والتصحيف ، والتحريف ، وغير ذلك من الموضوعات التي يشملها فقه اللغة [١] .

وفقه اللغة مصطلح له وجود تاريخي في تراثنا العربي .

✿ فقد سمى به كتاب لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) : " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلاهما " وهو يضم أبحاثًا شتى في اللغة العربية في الخط العربي ، وفي اللهجات، واختلاف اللغات ، والفعل ، والحرف ، ومعاني بعض الأدوات والحروف ، كالتاء ، والفاء ، وإنما ، وإلا ، وإذا ، وغيرها ، وقد جزم د/ عبده الراجحي بأن أول من أطلق وابتكر هذه التسمية ، أو هذا المصطلح ، هو أحمد بن فارس .

كما سمى به كتاب لأبي منصور الثعالبي (ت٤٣٠هـ) : " فقه اللغة وأسرار العربية " ويضم في قسمه الأول : الألفاظ الخاصة بالنبات والشجر، والطعام والثياب ، وبعض الألفاظ الأجنبية التي دخلت العربية عن طريق الفارسية ، ويضم قسمه الثاني أبوابًا عن : التقديم ، والتأخير والإضافة والكناية والاستعارة والنعت والاشتقاق والابنية .

والواقع :

أن ما ذكر في هذين الكتابين يوضح خصائص اللغة العربية وأسرارها الدقيقة ، وأن هذه العبارة لم تتخصص في نوع من فروع الدراسات اللغوية المعروفة لدى القدماء كالأصوات والنحو والصرف والمعاجم .

أضف إلى هذين الكتابين كتاب الخصائص لابن جني ، وكتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، وقد تناولت هذه الكتب كثيرًا من قضايا اللغة العربية ، بالإضافة إلى ما يتصل بتحديد مفهوم اللغة ونشأتها وعوامل تطورها ..

مما يؤيد ما ذهب إليه العلماء في مفهوم (فقه اللغة) عند القدماء ، من أنها لم تكن تدل على منهج واضح ، أو نظرة عامة في تناول الدرس اللغوي .

" منهج فقه اللغة "

---

(١) راجع : قضايا لغوية – د/كمال بشر – ص٢ وما بعدها ، مقدمة في علوم اللغة – د/ البدراوي زهران – ص ١٢٧ وما بعدها .

قيل : إنه منهج للبحث استقرائي وصفي يعرف به موطن اللغة الأول، وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة ، أو البعيدة الشقيقة أو الأجنبية وخصائص أصواتها ، وأبنية مفرداتها وتراكيبها ، وعناصر لهجاتها ، وتطور دلالتها ، ومدى نمائها قراءة وكتابة .

وتتعلق بحوثه بعلوم التاريخ لمعرفة موطن اللغة الأول وروابطها باللغات الأخرى، واللهجات ثم علم الأصوات ، ثم علم الدلالة لبحث تطور الألفاظ ، وما تفيده من المعاني[١].

" مراحل التأليف في فقه اللغة "

مر التأليف في فقه اللغة العربية بعدة مراحل شهدت كثيرًا من علماء (قدماء ومحدثين) قدموا دراسات مفيدة لأبناء العربية

أولًا : مرحلة الرعيل الأول :

بدأت على يد الخليل صاحب كتاب العين ، وتلميذه سيبويه (ت١٨٠هـ) ، وما قدمه الأصمعي (ت ٢١٦هـ) في كتابه الاشتقاق ، وابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) في الاشتقاق ، والزجاجي (ت٣٣٧هـ) في كتابه الاشتقاق .

وبعض المؤلفات عن ظواهر لغوية متأثرة كالترادف والتضاد والقلب والإبدال وغيرها ، وجدت في مؤلفات الرعيل الأول من هذه المرحلة أمثال : أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، وغيرهم .

ثانياً : مرحلة النضج والازدهار :

وهي مرحلة العصر الذهبي للغة ، على يد ابن جني ، في كتابه " الخصائص " الذي بحث في أصل اللغة ونشأتها ومقاييسها ، ثم على يد أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه " الصاحبي في فقه اللغة " ، وسنن العرب في كلامها – معالجًا مسائل فقه اللغة العربية وخصائص العربية النحوية والبلاغية والصرفية ، وظواهر أخرى كثيرة في اللغة .

يجعل الكثيرين يقولون : بأن الدراسة الواسعة لموضوعات فقه اللغة لا تكاد تبدأ إلا في عمل هذين العبقريين المتعاصرين : ابن جني، وأبي الحسين بن فارس بن زكريا.

ثالثاً : مرحلة الضيق والانحسار :

تناثرت بعض قضايا فقه اللغة في كتاب الثعالبي (ت ٤٢٥ هـ) فقه اللغة وسر العربية ، وهي تسمية تجوزا ، فما فيه معاجم إلا قليل مما يخص فقه اللغة العربية ، كذلك في كتاب " المخصص " لابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ) بعض المسائل : كالترادف والاشتراك ، والتعريب والاشتقاق ، والتذكير ، والتأنيث ، والمقصور والممدود ، وغيرها ، ثم كتاب أبو منصور

---

(١) انظر : فقه اللغة – د/ صبحي الصالح .

الجواليقي (ت ٥٢٩ هـ) حيث قضية التعريب وبعض الألفاظ المعربة ، وسميت المرحلة بذلك لضيق مفهوم " فقه اللغة " فيها ، وجعله في مسائل محدودة .

رابعاً: مرحلة العودة إلى الازدهار :

وذلك على يد الإمام السيوطي (ت٩١١ هـ) في كتابه " المزهر في علوم اللغة "، وهو يتناول كثيرًا من البحوث اللغوية في فقه اللغة : نشأة اللغة ، المصنوع – الفصيح– الحوشي – الغريب – المستعمل – والمهمل – وتوافق وتداخل اللغات – المولد – المعرب – الاشتراك – الترادف – التضاد ، الاشتقاق ، القلب – الإبدال – النحت ، ويعد الكتاب دائرة معارف في فقه اللغة.

ثم كتاب " شفاء الغليل في الدخيل من كلام العرب " لشهاب الدين الخفاجي ، ثم كتاب " الجاسوس على القاموس " ل أحمد بن فارس الشدياق في نقد المعاجم المتقدمة ، ثم كتاب " سر الليال في القلب والإبدال "

وكلها كتب تدل على نهضة لغوية أثمرت جهودًا رائعة في خدمة اللغة العربية، وعلم اللغة بشكل عام .

خامساً : مرحلة المعاصرة :

هي التي أنشئت فيها المجامع اللغوية العربية في مصر وسوريا والعراق ، وأوفدت فيها البعثات لأوروبا وأمريكا، ودعوة المستشرقين للتدريس في الجامعات المصرية والعربية – دراسات لغوية حديثة – وقد انعكس ذلك كله على جهود المحدثين من العرب في التأليف في موضوعات " فقه اللغة العربية ، وعلم اللغة العام .

" جهود علماء العربية في (فقه اللغة)[١] "

اسم " فقه اللغة " قديم عند العرب فقد سمى (الثعالبي) (ت٤٢٩ هـ) كتابه " فقه اللغة وأسرار العربية " ، " وقبله أحمد بن فارس " (ت٣٩٥ هـ) كتابه " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها " ، وقد شمل مسائل في فقه اللغة ، كنشأة اللغة وخصائص العربية واللهجات ، والفصحى والعامية العربية ، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية ، وآثار الإسلام في اللغة العربية ، والترادف ، وحروف الهجاء العربية ، وحروف المعنى ، وعليه قامت كتبُ كثيرةٌ ، كالاشتقاق ، ومقاييس اللغة وهي من صميم فقه اللغة

كذلك تأليف" ابن جني" (ت٣٩٢ هـ) من قبلهم ، لكتابه" الخصائص" ويضمُّ بحوثًا لُغوية قيمة كأصل اللغة ، ومقياس العربية والقياس ، والاشتقاق ، كما ألف ابن سيدة كتابه " المخصص" وضم الترادف ، والاشتراك ، والاشتقاق ، والتذكير ، والتأنيث ، والمقصور والممدود ، وكذلك البحوث اللغوية الواسعة في كتاب " المزهر " للإمام السيوطي .

---

(١) في فقه اللغة العربية – د/ رمضان عبد التواب .

جهود علماء العربية المحدثين :

للمحدثين من العرب جهود مشكورة ، في التأليف في موضوعات فقه اللغة العربية وعلم اللغة العام ، والترجمة فيهما من اللغات الأجنبية المختلفة .

وهذه قائمة بأهم المصادر العربية في الدرس اللغوي،مرتبة على حسب أسماء أصحابها :

الدكتور إبراهيم أنيس :

الأصوات اللغوية – في اللهجات العربية – دلالة الألفاظ – من أسرار اللغة – مستقبل اللغة العربية المشتركة – طرق تنمية الألفاظ في اللغة – اللغة بين القومية والعالمية .

الدكتور إبراهيم السامرائي :

دراسة في اللغة – الفعل : زمانه وأبنيته – التطور اللغوي التاريخي – التوزيع اللغوي الجغرافي – العربية بين أمسها وحاضرها – مقدمة في تاريخ العربية – مباحث لغوية – فقه اللغة المقارن .

الدكتور أحمد حسين شرف الدين :

اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام – لهجات اليمن قديمًا وحديثًا .

الدكتور أحمد علم الدين الجندي	اللهجات العربية في التراث
د/ أحمد عيسى	التهذيب في أصول التعريب
د/أحمد مختار عمر	من قضايا اللغة والنحو : دراسة الصوت اللغوي
د/محمد المبارك	فقه اللغة وخصائص العربية
الشيخ أمين الخولي	مشكلات حياتنا اللغوية
الأب أنستاس ماري الكرملي	نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها
أنيس فريحة	اللهجات وأسلوب دراستها
د/تمام حسان	مناهج البحث في اللغة – اللغة بين المعيارية والوصفية : اللغة العربية : معناها ومبناها
جورجي زيدان	الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : اللغة العربية كائن حي : اللغة العربية كائن حي العرب قبل الإسلام
د/حسن ظاظا	اللسان والإنسان – الساميون ولغاتهم
د/حسن عون	اللغة والنحو
د/حسين نصار	المعجم العربي : نشأته وتطوره
د/خليل يحيي نامي	دراسات في اللغة العربية
د/داود عبده	أبحاث في اللغة العربية

د/ ربحي كمال	التضاد في ضوء اللغات السامية
د/السيد يعقوب بكر	دراسات في فقه اللغة العربية – دراسات مقارنة في المعاجم العربي
د/ صبحي الصالح	دراسات في فقه اللغة
د/ محمود السعران	علم اللغة : مقدمة للقاريء العربي
د/رمضان عبد التواب	لحن العامة والتطور اللغوي – التذكير والتأنيث في اللغة – فصول في فقه اللغة – التطور اللغوي وقوانينه – اللغات السامية – لنولدكه (ترجمة) فقه اللغات السامية لبروكلمان(ترجمة) العربية ليوهان فاك (ترجمة)
د/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء	لغتنا والحياة
د/عبده علي الراجحي	اللهجات العربية في القراءات القرآنية
د/ عبد الرحمن أيوب	محاضرات في اللغة – اللغة والتطور أصوات اللغة العربية ولهجاتها – دراسات نقدية في النحو العربي
د/ عبد الصبور شاهين	دراسات لغوية – في التطور اللغوي المنهج الصوتي للبنية العربية العربية الفصحى لهنري فليش (ترجمة) – في علم اللغة العام
د/عبدالله أمين	الاشتقاق
د/ عبد السميع محمد أحمد	المعاجم العربية
د/ عبدالله ربيع محمود	علم اللغة ومناهجه
د/ عبد الغفار حامد هلال	مناهج البحث في اللغة والمعاجم علم اللغة بين القديم والحديث
د/ عبدالله درويش	المعاجم العربية
د/ عبدالله العلايلي	مقدمة لدرس لغة العرب
د/ عبد الوهاب حمودة	القراءات واللهجات
د/ عدنان الخطيب	المعجم العربي بين الماضي والحاضر
د/ علي عبد الواحد وافي	نشأة اللغة عند الإنسان والطفل

د/ علي القاسمي	علم اللغة وصناعة المعجم
د/ كمال محمد علي بشر	قضايا لغوية – دراسات في علم اللغة علم اللغة العام (الأصوات)
د/ محمد أحمد أبو الفرج	مقدمة لدراسة فقه اللغة
د/ محمد الأنطاكي	دراسات في فقه اللغة
د/محمد المبارك	فقه اللغة وخصائص العربية
د/ محمود فهمي حجازي	علم اللغة العربية – مدخل إلى علم اللغة اللغة العربية عبر القرون

وفي كل هذه المؤلفات كان اهتمام الباحثين منصبًا على دراسة المفردات دون الجمل ، أو التراكيب ، حتى جاء القرن الرابع الهجري بثقافته المتسعة ، وعلومه الكثيرة ، نتيجة امتزاج الثقافة العربية بالأجنبية ، مما سهل على علماء العرب أن يحصلوا على كتب الأجانب ، وأن يطلعوا عليها بما فيها من دراسات في الفلسفة ، والنجوم ، والرياضيات ، والفلك ، والطب ، فوسع ذلك فكرهم ، وأوقد عقولهم ، وسارت دراسة اللغة إلى نحو جديد يتناسب وحاجات العصر ومناهجه ، فظهرت في العصر الحديث والمعاصر بحوث قيمة ، ومؤلفات جليلة في اللغة ، قام بها مستشرقون وعلماء عرب– قام معظمها على دراسات وصفية تعني بدراسة البحوث السابقة [١] .

لماذا علم اللغة ؟

جاء الإسلام ، وامتدت فتوحاته ، واختلط العرب بالعجم ، ففشا اللحن ، وبدأ يتسرب إلى ألسنة المتكلمين بالعربية ، فتم وضع القواعد النحوية التي تقي اللسان من الخطأ .

ولأن لقاء العربية بلغات البلاد المفتوحة أوجد تشوهًا في أصواتها وطريقة أدائها ، مما أدى إلى إهمال بعض الألفاظ العربية ولا شك أن العربية صرعت لغات البلاد المفتوحة ، وبدت آثار هذا الصراع على العربية بذيوع اللحن ، والفساد ، وشمل ذلك الأصوات ومعاني الكلمات والأساليب والقواعد التي فسد منها ما فسد ، ودخل عليها ما دخل ، مما دفع المهتمين بالعربية للحرص والمحافظة عليها ، فقاموا بجمع وتدوين ألفاظها ، وطرائقها في التعبير ، خوفًا من طمس معالمها ، فهي لغة القرآن الكريم ، مفجر علوم اللغة في التراث العربي .

لذا قامت حولها الدراسات اللغوية المتعددة ، واستنبط القواعد العربية منها في المفردات والتراكيب والأسلوب والدلالة ، وبيان الأصيل منها والدخيل ، والاهتمام بشرح القرآن الكريم

---

(١) هكذا توالى التأليف في متن اللغة وفقهها .

وجمع الحديث ، وعلوم الدين واللغة العربية .
كل تلك الدراسات قامت حفاظًا على كتاب الله ، والوصول إلى ما يحتويه من أحكام ، فكانت أبحاثهم العملية عن طريق قراءة القرآن عن طريق التلقي والعرض أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات ، وكان الفقه أسبق من الأصول .
إذن الدراسات اللغوية العربية تطورت بحيث نراها بادئة بما هو عملي من حيث جمع الألفاظ وضبطها ، ثم دراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى منهج عام في درس اللغة ، فمعالم النشأة للحياة العلمية العربية تنبع من داخلها ، وليس من خلال تأثيرات خارجية أغلبها مزعوم أو ليس له القدرة على أن يصمد أمام النقد العلمي الصحيح ، فالعلوم العربية نشأت متصلة مترابطة منذ البداية ، ثم تطورت بعد ذلك في مناخ عقلي عام صنعته حياة العرب .
وأريد أن أقول : إن فهم المنهج العربي في علومهم العربية يجب أن يلتمس من داخل الحياة العقلية العربية ، والمناخ العقلي العام الذي نشأ وتطور وتأصل في ظل النص القرآني .
وأقول أيضاً : إن هناك فرقًا بين علم يسعى (لفهم) النص ، وعلم يسعى (لحفظه) من اللحن فلو كان الثاني لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس اللغوي ، أما محاولة الفهم هي التي حددت مسار المنهج ؛ لأنها ربطت درس اللغة بكل المحاولات الأخرى التي تسعى لفهم النص ، وما من كتاب إلا وينبه في مقدمته إلى امتلاك أدوات الدرس ، وأولها علوم العربية
ولذا أرى الثعالبي ، يقول : " والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد ، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها وتصاريفها ، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في إعجاز القرآن ، وإثبات النبوة لكفى بها فضلا يحسن أثره ، ويطيب في الدرين ثمره" ([1]).
ويقول الإمام السيوطي : " ولا شك أن علم اللغة من الدين ، لأنه من فروض الكفايات ، وبه تعرف ألفاظ القرآن والسنة
ويقول سيدنا عمر (رضى الله عنه) :" لا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة "
ويقول الفارابي :
" القرآن كلام الله وتنزيله ... ولا سبيل إلى علمه ، وإدراك معانيه إلَّا بالتبحر في علم هذه اللغة
وعلم اللغة هو : الطريقة العلمية المنظمة لدراسة اللغة في ضوء الواقع والاستخدام الفعلي للتراكيب اللغوية ، بهدف وصفها وتحليلها والكشف عن حقيقتها، وبيان وظائفها المختلفة ، مع مراعاة أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وعلى ذلك فهذا العلم يعد من العلوم الاجتماعية، وله

([1]) انظر: فقه اللغة للثعالبي – ص ٢، القاهرة ، ط سنة ١٢٨٤هـ ، وفقه اللغة – د/ عبده الراجحي – ص ٣٥ط .

مكانته المتميزة بين هذه العلوم نظرًا للتقدم الكبير الذي أحرزه في السنوات الأخيرة .
بمعنى أن علم اللغة الحديث لا يجري وراء تصحيح الكلام ، أو الكشف عن أخطائه ، وليس من وظيفته المباشرة وضع قواعد ، أو أحكام عامة ، للتمييز بين الجيد والرديء منه ، وإنما وظيفته دراسة اللغة ذاتها ، دراسة تشمل كل ظواهر الكلام الإنساني في القديم أو الحديث ، عند الأمم المتحضرة أو البدائية ، وتتحقق في أشكال لغات كثيرة ، ولهجات متعددة ، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني ، فعلم اللغة – إذا – لا يقف عند حدود لغة معينة بل يتجاوز اللغات الحية إلى اللغات الميتة ، كما يهتم بدراسة كل أشكال التعبير اللغوي لوضع نظرية عامة في اللغة الإنسانية تكشف عن طبيعة اللغة .
وعلم اللغة يعد أحدث العلوم الإنسانية ، فقد ظهر في منتصف القرن ال١٨ ، وعلى الرغم من تناول قدماء الإغريق والهنود والعرب لموضوع اللغة إلا أن علم اللغة الحديث تناول اللغة بشمول أعم وبمنهجية جديدة حتى وصل إلى حقائق لم تدر في خلد القدماء ، وأن يكشف عن مباديء ونتائج أدق وأعمق من تلك التي عايشوها دهرًا طويلًا .
أما علم اللغة ، أو علم اللغة العام General linguistic ، فقد أدخل للجامعات العربية حديثًا ، ويعالج قضايا اللغة مجردة من الارتباط بأية لغات من لغات العالم ، حيث يبحث هذا العلم في اللغة ذاتها من أجل ذاتها كما يرى العالم السويسري (دوسوسير) [١] .
كان لمحاضرات (دي سوسير) في علم اللغة العام ، والتي نشرت عام ١٩١٦م – أكبر الفضل في تطور الدراسات اللغوية مما يجعله يقف الموقف المؤسس الحقيقي لعلم اللغة الحديث .

" علم اللغة عند علماء اللغة وعلماء الاجتماع "

علم اللغة فقد عرفه العالم (زاده) (ت٩٦٨هـ) بأنه : " علم يبحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية ، وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب " .
وقد عرفه ابن خلدون بأنه : " بيان الموضوعات اللغوية "
وعرفه الفارابي بأنه : " علم الألفاظ الدالة عند كل أمة على قوانين تللك الألفاظ " [٢] .
وعرفه الدكتور / حلمي خليل بأنه :
" العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية ويهتم بدراسة اللغات من أجل ذاتها والحصول على معلومات عن طبيعة اللغة بشكل عام [٣] .

---

(١) انظر : دراسات في علم اللغة – د/ كمال بشر ، وعلم اللغة – د / السعران .
(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون ، وإحصاء العلوم – للفارابي – تحقيق د / عثمان أمين – ط ثانية ١٩٤٩م – القاهرة – ص ٤٥ : ٦٣ .
(٣) أي أن علم اللغة : علم معياري يبحث عن الصواب والخطأ في استعمال الألفاظ من حيث الدلالة والاشتقاق والتركيب ، وضبط اللغة ، ويبحث في نشأة اللغة وأصل اللغة وجمع وتدوين ورواية الألفاظ ، والبحث في دلالة واشتقاق الألفاظ ودراسة جوانب صوتية

وقد عرفه د / محمود السعران بأنه : " العلم الذي يتخذ اللغة موضوعًا له "
وعرفه د / محمود فهمي حجازي بأنه : " دراسة اللغة على نحو علمي "
وعرفه العالم اللغوي (ماريو باي) بأنه :
" الدراسة العلمية للغة واللغات [١] ويعنون بذلك استخدام المناهج العلمية في دراستها ، دراسة تتسم بالوضوح والدقة والنظامية والموضوعية والشمول واليقين
وعرفه بعض المحدثين بأنه العلم الذي يبحث في أي لغة إنسانية ، ويتخذها موضوعًا له ، ويدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة ، وما بينها من علاقات ، كما يدرس العلاقة بين اللغات ووظائفها وأساليبها ونظمها الاجتماعية المختلفة [٢] .
❁ وهكذا نرى أن علم اللغة يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها ، محاولًا الوصول إلى فهم الحقائق والخصائص التي تجمع اللغات الإنسانية كلها ، في إطار واحد .
والعالم اللغوي : هو الشخص الضليع في علم اللغة ، ويهتم بدراسة مفردات اللغة وجمعها ، وإخراج أو عمل المعاجم اللغوية ، واللغوي شأنه ينقل ما نطقت به العرب ، ولا يتعداه ، وهو الشخص الحاذق في استعمال اللغات، وهو الذي يبرع في لغات أخرى بجانب لغته الأصلية [٣]
وعلى اللغوي : أن يقتصر على ملاحظة الحقائق اللغوية ، ويكتفي بوصفها وصفًا موضوعيًا ، ولا يتجاوز ذلك بأن يصدر أحكامًا بالصواب أو الخطأ ، كما أن عليه أن يدرك أن عمله ينحصر في : " وصف الحقائق لا أن يفرض القواعد " فلا يعنى نفسه بترقية اللغة أو السمو بها ، أو تقويم ما فيها من خطأ ، ولا يشغل نفسه بأمور التربية أو تعليم اللغة .
❁ ثم إن العالم اللغوي ليس من يتقن عددًا من اللغات " متعدد اللسان " فقد يجيد لغات جمة ولا معرفة له بطبيعة اللغة ، فالمزارع مجيد للزراعات وأصناف النباتات لكن ذلك لا يجعله في زمرة علماء النبات ، وهكذا ، فالعالم اللغوي يتقن لغته الأصلية فقط ، لكنه يقدم دراسة لغوية قيمة لحضارة أو ثقافة أصيلة .
أما الطرق التي يستخدمها اللغوي في ملاحظة الظواهر المدروسة فكثيرة ، فمنها :
السماع ، أو التدوين الصوتي ، أو الأجهزة التي تسجل المادة أو تستخدم في تحليلها ، نحو :

وصرفية ، وعمل المعاجم اللغوية ، وكل ذلك يهدف إلى ضبط اللغة ، أي : الاحتراز من الخطأ في استعمال كلام العرب أو الخروج عن سنن العربية في الكلام .

(١) انظر : علم اللغة د / محمود السعران – ص ٥١ – وعلم اللغة – د / محمود حجازي – ص ٣١ ، وفي علم اللغة – د / سيد شرف ، وأسس علم اللغة – لماريو باي – ص ٢٩.

(٢) انظر : المدخل إلى علم اللغة – د / رمضان عبد التواب – ص ٧.

(٣) وقد ميز – عبد اللطيف البغدادي اللغوي من النحوي بقوله : " اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه ، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما نقله اللغوي ، ويقيس عليه ، مثلهما كالمحدث الذي ينقل الحديث برمته ، والفقيه يتلقاه ويتصرف فيه ، ويبسط علله ، ويقيس عليه الأمثال والأشباه " .

راسم الندبات ، أو جهاز رسم الأطياف ، أو الكيمو جراف .
وقد يعتمد الباحث إلى الإحصاء ، أو استخدام الرموز ، والمعادلات ، وبعد الملاحظات تأتي مرحلة الفروض التي تفسر هذه الظواهر ، ثم تأتي مرحلة القوانين ، والقواعد كجزء من المنهج تصف سلوك عملي في تركيب اللغة .

" موضوع علم اللغة "

موضوع علم اللغة : هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها
واللغة تدرس في إطار علم اللغة في المجالات الآتية :
الأصوات
بناء الكلمة (الصرف)
بناء الجملة (النحو)
المفردات ودلالتها (المعجم)
ودراسة هذه الخصائص اللغوية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا قد أطلق عليها منذ القرن ال ١٩ علم اللغة أو علم اللغة العام .

الفرق بين (فقه اللغة ، وعلم اللغة) "

أولًا : أن كلمة (فقه) تعني : إدراك الشيء والعلم به والفهم له [١] .
قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [٢] .
، والمراد : ليكونوا علماء به ، يفهموه ، ويقفوا على القوانين التي يسير عليها العلم ، وفي دعاء الرسول ﷺ : " اللهم علمه الدين ، وفقهه التأويل " ، والمراد فهمه .
وفي الصاحبي لابن فارس : أن فقه الشيء هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه ، والوقوف على ما يسير عليه من قوانين ، فقيل : الفقه : فهم الشيء، وقيل: كل علم لشيء فهو فقه[٣]
لذا فعلم اللغة عند القدماء العرب هو فقه اللغة .
ثانياً : شاع مصطلحا (فقه اللغة – علم اللغة) في مجال الدراسات اللغوية ، وإن تغلبت التسمية الأولى في العصر الحديث على فروع هذه الدراسات ، كما كانت التسمية الثانية أكثر شيوعًا في مجال الدراسات العربية قديمًا ، ولم يفرق قدامى العربية في الاستعمال بين المصطلحين .
فعلم اللغة عندهم هو فقه اللغة ، لما ورد في كتبهم من قولهم : (كل علم لشيء فهو فقه) ،

---

(١) انظر : لسان العرب – لابن منظور – باب الهاء فصل الفاء مادة (ف ق ه) ، والمصباح المنير للفيومي مادة (ف ق ه) ومقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس – ٤٤٢/٤ – تحقيق عبد السلام هارون – مطبعة الحلبي بالقاهرة – ١٣٩٠هـ
(٢) سورة التوبة : ١٢٢.
(٣) انظر : الصاحبي – لابن فارس – ط بيروت .

ويفضل المحدثون استخدام مصطلح (علم اللغة) ، لأنه يركز على اللغة نفسها (منطوقة) كلام ، أو (مكتوبة) نصوص ، كما يركز على دراسة خصائصها .

ويرى – د / صبحي الصالح بأن المصطلحين كلاهما علم بالكلام ، أي معرفته وفهمه ، وفي مصطلح " فقه اللغة " فهم عميق ، وبحث دقيق ، وقد سمى به كثير من علماء العربية القدامى كتبهم ب " فقه اللغة كالثعالبي " مثلا ، ويرى د / صبحي الصالح أيضًا :

أن التفرقة بينهما تفرقة تافهة لا وزن لها ، هذا بالإضافة إلى أن مصطلح علم اللغة يقترب من مصطلح " فقه اللغة " عند الفرنجة [١] .

❁ ورأى بعض العلماء أن الخلط ، والتعميم بين المصطلحين كما فعل د / صبحي الصالح في كتابه دراسات في فقه اللغة – فهو خلل يضر أكثر مما يفيد ، ومصطلح فقه اللغة لا يدل على ما يقصده المحدثون مما يسمونه الدراسة العلمية للغة رغم صلاحية للدلالة على ما قصده القدماء فالأحسن أن يقتصر على ما استخدمه له القدماء ، وأن نطلق مصطلح علم اللغة على المعنى الأوسع الذي يشيع لدى المحدثين وإن كان الدكتور / صبحي الصالح يحث على استخدام مصطلح (فقه اللغة) [٢] .

بينما يرى أستاذي الدكتور / كمال بشر : أن (فقه اللغة) حلقة من حلقات الدروس في علم اللغة وأنه يمكن الاكتفاء بالمصطلح العام (علم اللغة) ، ولا مانع من الاحتفاظ بمصطلح (فقه اللغة) لأنه يرتبط بتاريخ طويل ، وتقليد ممتد عبر القرون في الدرس اللغوي العربي والسامي بوجه عام .

ثالثًا : أشار بعض الباحثين المحدثين إلى ما يعنيه – ابن جني – المفكر اللغوي الإسلامي الكبير – حين فرق بين علوم اللغة وعلم اللغة أو فقه اللغة ، فعلوم اللغة هي العلوم الموازين الحاوية للقواعد ، والقوانين التي تبين الخطأ من الصواب ، أما علم اللغة ، وفقه اللغة فهما من المباحث التفسيرية الفلسفية الوصفية التي تنبني على درس العلاقة بين الفكر والتعبير ، ودرس التطور التاريخي للغة ، واستقراء الظاهرة اللغوية خلال النصوص ومقارنة الظواهر بعضها ببعض [٣] .

---

(١) انظر : دراسات في فقه اللغة – د / صبحي الصالح – ص ١٩ وما بعدها .

(٢) وأعتقد : أن هذه الكلمة (فقه) قد انتقلت من بيئة الفقهاء إلى بيئة اللغويين مع ما انتقل من مصطلحات فقهية إلى ميدان الدراسات اللغوية غير أن كلمة (فقه) استعملت هنا بمعنى فهم الشيء فهمًا دقيقًا ، أو التعمق في دراسة اللغة العربية ومعرفة خصائصها وأسرارها بشكل عام ، لأننا لا نكاد نجد موضوعات محددة أو منهجًا واضحًا يدرس به القدماء ما أطلقوا عليه فقه اللغة . انظر : فقه اللغة د / صبحي الصالح .

وفقه اللغة عند سائر المعاجم هو علم اللغة ، ولا فرق بينهما لغويا ، كما يرى د / صبحي الصالح أ،هـ من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين العلمين لتداخل مباحثهما لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب ، قديمًا وحديثًا ، والتفرقة بينهما تافهة ولا وزن لها . انظر : فقه اللغة – د/ صبحي الصالح .

(٣) انظر : اللسان والإنسان – د/ حسن ظاظا – ص ٤٣ بتصرف .

رابعًا : هذا ولم يفرق بين المصطلحين عدد كثير من المتخصصين المحدثين ، حيث فهموا أن علم اللغة : دراسة الصرف أو النحو أو الاشتقاق ، ومعرفة حواشي الكلام ، والفصيح وغير الفصيح على نحو ما ورد في مزهر السيوطي ، أو فقه اللغة للثعالبي ،أو على غرار ما عرضه (ابن جني) في خصائصه ، أو على أنه علم المعجمات .

هذا وقد خلط بعض المستشرقين الذين درسوا في كلية الآداب – جامعة القاهرة – بين (علم اللغة ، وفقه اللغة) معنيين به في الأغلب دراسة العلاقات التاريخية بين العربية ، وبين سائر اللغات السامية ، أو دراسة المفردات على أساس تاريخي ، وقد سار على ذلك النهج جيل من أساتذة معهد اللغات الشرقية بالجامعة .

ورأى البعض أنه يوجد تقارب بين المصطلحين ، فكلاهما يعني : فهم اللغة ومعرفة خصائصها و أسرارها ، وأن علماءنا القدامى لم يفرقوا بين المصطلحين ، لاتحادهما في المعنى، ومعناهما يدخل أساسًا في (علوم اللغة العربية)

ويختلفان عن مصطلحات العلوم العربية الأخرى من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، كما أنه لا يستغنى أحدهما عن الآخر مطلقًا .

وعلم اللغة هو علم ينقل الألفاظ الدالة على المعاني المفردة ، وضبطها ، وتمييز الخاص منها بذلك اللسان الدخيل فيه ، وبيان الألفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة ، والمتشابهة .

كما جعلوا علم اللغة مرادفًا للمصطلح القديم (متن اللغة) ناظرين لاستعماله التقليدي بمصطلح علم اللغة الوارد ذكره بهذا المعنى بكثرة في كتب اللغة العربية ككتاب الصاحبي لابن فارس ، والمزهر للسيوطي ، وبعض المؤلفات الحديثة .

ويقول الشيخ / حمزة فتح الله " اعلم أنه يقال لعلم اللغة (علم متن اللغة) "[1] ويطلق على دراسة دلالات المفردات اللغوية ، وهو ما يعرف بالمعجمات العربية .

وأغزر الكتب في متن اللغة ، وبيان اشتقاقها ، ومجازاتها ، والمعرب منها " المخصص لابن سيدة (ت ٤٥٨هـ)

وبعد هذه الإشارة إلى مفهوم (فقه اللغة – وعلم اللغة)

فإن بعض العلماء يرى أنَّ هناك فوارق تميز أحدهما عن الآخر ذكروا منها ما يلي : –

١–علم اللغة هو دراسة اللغة دراسة علمية من حيث أصواتها أو مفرداتها أو تراكيبها ودلالتها ، وفقًا لمنهج اللغة الوصفي أو التاريخي أو المقارن ، كما يدرس قضايا اللغة الإنسانية العامة ، أما

([1]) أطلق علماؤنا القدامى (علم اللغة – وفقه اللغة) على (متن اللغة) ويتناول هذا العلم جمع ألفاظ اللغة وشرحها ، ودراسة دلالات المفردات اللغوية ، ودراسة بعض قضايا اللغة العربية ك : التعريب ودلالة الألفاظ كالمشترك اللفظي والتضاد والمترادف والفصيح وغيره كما ورد في كتاب (فقه اللغة) للثعالبي .

انظر : دراسات في علم اللغة – د / كمال بشر – القسم الثاني – ص ٤٠، ٤١ ، والمواهب الفتحية – للشيخ حمزة فتح الله ١/٢٠،٢١، وعلم اللغة – د / محمود السعران – ص ١٢.

فقه اللغة فهو العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة وقوانينها، ومعرفة سر تطورها ودراسة ظواهرها المختلفة تاريخيًا من جانب ، ووصفيًا من جانب آخر .

وهو بهذا المدلول يشكل كل قضايا اللغة التي تبحث في نشأة اللغة الإنسانية الأولى ، واحتكاك اللغات ببعضها ، والبحوث الخاصة بالأصوات والألفاظ ودلالتها ، ودراسة العلاقة النحوية بين مفرداتها ، كما يهتم بدراسة خصائص اللغة (لغة معينة) من أجل تصحيح أخطائها ، وتقويم المعوج منها ، فيهتم ببيان الأساليب الفصيحة والجيدة والرديئة المستعملة والمهملة .

٢-علم اللغة يدرس اللغات المنطوقة أو المسموعة أو الحية وفقًا للدراسات الوصفية ، أما فقه اللغة فيميل بدراساته إلى اللغات المكتوبة أو القديمة أو الميتة أو الفصيحة ونصوصها وفقًا للدراسات التاريخية .

٣-يدرس منهج فقه اللغة اللغة على أنها وسيلة لدراسة الحضارة أو الأدب ، ويدرس منهج علم اللغة اللغة بذاتها ، أي وسيلة وغاية في ذاتها .

٤-ميدان (فقه اللغة) أوسع وأشمل فيتناول دراسة الأدب والحضارة والحياة العقلية ، وتقسيم اللغات ومقارنة اللغات ، وشرح النصوص القديمة وتحليلها ، بينما يركز (علم اللغة) على التحليل لتراكيب اللغة ووصفها .

٥-أن مصطلح (فقه اللغة) أسبق زمانيًا من مصطلح (علم اللغة).

٦-يعني (فقه اللغة) بما حول اللغة أو ما يتصل بالشكل اللغوي ، بينما يعني (علم اللغة) بالشكل فقط ، أي هو تركيبي أو شكلي ، بينما (فقه اللغة) مقارن .

٧-لم يوصف (فقه اللغة) بأنه علم ، بينما وصف (علم اللغة) منذ نشأته بكون علمًا .

٨-عمل فقهاء اللغة عمل تاريخي مقارن في أغلبه ، بينما عمل علماء اللغة فوصفي تقريري .

٩-(علم اللغة) لم ينتشر إلا في أواخر القرن ال١٩ بينما (فقه اللغة) علم تاريخي غايته معرفة الحضارات الماضية بوساطة الوثائق المكتوبة التي تركتها ، والتي تساعدنا على فهم تلك الحضارات وتفسيرها ، بينما عرف العرب (فقه اللغة) في أواخر القرن الرابع الهجري حين ألف أحمد بن فارس والثعالبي كتابيهما (الصاحبي ، فقه اللغة) ولم يفرقا بين مفهوميهما في الاستعمال .

١٠- ويرى (ماريو باي) أن موضوعات " فقه اللغة " (فيولوجي) هي دراسة اللغة والثقافة والأدب ، أما علم اللغة فيدرس اللغة نفسها مع إشارة عابرة للثقافة أو التاريخ ، وكلاهما لا ينفصل عن الآخر ، ولا يستغنى أحدهما عن الآخر[١] .

بينما يرى (لومل) أن علم اللغة يساعد في دراسة (الفيولوجي) ، وبالتالي فهو علم قائم بذاته ، والعلاقة وثيقة بين العلمين إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين لا يكاد يفرق بينها .

---

(١) انظر : أسس علم اللغة – لماريو باي – تحقيق د / أحمد مختار عمر ص ٣٥.

١١- يدرس علم اللغة اللغة على أربعة مستويات : -

أ-الصوتي : لدراسة الأصوات ، وصفاتها ، ومخارجها .

ب-الصرفي : (مور فولوجي) ، ويدرس الصيغ اللغوية والوحدات الصرفية ، ويدرس بنية الكلمة وأصولها وصيغها واشتقاقها ، وتصريفها ، لأن معرفة أصل الكلمة يوقفنا على تطور ودلالة الأصوات ، وإلى كشف قوانين هذا التطور .

ج- النحوي : (السينتاكس) ، ويدرس الجملة : عناصرها ، وتراكيبها .

د- الدلالة : (السيمانتيك) ، ويدرس المعاني ومشكلاتها ، كما يدرس معاني الجمل والعبارات والمفردات .

١٣- وينقسم علم اللغة حسب المنهج إلى تاريخي ، ووصفي ، وعام ، ووظيفي ، وبنائي ، وتطبيقي ، ومقارن ، فيقوم (علم اللغة) الوصفي بدراسة لغة معينة في فترة معينة ، ويقوم التاريخي بدراسة لغة معينة من حيث تطورها وتغيراتها خلال التاريخ ، وهو منهج حركي ، ثم تكمل بالمنهج المقارن .

١٤-لم يعتن علماء العربية كعلماء (فقه اللغة) بإعادة تشكيل اللغات القديمة الأصلية .

١٥- درس علماء العربية لغتهم باعتبارها لغة حية منطوقة ، بينما درس العلماء المحدثون فقه اللغات .

١٦- لم يهتم لغويو العرب كعلماء (فقه اللغة) بدراسة التطور الدلالي ولا بدراسة اللهجات ، بل قصروا درسهم على اللغة الفصحى المشتركة التي نزل بها القرآن الكريم .

١٧- التسمية ب (فقه اللغة) أكثر شيوعًا في مجال الدراسات العربية القديمة ، مقابلة للكلمة الأوروبية philology ،وأصل الكلمة مركب من philos ومن معانيها الحب أو الصداقة ، ومن logos بمعنى الكلام ، والمعنى الكلي هو : حب الكلام أو اللغة الذي يدفع إلى فقهها أو علمها ، فالكلمة إغريقية الأصل تعني معرفة الأدب الجميل ودراسة نصوصه ، ودراسة لغة معينة بالتحليل النقدي لنصوصها [١] .

١٨- (فقه اللغة) ، و(علم اللغة) ميدانان من البحث متميزان أحدهما عن الآخر ، وإن تداخلا أحيانا واستعان كل منهما بالآخر دائما [٢] .

١٩- يغلب مصطلح (علم اللغة) حديثًا على فروع الدراسات اللغوية في أية لغة من اللغات الإنسانية كلها ، أما مصطلح (فقه اللغة) فيكثر استعماله ويشيع ذكره في كتب العربية قديمها وحديثها على فروع الدراسات اللغوية في اللغة العربية وحدها .

---

(١) انظر : في علم اللغة العام – د / عبد الصبور شاهين – ص ٥، ٦ مكتبة الشباب – ط ٣.

(٢) انظر : اللسان والإنسان – د / حسن ظاظا – ص١٤.

الفصل الرابع

علم اللغة

(بحوثه – فروعه –مناهجه ومستوياته)

تمهيد : تعرضناُ فيما مضى لتعريف اللغة ، طبيعتها ووظيفتها وأهميتها ، والآن نعرض لبيان علم اللغة : مفهومه وموضوعه ومناهج البحث فيه ، ومجالات فروعه ، وعلاقته بالعلوم الأخرى ، وغيرها من الموضوعات المتعلقة به .

وقد اختلفت وجهات النظر حول ماهية علم اللغة باختلاف مناهج الباحثين فيه ، وتعدد جوانبه ، فهو العلم الذي يدرس موضوعات اللغة دراسة علمية ، ويدرسها من النواحي : الوصفية ، والتاريخية ، والمقارنة ، كما يدرس العلاقة بين اللغات أو مجموعة منها ، كما يدرس وظائف اللغة ، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة ، أي أنه يدرس البنية الصوتية والصرفية والنحوية للغة ، كما يدرس مفرداتها ودلالة التراكيب ، وما يصيبها من تغيير وما تتعرض له من انقسام إلى لهجات خلال رحلتها الطويلة ، ويعمل على تحديد بيئة اللغة وعلاقتها بالبيئات اللغوية المجاورة ، ويرصد ظواهر اللغة المختلفة ، كظاهرة التأثير والتأثر ، وعوامل غناها وفقرها ، وسعتها وضيقها ، وعظمتها وضعفها ، ونموها وانقراضها ، كما يدرس اللغة دراسة علمية مستخدمًا في دراستها المناهج العلمية ، مقدمًا لنا نظريات تفسر اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة تستخدمها كل المجتمعات لأداء وظائف محددة ، وبناء هذه اللغات يتألف من أصوات تنتظم في كلمات ، والكلمات تتألف منها الجمل ، والناس يستخدمون هذه الجمل والأصوات في التعبير عن أفكارها وتوصيلها إلى غيرهم ، كذلك في قضاء حاجاتهم ومصالحهم

❁ وعلم اللغة العام يقوم برسم الأسس المنهجية للتحليل اللغوي من جوانبه المختلفة : الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية .

واللغة تدرس في إطار علم اللغة في المجالات الآتية : –

الأصوات

بناء الكلمة (الصرف)

بناء الجملة (النحو)

المفرد ودلالتها (المعجم) .

❁ ويهدف من وراء هذه الدراسات إلى فهم كامل ، ووعي شامل بهذه الظاهرة المعروفة باللغة وقد تابع الخليل على ذلك تلميذه (سيبويه) (ت١٨٠ هـ) في الكتاب تلك القضايا مع الدقة في التحليل والتفصيل ، كما درس الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) الاشتقاق في العربية ، والجوهري (ت ٣٩٣ هـ) في كتابه : تاج اللغة وصحاح العربية .

ثم بدأت بشائر (فقه اللغة)تظهر عندما ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) بعض المسائل ، كدراسته أصوات اللغة من حيث مخارجها وصفاتها ، وشرحه لمعاني الألفاظ والمفردات التي جمعها في كتابه (العين) ، والذي اهتم أيضًا بدراسة قضايا اللغة وظاهرها ، كالإبدال والإدغام ، والقلب ، وكلها ظواهر لغوية تقوم على امتزاج الأصوات ، وطرق ائتلافها ، نظرًا لما بينها من تقارب أو تباعد .

فكان الكتاب معجمًا نبراسًا ، وهديًا لعلماء اللغة والنحو والصرف والعروض ، والعلوم اللسانية بصفة عامة كما ذكر محقق كتاب العين بالمقدمة .

❁ بدأ العلماء العرب يدونون علوم اللغة أوائل العصر العباسي ، وضمت التآليف البحوث المتعلقة باللغة من نحو وصرف، وبلاغة، وأدب ولغة، وكانوا يقبحون التخصص آنذاك [١] .

يضاف إلى ما سبق : اهتمام العلماء بالعربية فأرادوا أن يثبتوا براعة ورقي العربية على غيرها من اللغات ، وأنها صالحة للحياة والحضارة ، فألفوا مؤلفاتهم العربية ترغيبًا فيها ، وكشفًا عن أسرارها في بنيتها وأسلوبها ، وقواعدها ، وخصائصها وسر صناعة إعرابها لابن جني اللغوي العبقري ذي الأصل الرومي ، الذي بهره سحر العربية وجمالها فقال : " لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة ، وما فيها من الغموض والرقة والدقة لاعتذرت من اعتراف بلغتها ، فضلًا عن التقديم لها ، والتنويه منها.

ويشرح ابن جني منهجه في خصائصه قائلًا : " إنه ليس مبنيًا على حديث وجوه الإعراب ، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام ، وكيف بدىء ،

إلام نحى [٢] كما أشار (ابن فارس) إلى أنه يوجد فرع وأصل لعلم العرب ، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات ، كقولنا رجل وفرس ، وطويل وقصير ، والأصل الوقوف على موضوع اللغة وطرائق العرب في مخاطبتها وافتنانها [٣] .

ويتضح لي من دراستي لكتب علم اللغة أن للعلماء العرب طرائق خاصة في البحث ، مستمدة من ثقافاتهم ، والظروف الداعية والباعثة لهم على الدرس ، وهي طرق واضحة في أبحاثهم العلمية عن العربية ومبادئها وسلوكها التعبيري معتمدين في ذلك كله على الذوق والعقل ودقة الملاحظة راسمين حدودهم في إطار الدراسات القرآنية ، مما جعلهم يتميزون بشخصيتهم المستقلة ، وبحوثهم اللغوية الخادمة للدين ، ولم يكن لديهم الآلات أو المعامل التي يجرون فيها تجاربهم اللغوية كما هو متوافر عند علماء الغرب ذوي البحوث المتسعة والراقية ، وتقدم علومهم وفنونهم [٤] .

❁❁ مما سبق نلحظ أن السبب القوي لنشأة الدراسات اللغوية عند العرب هو الحفاظ على كتاب الله ومبادىء الإسلام ، نتيجة الاختلاط بين العرب وغيرهم من العجم ، فقام – لغويو العرب – بجمع اللغة من العرب الخلص ، دون دراسة لغوية ، فالمهم عندهم هو جمع وضبط

---

(١) انظر : ضحى الإسلام – الأستاذ / أحمد أمين ٢٩٨/١ ، وفقه اللغة – د / ناجح عبد الحافظ مبروك .

(٢) انظر : الخصائص – لابن جني ٢٤٢/١.

(٣) انظر : الصاحبي – لابن فارس – ص ٢٩ – ط بيروت ، وعلم اللغة – د / عبد الغفار حامد هلال – ص ٢٠: ٣٠– ط ثانية ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

(٤) وأيا ما كان الأمر فإن بحوث العرب هي الأساس الأول الذي بنى عليه الغربيون أبحاثهم في مجال الدراسات اللغوية المختلفة ، ففيها الأصل العربي .

الألفاظ وتدوينها في موضوعات خاصة كما ورد ذلك في : رسائل الأصمعي (ت٢١٦هـ) ، وأبي حنيفة الدينوري (٢٨٩هـ) ، وألفاظ ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) ، والألفاظ الكتابية للهمذاني (ت ٣٢٧هـ) .

❁ وبعد أن توافرت المادة اللغوية من الألفاظ بدأت المدارس اللغوية في دراستها وشرحها وتفسيرها ، كما فعل المبرد (ت٢٨٦هـ) ، والأصمعي ، وأبو علي القالي (٣٥٦هـ) فقد اشتملت كتبهم على الكثير من هذا الذي يشتمل على بيان المفردات اللغوية وما يتبعها من قصص تاريخية وأخبار عربية ، ومباحث أدبية .

إذا كان الهم الأكبر في هذه الفترة حتى نهاية القرن الثالث هو إحدى طرق أربع : الإملاء والإفتاء والتعليم والرواية ، واتجاه البحث إلى المفردات وما يتصل بها من أخبار ، ولم يكن ينظر إلى الجمل أو التراكيب .

هذا وقد اتسعت الثقافات وكثرت العلوم بمجيء القرن الرابع الهجري ، نتيجة امتزاج الثقافة العربية بالأجنبية من فلسفة وطب ونجوم ورياضيات وفلك ، وزاد من دراسة اللغة تقرب العلماء إلى الملوك والرؤساء واهتمامهم بالدراسة اللغوية ، فبرز لون جديد من البحث اللغوي هو القلب ، ووضع الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) كتابه تهذيب اللغة ، وابن دريد (٣٢١هـ) كتابه جمهرة اللغة ، والجوهري في معجمه تاج اللغة ، كما ناقش هؤلاء العلماء مادة اللغة ومشكلاتها النحوية والمعجمية .

❁ وفي القرن الخامس ظهر كتاب الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) : فقه اللغة الحاوي للكثير من معاني الألفاظ العربية ، والمعربة عن الفارسية والرومية ، كما ظهر المخصص لابن سيدة (ت ٤٥٨هـ) في أبحاث فقه اللغة كالمشترك اللفظي والتضاد، والترادف والمجاز والمعرب والإبدال ، والتذكير والتأنيث ، وكان من الأفضل أن يسمى هذا الكتاب ومثله ب (فقه اللغة) .وظهر في القرن السادس كتاب (المعرب من الكلام الأعجمي) للجواليقي ، وأساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) .

❁ وفي القرن السابع ظهر (لسان العرب) لابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ويعد عمدة الباحثين في متن ومواد اللغة العربية ، ثم البشبيشي (ت ٨٢٠هـ) .

❁ وجاء القرن العاشر بكتاب (المزهر في علوم اللغة) للسيوطي (ت ٩١١ هـ) مليئًا ببحوثه اللغوية من دلالة الألفاظ والأصيل والدخيل ، والصحيح والمعلول ، والتداخل والتوافق في اللغات ، والقلب والإبدال والنحت ، والتصحيف والتحريف .

❁ وفي القرن الحادي عشر ظهر كتاب (شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي ، وبين فيه الدخيل والأصيل من الكلمات المعربة ، وشروط وإمارات التعريب ، وهو من أهم الكتب التي تميز بين العربي والأجنبي من الألفاظ .

وأرى : أن معظم هذه المؤلفات نقل عن السابقين وجمع لآرائهم ، وكلها دراسة للألفاظ والمعاني واستعمالاتها في اللغة العربية، وكلها مفيدة، تلبى حاجات العصور المتتابعة .

وجاء القرن الثالث عشر بكتاب " سر الليالي في القلب والإبدال " لأحمد بن فارس الشدياق ، واستمرت البحوث اللغوية عند العرب وهي لا تزال تجد كل يوم من أجل النهوض والارتقاء بلسان الأمة (لغتها) التي تمثل عقيدة الأمة ، وتقاليدها ، وشئونها العلمية والاجتماعية والسياسية ، وقد صدق قول الحكيم في أمة العرب :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١) ، فقد برز سعى علماء العربية في دراساتهم المتنوعة.

وكانت أهم البحوث اللغوية عند العرب ، هي : -

١- **جمع الألفاظ** : من الأعراب الفصحاء في البادية البعيدة عن الاختلاط بالعجمة ، كما فعل الخليل والأصمعي ويونس بن حبيب الضبي (ت ١٨٢هـ) وآخرون . و منها ألفاظ خاصة ببعض الموضوعات كأسماء الوحوش ، والغابات والشجر والإبل والخيل والسلاح والنبات والمطر واللبن والجرائم والغرائز ، وغيرها .

ألفاظ موضوعة لمختلف المعاني كالألفاظ التي تدل على مراحل خلق الإنسان .

الألفاظ المجموعة على نظام معجمي دقيق وشرحها شرحًا وافيًا ، وعرفت فيما بعد (بالمعاجم) ، كما في " العين " للخليل ، و" تهذيب اللغة " للأزهري ، والقالي في بارعه والمحكم " لابن سيدة ، " والجمهرة " لابن دريد " والصحاح " للجوهري ، " والقاموس " للفيروز ابادي ، " ولسان العرب " لابن منظور " والمقاييس " لابن فارس ، " والأساس " للزمخشري ، وغيرهم من أرباب المعاجم الحديثة ، متبعين طريقة التقليبات الصوتية ، أو طريقة القافية ، أو الأبجدية العادية .

٢- **وضع القواعد** : وقاية اللسان من العثرات ، وحفاظًا على طبيعة السليقة العربية من اللحن ، فوضعوا " علم النحو " خاصًا بالكلمات والجمل والتراكيب ، ووضعوا " علم الصرف " مختصًا ببنية مفردات اللغة .

وقامت المدارس اللغوية المتعددة بمناهجها الفكرية المختلفة في بعضها والمتفقة في بعضها الآخر ، طبقًا لظروف بيئاتهم ، ونباهة عقولهم ، وكلها لا تدخل في نطاق " علم اللغة " بقدر ما تقوم بإصلاح الأخطاء ، وتقويم اللسان .

ومن أهم علماء القواعد الخليل البصري ، وأبو جعفر الرؤاسي الكوفي (ت ١٦٧هـ) ، وسيبويه ، وابن جني ، ومن المتأخرين : الزمخشري في " المفصل " ، وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في "

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠.

الكافية ، والشافية " ، وابن مالك (ت٦٧٢هـ) في " التسهيل " ، والألفية ، وابن هشام (ت ٧٦١هـ) في قطر الندى ، وشذور الذهب ، وأوضح المسالك ، ومغنى اللبيب .

٣- **الاهتمام بالقراءات القرآنية** :

ابتدأ من القرن الثاني الهجري ، وذلك لمعرفة أصواته ، وظهر عدد من القراء في الأمصار الإسلامية ، ومنهم :

ابن مجاهد ، وابن السراج ، البزاز ، وأبو منصور الأزهري ، وابن خالويه ، وأبو علي الفارسي ، وابن جني ، وابن سعيد الداني ، وأبو القاسم الشاطبي ، وابن الجزري .

وهذه الدراسات حفظت للعربية أصواتها عبر هذه القرون ، ومن خلالها درست اللهجات العربية ، والصراع اللغوي ، واختلاف النطق ، وتطور اللغات وكلها من أهم فروع علم اللغة .

٤- **الدراسات البلاغية** :

وتتمثل في فصاحة الألفاظ ، والأساليب ومناسبتها لمقتضى الحال ، ودراسة الإيجاز والإطناب ،والحقيقة والمجاز ، والعلوم البلاغية (المعاني – البيان – البديع) .

ويعد أبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) صاحب كتاب " مجاز القرآن " ، والجاحظ في " إعجاز القرآن " ، وابن المعتز في " البديع " ، وأبو هلال العسكري في " الصناعتين " ، وعبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة " ، والسكاكي في " مفتاح العلوم " والخطيب القزويني في " تلخيص المفتاح "

ويعد كل هؤلاء من أئمة علم الدراسات البلاغية التي عرفت بعلم الأسلوب التعليمي عند الغربيين .

٥- **الدراسات الأدبية والنقدية** :

وهي تمثل أهم ثروات العرب اللفظية ، لأنها تعبر عن فكرهم وحالتهم الاجتماعية ، وتاريخهم عبر العصور ، إذن لابد أن تنهض ، لما لها من أهمية لدى العرب فظهر علم الأدب : شعره ونثره ، حاكيًا ألفاظهم ، وأساليبهم ، وعادتهم وتقاليدهم ، وأخبارهم وحوادثهم الاجتماعية وأحوالهم ، ومستواهم الفكري والحضاري .

وظهر علم " تاريخ الأدب " يتناول دراسة أهل الأدب من شعراء وكتاب وخطباء ، موازنًا بينهم أدبيًا وفنيًا على مر العصور ، مما أثرى الحركة الأدبية بمؤلفات عدة ، تكفل للغة العربية النمو ، وسرعة الحركة والتجدد ، والقوة وعمق التأثر والتأثير .

والحقيقة أنها محاولات كثيرة ، وخطوات مشكورة – تمهد الطريق للباحثين ، وتؤدي إلى الاستمرار في بذل الجهد بعد أن أصبح الطريق واضحًا ، والوسائل الحديثة ، والمعرفة واجبة ، والعلماء ماضون – بعون الله تعالى – لما يرجوه من قوة للأمة العربية ولغتها العربية .

ومع ذلك فمما يؤسف له أن كثيرًا من المؤرخين لعلم اللغة ، لا يذكرون فضل العرب ، وما أسدوه من جهود في هذه السبيل ، على الرغم من باعهم الطويل في الدرس اللغوي قديمًا وحديثًا – ومع

كل ذلك الجحود والإنكار أو التجاهل الذميم للدور العربي في هذا الشأن ، إلا أننا لا نعدم أن نجد بعض المنصفين الذين يعترفون بالسبق والأستاذية ، ويقرون بالفضل للعرب في فكرهم وحضارتهم .

فقد قام العرب بوصف أصوات اللغة وجهاز النطق وطبيعة الأصوات وصفًا دقيقًا جديرًا بالثناء والإكبار ، كما وضعوا قواعد دقيقة لهذه اللغة على مستوى الكلمة وعلى مستوى التركيب ، وتناولوا قضايا اللغة الهامة كقضية نشأة اللغة ، وقضايا خاصة كالدلالة ، وإن كانت مبعثرة حتى خصص لها علم مستقل هو علم الدلالة semantics،كما تناولوا قضايا الترادف والمشترك اللفظي ، والتضاد ، وكذلك دور العرب في مجال المعجم .

اهتم علماء اللغة العربية بدراسة لغتهم العربية حين اختلط العرب بالأعاجم ، وشاع الفساد على الألسنة ، فوضع العلماء القواعد والقوانين ، وقاية اللسان من العسرة ، والوقوع في الخطأ بعد أن استشرى فساد تحريف أصوات بعض الكلمات ، وتغيير معاني بعضها الآخر ، وإماتة كلمات وتراكيب عربية ، وحلول أخرى أعجمية محلها .

حيث قام علماء العربية بدراسة اللغة :

نصوصها ، ومتونها ، وقواعدها النحوية والصرفية والصوتية ، والبلاغة والعلوم العربية التي تخدم النص القرآني الكريم [١] ، معتمدين في ذلك على الذوق ، والعقل ، ودقة الملاحظة [٢]

فكانت للإمام أبي الأسود الدؤلي جهوده في وضع قواعد النحو العربي بعد تفشي ظاهرة اللحن ، وكذلك جهود النحاة من علماء العربية ، وعلماء القراءات من أمثال :

عبد الرحمن بن هرمز ، ويونس بن حبيب ، وعنبثة الفيل ، وميمون الأقرن ، ونصر بن عاصم ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، والعالم اللغوي

" ابن جني " [٣] وغيرهم كثير وكان كل من هؤلاء العلماء لغويًا وراوية ، ونحويًا ، وأدبيًا ، وقارئًا ، وصوتيًا ، ورياضيًا ، وموسيقيًا ، وشاعرًا ، وناقدًا ، ومحللًا دقيقًا ، وفلكيًا ، وطبيبًا ، وفيلسوفًا .

---

(١) كما فعل الإمام / عبدالله بن مسعود في تصديه لتفسير القرآن ، وأسئلة الصحابة ، وكذلك ما أطلق عليه (سؤلات نافع بن الأزرق) التي أوردها السيوطي في إتقانه .

انظر : الإتقان للسيوطي (ت ٩١١هـ) ط ثانية ١٩٣٥ – ص ١٢٠ وما بعدها .

(٢) وهذا يعكس لنا ما كان لدى الغرب من آلات ومعامل حديثة ، ومجهزة مكنتهم من إجراء البحوث التجريبية التي توصل إلى حقائق معينة ، كما أدت إلى تقدم العلوم والفنون ، ولكن الفضل لمن بدأ الطريق الشاق وهم العرب ، فرغم قصور إمكاناتهم ، فقد كانت بحوثهم الأساس الذي بنى عليه الغربيون مباحثهم في الدراسات اللغوية.

(٣) صاحب كتابي : (الخصائص ، و سر صناعة الاعراب) ، وقد بلغ الدرس اللغوي القمة بهذين العملين الكبيرين ، بالإضافة لمعجم " العين " للخليل ، " ولسان العرب " لابن منظور ، كما يعتبر – د / إبراهيم أنيس رائدًا للدراسات اللغوية الحديثة ، فهو

وما كان اهتمامهم بدراسة اللغة العربية إلَّا للمحافظة على الدين الإسلامي وكتابه المقدس ولإثبات براعة العربية وصلاحيتها للحياة والحضارة ، ولإحساس العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة ، كما أن الدراسات اللغوية مفيدة في نواحي الحياة ، وشتى شئون المجتمع الإسلامي [١] .

وقد اعترف المستشرق الألماني (أ . شاده) بجهود العلماء العرب في الحضارات الإنسانية بما قدموا لدراسة اللغة من اسهامات لم يسبقوا إليها في ميادين النحو والصرف ، والأصوات والمعاجم .

ولا ينكر أحد خضوع منهج اللغة الحديث للغة المناهج الأوربية ، وأنه اتبع طريقتها في البحث ، ولا ينكر أحد أيضًا اتباع الأوربيين لمناهج المسلمين إبَّان عصر النهضة ، حتى وقفوا على أقدامهم ، ولكل منهم وجهة نظر في مختلف العلوم ، فكانت الحضارة الأوربية نتاج الامتزاج بين عطاء العقل الإسلامي والعقل الأوربي .

أما دراسة اللغة في الغرب فقد مرت بمراحل ثلاثة متوالية ، منها :

١ – **مرحلة علم النحو :**

وهي مرحلة تميز الصحيح وغير الصحيح من القواعد ، وإن كانت مرحلة ضيقة الأفق .

٢- **مرحلة علم الفيولوجيا (فقه اللغة) :**

وقد اهتمت هذه المرحلة بتوثيق النصوص ونشرها ، والتعليق عليها ، كما اهتمت بدراسة التاريخ والأدب والأخلاق ، والأنظمة .

٣- **مرحلة مقارنة اللغات فيما بينها ، وتسمى (مرحلة علم النحو المقارن) .**

وفيها ظهر كتاب (تصريف السنسكريتية) ل (بوب) الذي أدرك أن العلاقات بين اللغات المتقاربة يمكن أن تكون مادة علم قائم بذاته ، ودرس المقارنة بين اللغات .

كما يعتبر كل من :ماكس مولر، ووج كيريتوس ، وأوجست شليشر ، والروماني دييز ، برجمان واستوف ، وبراون ، وسيفرس ، أصحاب الفضل في وضع نتائج المقارنة في وضعها التاريخي وربط الأحداث اللغوية في نظامها الطبيعي ، وارتباطها بالتطور الاجتماعي .

البحوث اللغوية وما يدخل منها تحت علم اللغة : -

يمزج بين المنهج الحديث والتراث القديم ، ثم تلاميذه : د / تمام حسان ، وعبد الرحمن أيوب ، وكمال بشر ، وحسن عون ، والبدراوي زهران (مصر) ، ود / محمد المبارك (سوريا) ، ود / صبحي الصالح (لبنان) ود / إبراهيم السامرائي (العراق انظر : في علم اللغة العام ص ١٢ ، ١٣.

([١]) يقول الأستاذ عباس العقاد : " للأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها كثيرة ، ومعظمها دعوى لا دليل عليها ، أنانية قومية تشبه أنانية الفرد في حبه لنفسه ، وإثاره لصفاته بغير حاجة إلى دليل ، ولكن الفصاحة العربية في دعوة أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفاخرة في جملتها لقوة دليلها العلمي الثابت في النطق بها ، وحسن الاستماع إليها "

انظر : اللغة الشاعرة – الأستاذ محمود عباس العقاد – ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف .

أولًا : البحوث المتعلقة بنشأة اللغة الإنسانية ، من مرحلة التعبير الأولى حتى مرحلة الأصوات ، وكيفية وضع الإنسان للكلمات ، وتعيين مدلولاتها ، ونشأة اللغة في النوع الإنساني ، وقد أطلق على هذا النوع من البحوث اسم : أصل اللغة أو نشأة اللغة .

ويرى البعض : إخراج هذا النوع من نطاق علم اللغة ، لعدم اتفاق منهج البحث فيه مع مناهج البحث في العلوم، ويرون وجوب إلحاقه بالبحوث الفلسفية الميتافيزيقية .

ثانياً : البحوث المتعلقة بحياة اللغة ولهجاتها ، وما فيها من غنى وفقر وسعة وضيق ، وعظمة وضعة ، ثم تحول اللغة إلى لهجات ، وتحول اللهجات مع مرور الزمن إلى لغات مستقلة ، متعددة المظاهر ، متنوعة الاستخدام ، ويطلق على هذا اسم " حياة اللغة " .

ومن أهم فروع هذا البحث وأوسعها نطاقًا فرع يسمى " الدياليكتولوجي " ، أي علم اللهجات : ويقوم بدراسة الظواهر المتعلقة بانقسام اللغة إلى لهجات ، تختلف باختلاف البلاد أو باختلاف الجماعات الناطقة بها .

ثالثاً : دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة وبيان أقسامها وفصائلها ، وخواص كل قسم ومخارجه وما تعتمد عليه من أعضاء النطق وطريقة إحساس السامع بها ، وحروف النطق وخواصها .

ويطلقون على هذا البحث اسم " الفوناتيك " (phonetic) ،أي علم الصوت ، ويقوم بدراسة اللغة من حيث دلالتها أي من حيث إنها أداة للتعبير عما يجول بالخاطر ، ويطلق عليه اسم " السمانتيك " (semantique) أي علم الدلالة ، ومن الفونتيك والسيمانتيك (علم الصوت وعلم الدلالة) يتألف أهم فرع من فروع علم اللغة وأدقها وأكثرها نضجًا .

وينتظم علم الدلالة بحوثًا كثيرة أهمها :

١- البحث في معاني الكلمات ومصادر هذه المعاني ، واختلافها في لغة ما باختلاف عصورها ، والأمم الناطقة بها ، وموت بعض معاني الكلمة ونشأة معان جديدة ، وما يترتب على ذلك من قوانين وظواهر لغوية ، ويطلق عليه " ليكسيكولوجيا " (lexicologie)، أي علم المفردات

٢- البحث في قواعد المتعلقة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغير أبنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك ، ويطلقون عليه اسم " المورفولوجيا " (Morfhologie) ، أي علم البنية .

وهو ثلاثة أنواع : -

أ- المورفولوجيا التعليمي (علم البنية التعليمي) :

ويدرس قواعد اللغة لمجرد جمعها وترتيبها وتنسيقها ، حتى يسهل تعلمها وتعليمها ، ومراعاتها في الحديث والكتابة ، ومن هذا النوع : علم الصرف في اللغة العربية .

ب- المورفولوجيا التاريخي (علم البنية التاريخي) :

ويدرس قواعد اللغة دراسة تاريخية تحليلية ، حيث يدرس أشكالها التي كانت عليها في أقدم مراحل هذه اللغة ، وما طرأ عليها من تغيير في مختلف العصور والأمم ، وعوامل ونتائج تطورها ، والقوانين التي تسير عليها في مختلف مظاهرها .

ج–المورفولوجيا المقارن (علم البنية المقارن) :

ويدرس قواعد اللغة دراسة تاريخية وتحليلية ومقارنة في فصيلة من اللغات الإنسانية ، أو في جميع اللغات ، فهو يوازن بين اللغات فيما يتعلق بقواعد البنية في كل منها .

هذا والقسمان (ب ، ج) هما اللذان يدخلان في نطاق علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث علم اللغة ، وإنما هو من بحوث القواعد التعليمية .

رابعاً : البحث في أقسام الكلمات (اسم وفعل وحرف) وأنواع كل قسم ووظيفته في الدلالة وأجزاء الجملة وترتيبها .

وأثر كل جزء منها في الآخر ، كتأنيث كلمة أو تذكيرها ، أو تثنيتها أو جمعها ، وعلاقتها ببعضها أو ربطها بغيرها ، وعلاقة الأجزاء ببعضها ، وتقسيم العبارة إلى جمل ، وطرق فصلها أو وصلها ، وهو ما يطلق عليه اسم (السنتكس) (syntax) ، أي علم التنظيم ، وينقسم كما انقسم المورفولوجيا (علم البنية) إلى : تعليمي ، وتاريخي ، ومقارن [١] .

خامساً : البحث في أساليب اللغة واختلافها باختلاف فنونها (الشعر والنثر والخطابة والكتابة والمسرح) ، وباختلاف العصور والأمم الناطقة بها ، وهي طرق تطوير الأساليب وقوانينها ، وهو ما يسمى (الستيليستيك) (stylistique) ، أي علم الأساليب .**وفيه ثلاثة أنواع** :

أ– **علم الأساليب التعليمي** : لجمع القواعد المتعلقة بأساليب اللغة ، ومنه أبواب المعاني والبيان والبديع في اللغة العربية .

ب– **علم الأساليب التاريخي** : لدراسة الأساليب في لغة ما دراسة تاريخية في مختلف مراحل هذه ، وفي مختلف الأمم .

ج–**علم الأساليب المقارن** : لدراسة الأساليب في عدة لغات دراسة تاريخ وتحليل ومقارنة .

والقسمان (ب ، ج) يدخلان في نطاق علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث هذا العلم ، بل هو من بحوث علم البلاغة .

---

(١) أ– السنتكس التعليمي : أي علم التنظيم التعليمي ، ومنه بعض أبواب النحو والمعاني في اللغة العربية ، وهو العلم الذي يدرس قواعد التنظيم في لغة لمجرد جمعها وترتيبها وتنسيقها حتى يسهل تعلمها وتعليمها في الحديث والكتابة .

ب–السنتكس التاريخي : أي علم التنظيم التاريخي ، وهو الذي يدرس قواعد التنظيم في لغة ما دراسة تاريخية تحليلية .

ج– السنتكس المقارن : أي علم التنظيم المقارن ، ويدرس قواعد التنظيم دراسة تاريخ وتحليل ومقارنة في فصيلة من اللغات ، أو في جميع اللغات .

القسمان (ب ، ج) يعدان من فروع علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث هذا العلم ، هذا ومن المورفولوجيا ، والسنتكس ، أي علم البنية وعلم التنظيم ، يتألف ما يسمونه (الجرامير) (grammarie) أي القواعد ، وتكون دراسته تعليمية وتاريخية ومقارنة .

سادساً : البحث في أصول الكلمات (الايتيمو لوجيا) ، في لغة ما ، وهذا البحث يدرس أمورًا جزئية ، وليس من شأن دراسته الوصول إلى القوانين كما يفعل علم الأصوات (الفونيتيك) ، أو كما يفعل علم الدلالة (السيمانتيك) ، وإن كانت الصلة بينه وبينها وثيقة ، وذلك أن معرفة أصول الكلمات يساعد كثيرًا على الوقف على تطور الأصوات والدلالات ، وكشف القوانين العامة الخاضع لها هذا التطور في مظهريه : (الأصوات والدلالة) ، ومنه نصل إلى معرفة أصول الكلمات .هذا ومن أهم أقسام (الايتيمولوجيا) قسم يسمى (الأونوماستيك) للبحث عن أصول الأعلام المختفة : أعلام الأشخاص والقبائل والعشائر والجبال والأنهار والأمصار ، ومن فروعه ما يسمى (بالتونوماستيك) للبحث عن أصول أسماء الأمكنة على اختلاف أنواعها .

سابعاً : بحوث اجتماعية : تبين العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية في الظواهر اللغوية المختلفة .

ثامناً : بحوث نفسية تدرس العلاقة بين الظواهر اللغوية والنفسية بمختلف أنواعها من : تفكير وخيال وتذكر ووجدان ونزوع .

ولهذه البحوث أثرها في دراسة اللغة كغيرها من البحوث الاجتماعية السابقة ، ولا يخلو منها بحث لغوي ، لذا عنى علماء النفس بهذه البحوث وجعلوها موضع فرع مستقل من علمهم سموه (علم النفس اللغوي) .

تاسعاً: بحوث في الفيولوجيا ، وهي بحوث غير محددة ، لاختلاف مدلول الكلمة باختلاف العصور والأمم ، وقد تطلق على كل البحوث السابقة ، وتطلق أحيانًا على دراسة قواعد وتاريخ وأدب ونقد ونصوص لغة أو لغات ، كما تطلق ويراد بها دراسة الحياة العقلية في أمة ما ، أو في طائفة من الأمم ، وبهذا ترادف ما يسمى (أدب اللغة وتاريخ الأدب) .

❁ ويطلق على جميع البحوث السابقة عدا (الفيولوجيا ، والمورفولوجيا التعليمي ، والسنتكس ، والستليستيك التعليمي) اسم (علم اللغة) .

هذا وقد وضع مؤلفو العرب بحوثًا في الصرف والنحو والبلاغة وأدب اللغة وتاريخ أدب اللغة لبحوث من فصيلة المورفولوجيا والسنتكس والستليستيك التعليمي ، وبعض أنواع الفيولوجيا .

❁ وكل هذا ليس من علم اللغة في شيء، أما علم اللغة نفسه فقد درس مؤلفو العرب بعضه تحت أسماء مختلفة ، أشهرها (فقه اللغة) .

والفقه : فهم الشيء ، وقيل : كل علم لشيء فهو فقه .

" أغراض علم اللغة "

يهدف علم اللغة من دراسته للظواهر اللغوية ، إلى أغراض وصفية تحليلية ، منها :

١-الوقوف على حقيقة الظواهر اللغوية ، وعناصرها وأسسها القائمة عليها (الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية) .

٢-الوقوف على الوظائف التي تؤديها اللغة في مظاهرها المختلفة ، ومجتمعاتها الإنسانية المتنوعة .

٣-الوقوف على العلاقات التي تربطها بعضها ببعض ، أو بما عداها من الظواهر الاجتماعية والنفسية والتاريخية والجغرافية والطبيعية والفسيولوجية والأنثروبولوجية .

٤-الوقوف على أساليب تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور .

٥-كشف القوانين التي تخضع لها في جميع نواحيها : في تكونها ونشأتها وأدائها لوظائفها وعلاقاتها المتبادلة ، وعلاقاتها بغيرها ، وتطورها .

٦-فهم الكثير من جزئيات اللغة وحل الكثير من مشكلاتها .

٧-تعليم اللغات القومية ، وتقديم وصفًا دقيقًا لأصوات اللغة يستفيد منها الطلاب على النطق السليم للغة .

" علم اللغة بين العلوم الأخرى "

يحتاج علم اللغة في دراسته إلى تخصصات علمية مختلفة ، وهناك ظواهر لغوية لا يستطيع عالم اللغة أن يسهم فيها بشيء ، وإنما يستشير العلوم الأخرى المتخصصة ويطلب منها العون ، فمثلا دراسة اللغة من الناحية الصوتية – يتوافر على دراستها :

" علم وظائف الأعضاء " (physiology) ، ويقوم بدراسة أعضاء النطق عند الإنسان ، ويعاونه في ذلك

" علم التشريح" (Anatomy) ، ويدرس الصوت بعد خروجه من فم المتكلم وانطلاقه في الهواء

" علم الفيزياء " (physics) ، ويدرس الأمواج الصوتية في الهواء فيما بين المتكلم والسامع وبيان أثرها ، وتحديد الخصائص الفيزيائية للصوت ، وكذلك (هندسة الاتصالات) التي تهتم بالصوت تحسينًا وتكبيرًا وتوصيلًا عبر الأثير إلى مسافات بعيدة ، عن طريق إرسال الموجات الصوتية مع موجات أخرى كهرو مغناطيسية تسير في أغوار الفضاء .

المهم أن مثل هذه العلوم لا يستغنى عنها علم اللغة ، بل لابد أن يبسط إليها يده يلتمس منها العون ، فتمده بما تملك من خلاصة تجاربها التي تساعده في محاولة تفسير الظاهرة اللغوية .

وهناك فروع أخرى من المعرفة النظرية يربطها بعلم اللغة برباط وثيق فهناك علم الاجتماع الذي يدرس اللغة على اعتبار أنها من أهم مقومات المجتمع البشري ، وكذلك (علم النفس) الذي يدرس اللغة وعلاقاتها بالعقل الإنساني ، وهناك (الأنثربولوجيا) الذي يدرس اللغة وعلاقاتها بالثقافة .

أي أن علم اللغة يضم من الناحية النظرية فرعين كبيرين هما :-

١-علم اللغة الاجتماعي .

٢-علم اللغة النفسي .

أولًا : علم اللغة الاجتماعي :

لا تحيا اللغة إلا في ظل مجتمع إنساني ، وهي مؤسسة تؤدي وظائف اجتماعية ، فهي ذات صلة وثيقة بكل أشكال السلوك الاجتماعي في المجتمعات الحديثة ، ويتمثل هذا عند استحضار تاريخ هذا المجتمع أو تجاربه الماضية ، أو عند الاتصال المباشر بالأحداث أو بالتجارب اليومية ، أو عند مباشرة العمل ، وتوجيه القائمين به ، فكان علم اللغة وثيق الصلة بعلم الاجتماع ، لأنه علم يستكشف العلاقة بين اللغة والمجتمع ، ووجوه التأثير المتبادل بين الحياة الاجتماعية وظواهر اللغة المختلفة ، ويسمى ذلك (بعلم اللغة الاجتماعي) ، الذي يعد من أكثر المجالات التي أحرزت تقدمًا سريعًا في الدراسات اللغوية الحديثة، وهو يهتم بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ، ويدرس طرق تفاعل اللغة مع المجتمع ، كما يهتم علم اللغة الاجتماعي بموضوعات كثيرة ، من أهمها : -

١-اللهجات (Dialects) المختلفة في المجتمعات المختلفة (مدينة – قرية – بادية) وكل مجتمع منها يتحدث بلهجة تختلف اختلافًا ضئيلًا عن لهجة المجتمع الصغير المجاور له ، فلو رأينا نجد أن العالم العربي مقسم إلى وحدات سياسية مختلفة ولكنها تتحدث لغة واحدة ، ويغلب في هذه الحالة أن يكون لكل وحدة سياسية لهجة خاصة تميزها عن غيرها .

أي أن كل دولة من الدول تتميز عن سواها بلهجة خاصة تعرف بها : نحو : الإنجليزية فهي مختلفة عنها في أمريكا وفي استراليا ، وفي نيوزيلندا ، وفي

أفريقيا فكل قطر من هذه الأقطار يتكلم لهجة مختلفة من لهجات اللغة الإنجليزية.

٢-اللهجات الفردية (Idiolects)، بمعنى أن لكل فرد في المجتمع لغته الخاصة التي تميزه عن غيره ، كما أن هناك خصائص في لغة الفرد تشير إلى طبقته الاجتماعية ، وفيها ما قد ينبيء إلى المهنة ، كذلك لوازم فردية يعرف الشخص بها كترداده لكلمات أو عبارات معينة بصفة مستمرة كقوله في نهاية كل أو عدة جمل : خليك معايا – أنت فاهم – سامع –خلي بالك ....

كما أن هناك سلوكيات لغوية مرضية في لغة المتكلم تميز الأفراد بعضهم عن بعض ، فنجد التأتأة ، والفأفأة ، كما نجد من لا يعتني بمخارج الحروف ، أو من يتكلم بسرعة ، أو يتكلم ببطء شديد ، أو بصوت عال ، أو لا يكاد يسمع صوته .

ولا تتصف اللهجة الفردية بالثبات ، فالفرد يظل طوال حياته يكتسب اللغة ، ويعدل أو يبدل فيها ، والنمو الثقافي ، وتغير المراكز الاجتماعية ، والانتقال من طبقة لأخرى ، فيحدث ذلك تغيرات كبيرة في لغة الفرد سواء في طريقة الكلام أو في المفردات والتراكيب .

يقول (وليم لابوف) (Wiliam labov) :

" إن شعور الناس بالنسبة للانتقال أو التحول الاجتماعي له أثر كبير للغاية على الأشكال اللغوية التي يختارونها ، فمثلا الناس الذين يرغبون في الانتقال إلى الطبقة الاجتماعية العليا عن طبقتهم يتخذون لغة تلك الطبقة " .

٣-دراسة التغاير اللغوي الاجتماعي : -

تتغير الأساليب اللغوية التي يستخدمها الفرد بتغير الموضوع من جهة ، والمشاركين في الحديث أو المستمعين له من جهة أخرى، كما تتغير بفعل عوامل بعضها اجتماعي أو نفسي أو كلاهما معا ، واللغويون – في الوقت الحاضر – يهتمون بنوع هذا التغيير أو الانتقال من أسلوب إلى آخر وأسباب هذا الانتقال ، ويتعاون معهم في ذلك علماء الاجتماع وعلماء النفس للتوصل إلى أنواع الأساليب المختلفة التي يستعملها الفرد في المقامات والمناسبات المختلفة .

٤-دراسة اللغة وأثر الجنس فيها : -

حيث الفرق الواضح بين أصوات النساء وهي أكثر حدة وأعلى طبقة من أصوات الرجال كما أن النساء أكثر وضوحًا في النطق من الرجال ، كما أن للنساء كلمات خاصة بهن لا يستخدمها الرجال ، نحو الألوان : الموف ، والبيج ، واللبني ، ويكثر في لغة النساء الصفات التي تعبر عن جيشان العاطفة .

وتزداد هذه الفروق في المجتمعات المغلقة التي تحافظ على تقاليدها الأصيلة فلا تسمح بالاختلاط بين الرجل والمرأة ، وتقل أو تتلاشى في المجتمعات المفتوحة التي تبيح الاختلاط بين الجنسين في شئون الحياة المختلفة .

٥-دراسة الكلام المحظور اجتماعيًا : -

كل مجتمع له أعرافه الاجتماعية التي تجعل هذا المجتمع يرفض استعمال كلمات معينة ، مثل الكلمات التي تدل على الموت أو الأمراض الخبيثة ، أو الأشباح والجن ، والكلمات التي تشير إلى عورات الجسم الإنساني ، أو غيرها من الكلمات المبتذلة التي ينفر منها المجتمع .

ثانياً : علم اللغة الأنثربولوجي : -

العلاقة بين هذا العلم وعلم اللغة علاقة تاريخية ، ومن أهم الموضوعات التي يدرسها : العلاقة بين اللغة والثقافة ، فميدان (الأنثربولوجي) هو دراسة المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها وتتابع نموها وتطورها ، ودراسة الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في كل زمان ومكان ، باعتبار أن اللغة انعكاس لثقافة المجتمع الذي يتكلمها ، وتعبير عن اهتماماته ومجالات نشاطه ، واهتم هذا العلم بالعلاقات بين لغة شعب من الشعوب وبقية جوانب ثقافته ، كما يدرس الكيفية التي ترتبط بها لغة جماعة معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي ، والرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والاحتفالات ، واختلافها عن الكلام العادي اليومي .

كما يهتم بدراسة العمليات التي تنتقل بواسطتها اللغة من جيل إلى جيل ، وكيفية نقل المعتقدات والمثل العليا والتقاليد إلى الأجيال التالية ، ودراسة اللغة على أساس أنها مرآة تنعكس على

صفحتها حياة ونشاط مجتمع ، وباعتبارها الأداة التي تقوم بتشكيل ثقافة المجتمع وطريقة تفكيره ، وقد ذهب إلى ذلك (هردر – وهمبولت) في أوربا ، و(سابير) في أمريكا .

ويقول (سابير) : " البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده ، ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي ، ولكنهم واقعون تحت رحمة اللغة المعينة التي اتخذوها وسيلة للتفاهم في مجتمعهم ، إنه لوهم كبير أن نتخيل أن فردا ما يتكيف مع الواقع دون استخدام اللغة " .

وحقيقة الأمر أن العالم الحقيقي مبني إلى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين كما أنه ليس في العالم لغتان تتشابهان تشابهًا كبيرًا إلى درجة اعتبارهما تمثلان نفس الواقع الاجتماعي ، إن العوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم مختلفة لا مجرد عالم واحد نسميه بأسماء مختلفة .

ويقول (وورف) (Worf) تلميذ سابير : " إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار ، بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار "

وأرى أن نمط اللغة المتكلمة لدى مجتمع ما لا يمكن أن يحدد نوعية الثقافة التي يتلبس بها ذلك المجتمع ، لتباين المجتمعات في الأعراق والثقافة وإن كانت تتكلم لغات تنتمي إلى نمطية واحدة ، كالحضارة الإسلامية التي شارك فيها العرب والفرس والروم .

ثالثاً : علم النفس اللغوي : -

اللغة مظهر من مظاهر السلوك الإنساني ، فقد اهتم بها علماء اللغة و علماء النفس ، فعلماء النفس يهتمون بالظاهرة اللغوية ليوضحوا السلوك بصفة عامة .

كما يهتم علم النفس بمعظم نواحي اللغة مما له علاقة بالعقل والنفس البشرية ، بينما يهتم اللغويون باللغة ليبينوا السلوك اللغوي بصفة خاصة تظهر العلاقة الوثيقة بين العلمين في مجال التحليل النفسي ، كما يحدث لدى المحلل النفسي في دراسة الأحلام للكشف عن بعض العقد أو الأمراض أو الأزمات النفسية لدى شخص معين ، فإنه يطلب منه أن يتكلم لغة ، فيقوم المحلل بدراسة الألفاظ والتعابير لا الأحلام في حد ذاتها ، الدراسة اللغوية تقوم على دراسة القوى النفسية الكامنة ورائها ، كما تقوم الدراسة النفسية بالاستعانة بمعطيات علم اللغة ، ومن ثم حدث امتزاج بين العلمين ، مما تمخض عنه نشوء (علم اللغة النفسي) .

وقد ذهب (تشومسكي) إلى أن دراسة اللغة يجب أن يقوم أولًا على دراسة العقل الإنساني ، ويرى أنه من الأوفق أن يكون علم اللغة فرعًا من فروع علم النفس الإدراكي ، وإن كان هذا الرأي لا يوافقه عليه معظم علماء اللغة.

أقسام علم اللغة العام

ينقسم إلى موضوعات مترابطة ومن أهمها :

١- **علم اللغة الوصفي** : -

إذا كان علم اللغة العام يهتم بدراسة اللغة العامة ، فإن علم اللغة الوصفي يقوم بدراسة لغة أو لغات معينة ، أو يهتم بوصف لهجة معينة من لهجات لغة معينة كوصفه للهجة محلية أو إقليمية أو اجتماعية لطبقة أو فئة معينة ، وذلك في فترة زمنية أو فترات زمنية محددة ، مستعملا نوعا خاصا من اللغة " كلغة الصحافة ، أو السياسة ، أو الدبلوماسية أو لغة الصوفيين " أو لغة رجال القانون ، أو الكتاب ، أو الأغنياء والفقراء ، أو الجائع والشبعان .

بمعنى أن (علم اللغة الوصفي) يتناول بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه ، فيبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية والمعجمية ، بحثًا وصفيًا ، أو تاريخيًا ، معتمدًا على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية ، ولا يهدف إلى وضع قواعد يفرضها على المتكلمين باللغة .

٢- **علم اللغة التاريخي** : -

ظهر علم اللغة التاريخي في أوربا في القرن ال (١٨) في أثر دراسة اللغات المختلفة واتصال الأمم بعضها ببعض [١] ، ويعد " جريم " من أوائل المؤسسين لهذا العلم [٢] ، ويهتم بدراسة اللغة في فترات زمنية مختلفة لرصد التغيرات والتطورات التي أصابت هذه اللغة في نظامها ، وعلى مستوياتها المختلفة من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، أي أن علم اللغة التاريخي يبحث في تطور اللغة الواحدة عبر القرون ، وما أصابها من رقي أو انحطاط أو قوة أو ضعف .

فتطور النظام الصوتي للعربية الفصحى وتطور الأبنية الصرفية ، ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون ، وتطور الجملة الشرطية ، أو جملة الاستفهام في العربية الفصحى مما يدخل في الدراسة الصوتية والصرفية والنحوية والتاريخية والمعاجم التاريخية .

كما يتناول هذا العلم تطور اللغة وحياتها في المجتمع وظروف انتشارها ووظيفتها ، فدراسة مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة في حياة كل لغة وأثر ذلك في بنيتها وأهميتها الحضارية ومكانتها بين اللغات مما يدخل في إطار علم اللغة التاريخي .

٣- **علم اللغة المقارن** : -

يهتم هذا العلم بدراسة مقارنة بين لغتين أو أكثر أو لهجة خلال مرحلة أو أكثر من مراحل تاريخية مختلفة مظهرًا أوجه الاختلاف والاتفاق بينهما وليبين التطور التاريخي للغة أو اللهجة ، وقد تكون المقارنة بين لهجتين أو أكثر ، أو يقارن بين اللغة العامة المشتركة ، أو اللغة النموذجية وبين لهجاتها المتفرغة منها .

---

(١) انظر : محاضرات في علم اللغة – د / سيد شرف ، ود / عبد الهادي السلمون – ص ١١٠ ، نقلًا عن فقه اللغة العربية – د / محمد مبارك – ص ٢٩ – ط٣.

(٢) انظر : مدخل إلى علم اللغة – د / محمد حسن عبد العزيز – ص ٢٨٥.

❖ **موضوع علم اللغة المقارن** :

دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ، أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة ، ويهتم بتصنيف اللغات إلى أسرات أو فصائل بمقارنة هذه اللغات ، وبيان العلاقات التاريخية بين هذه اللغات التي تكون فرعًا لغويًا واحدًا أو أسرة لغوية واحدة هو مجال البحث في علم اللغة المقارن ، هذا العلم يقارن بين لغتين أو أكثر من أجل الوقوف على أوجه الشبه وصلات القربى كالمقابلة بين العربية الفصحى و إحدى لهجات الفرنسية ، وعلم اللغة المقارن يعتمد على المنهج الوصفي ، لأنه يتطلب القيام بدراسة وصفية مستقلة لكل لغة يتم مقارنتها بلغة أو بلغات أخرى ، والدراسة المقارنة هي شكل من أشكال الدراسة التاريخية ، لأن تشعب اللغة الأم أو الأصل إلى لغات إنما هو تطور تاريخي .

٤- **علم اللغة العام (النظري)** :

ويشمل كل فروع البحث اللغوي ، ويدرس اللغة الإنسانية عامة ، ويدرسها في ذاتها ، ولذاتها ، ويهتم بوضع واستنباط قوانين اللغة ومناهجها وبحوثها الوصفية والتاريخية والمقارنة ، ودراسة مسائل وقضايا علم اللغة ، كما يدرس الصراع اللغوي وعوامل انتشار اللغات ، واللهجات ، والازدواج اللغوي ، وانحطاط ورقي اللغة الإنسانية عامة .

ويرى (ماريو باي) أن علم اللغة العام ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

علم اللغة الوصفي ، أو التركيبي : ويركز على أساس الدراسات الصوتية والفونيمية

وعلم اللغة التاريخي : ويركز على ماضي اللغة وتطورها التاريخي

وعلم اللغة الجغرافي : ويعد فرعًا للفرعين السابقين ، وإن لم يعط العناية الكافية من جانب الباحثين رغم خصوبته .

٥- **علم اللغة التقابلي** :

وهو حديث ، ويقوم بالمقابلة بين لغتين أو أكثر ليست من أسرة لغوية واحدة كالعربية والإنجليزية ، فهما من أسرتين مختلفتين ، أو بين لغتين أو لغة ولهجة ، ويهدف هذا العلم إلى بيان أوجه الخلاف بين اللغتين أو اللغات المختلفة ، وهو عكس هدف علم اللغة المقارن .

٦- **علم اللغة التطبيقي** : -

يهتم بدراسة اللغة ذاتها ، والمسائل المتصلة باللغة كماهية اللغة ، وعملها ، والسمات المشتركة بين اللغات وماهية اللغات الخاصة والمماثلة والمخالفة بين اللغات ، والتطور التاريخي للغات ، وبالإضافة لاهتمام علم اللغة التطبيقي بهذه الجوانب ، فإن هناك عددًا من مجالات الدراسة التي يمكن أن تتناولها هذه الدراسة التطبيقية مثل :

علم اللغة النفسي ، وعلم اللغة الاجتماعي ، وهندسة الاتصالات – والأسلوب –

وتعليم اللغة عمل المعاجم ، والعناية بالظواهر اللغوية كالنبر والتنغيم ودراسة عيوب النطق والكلام وأسبابها وعلاجها ، وسنفصل على وجه السرعة هذه الجوانب التي تتناولها الدراسة التطبيقية .

١- **علم اللغة النفسي** : -

يهتم عالم أو باحث اللغة في هذا المجال بقضايا ومسائل علم النفس من كيفية اكتساب اللغة من المجتمع والعوامل المؤثرة في ذلك ، كما يهتم علم اللغة النفسي بدراسة طرق تعلم اللغات الأجنبية واكتسابها ، ويهتم أيضًا بدراسة عيوب النطق والكلام و أسباب ذلك وطرق علاجها ، وغير ذلك من المسائل المشتركة بين علم اللغة وعلم النفس .

وقد ترجع العلاقة بين العلمين إلى طبيعة اللغة باعتبارها أحد مظاهر السلوك الإنساني ، فعلم النفس : يعني بدراسة السلوك الإنساني ، وعلم اللغة يهتم بدراسة السلوك اللغوي ، كما يهتم علم اللغة بالعبارات المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث ، وأثناء مرورها في الهواء ، وعند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها، بمعنى أن العلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي من اهتمام علم النفس ، وأن العمليات العقلية السابقة على صدور العبارات المنطوقة من اهتمام علم النفس أيضًا ، أما علم اللغة فيضع اهتمامه في الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل المتلقي (اللغة) أو الرموز الصوتية .

۞ وقد أفاد علماء النفس المحدثين من مناهج التحليل اللغوي في بحثهم للسلوك اللغوي ، ولكن هذا لا يمنع من تحديد مجال اختصاص كل من الفريقين .

وهكذا نرى أن علماء اللغة ركزوا جهودهم على اللغة كنظام صوتي يحتاج إلى تحليل ووصف ، وهنا يحتاج عالم اللغة إلى علم النفس لدراسة الدوافع النفسية لدى المتكلم ، وقد أصبحت اللغة بذلك أداة مهمة لعلماء النفس لفهم النفس البشرية ، كما أن الدراسة النفسية أصبحت تقدم للغويين مزيدًا من المعرفة عن جوانب هامة متصلة باللغة لم تكن معروفة لهم من خلال الحدث اللغوي المادي وحده .

۞ هذا وقد تطورت الدراسات اللغوية والنفسية في العشرين عامًا الماضية لتجعل من جوانب اللقاء بين علم النفس وعلم اللغة فرعًا مستقلًا بذاته هو علم اللغة النفسي
psycholinguistics أو علم نفس اللغة ، أو علم النفس اللغوي .

٢-**علم اللغة الاجتماعي** : -

اللغة ظاهرة اجتماعية حضارية ، تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه ، فهي تنمو وتنقرض ، وتوضح وتغمض ، وتنحط وترقى ، وتوحد وتنقسم ، وذلك كله يتأثر بالمجتمع ونظمه وتقاليده وعاداته وعقائده، واتجاهاته ، ودرجة ثقافته ، كما تنتقل الأمة من حياة البدائية والتخلف والحوشية والبساطة والجلافة إلى الرقي في الألفاظ والتهذيب في الأسلوب .

فاللغة كذلك مرآة لأخلاق الأمة ، تتأثر بالاستقرار والاضطراب ، والسلم والحرب ، فنتيجة الصراع قد ينقسم المجتمع وتنقسم اللغة إلى لهجات أو العكس ، وقد يحدث غزو عسكري يتبعه غزو لغوي فتشيع ألفاظ جديدة ، وتنقرض ألفاظ أخرى – كتأثر اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية بالفرنسية واليونانية والقبطية ، وتأثرها حديثًا بعد احتكاكها بالغرب (إنجلترا وتركيا و إيطاليا) .
ونتيجة لذلك وعلاقة اللغة بالمجتمع وتأثرها به خصص العلماء فرعًا لغويًا مستقلًا سموه (علم اللغة الاجتماعي)، لدراسة الطرق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع .
كما يدرس اللهجات الاجتماعية والازدواج اللغوي والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع [١] ، وعلى جانب آخر خصص علماء الاجتماع فرعًا آخر من فروع علم الاجتماع سموه (علم الاجتماع اللغوي) (Sociology of language) وظيفته : دراسة اللغة كوثيقة هامة للغاية لتفسير الظواهر الاجتماعية كما تصورها .
وهذا العلم يدرس اللغة وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية ، وعلى ذلك فالعلاقة وثيقة بينهما ، أي يصح أن أقول : دراسة اللغة من منطلق اجتماعي ، أو دراسة المجتمع من منظور لغوي .
وهناك عدة تسميات أطلقت على جوانب اللقاء بين علم اللغة ، والعلوم الاجتماعية في بحثها للغة ، وتعددت هذه التسميات بتعدد أسماء العلوم الاجتماعية ومدارسها المختلفة ، ولا داعي أن نخوض فيها الآن .
والمهم أن الباحثين فالعلوم الاجتماعية أفادوا من نتائج البحث اللغوي في دراسة اللغة كمظهرمهم من مظاهر السلوك الاجتماعي، ومن أوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد ، كما أفاد اللغويون من الدراسات الاجتماعية ، فدراسة الألفاظ ودلالتها على نحو دقيق لا تتم إلا في إطارها الاجتماعي والحضاري ، والتغير اللغوي لا يفسر إلا في ضوء الظروف الاجتماعية والحضارية وغير ذلك من القضايا اللغوية التي تحتاج في وضوح معالمها كاملة بالتعاون بين الدراسات اللغوية والاجتماعية والحضارية [٢] .

٣-علم اللغة الآلي :

يهتم بدراسة اللغة وإمكانية تطويعها لتقديمها إلى العقل الالكتروني ومدى الاستفادة من هذا التقدم العلمي الهائل في مجال الترجمة الآلية والفورية خاصة ، والدراسات اللغوية عامة .

٤-علم وضع وصناعة المعاجم: -

يهتم هذا العلم بإعداد المعاجم ووضعها ، ومناهجها وطرقها سواء كان إعداد المعاجم في مجال اللغة الواحدة كالمعاجم العربية : كالمعجم الوسيط أو المنجد ، أو بين لغتين مختلفتين كما في

---

(١) انظر : معجم علم اللغة الحديث – د / كمال بشر وآخرون – ص ٨٤.

(٢) انظر : في التطور اللغوي – د / عبد الصبور شاهين – ص ٨ وما بعدها – ط ١٩٨٨م – مكتبة الشباب ، ودراسة القضايا اللغوية في ضوء العلوم الاجتماعية ، وأصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنثربولوجية – عالم الفكر د / محمود فهمي حجازي – ص ١٨٠:١٥١–١٩٧٢م – ومقدمه في علوم اللغة ص ١١٧ ، ١٧٨ .

المعاجم – عربي – إنجليزي والعكس ، أو القواميس متعددة اللغات – مثل : عربي – إنجليزي – فرنسي .

وهناك أيضًا اهتمام علمي دقيق بصنع وإعداد المعاجم المتخصصة في مجال فن معين أو علم معين ، مثل : القاموس اللغوي ، والفلسفي ، والهندسي ، حيث يقوم هذا العلم بكيفية جمع المواد اللغوية وترتيبه وتنسيقها .

" مناهج علم اللغة "

تاريخ علم اللغة الحديث يبدأ باكتشاف اللغة السنسكريتية (sanscrit) وحل رموزها على يد (السيروليام جونز) الإنجليزي في سنة ١٧٨٦م ، حيث اقتصرت الدراسات اللغوية قبل ذلك على دراسة فيولوجيا اللغتين اللاتينية والإغريقية ، ولم يكن هناك نصيب من الدراسة للهجات الشعبية أو للغات غير الأوربية ، وكان أس الدراسة الذي يدور حوله اللغويين هو البحث في أصل ونشأة اللغة ، وتقويم اللغات من حيث الأسلوب أو الثروة اللفظية أو ضخامة التراث أو التاريخ الأدبي للغة .

وهذه البحوث وشبهها قد نبذها علم اللغة الحديث وراء ظهره ، لأنها ميتافيزيقية أو ذاتية يعتمد الرأي فيها على التخمين ، ثم بدأ علماء اللغة بعد ذلك يبحثون اللغة بمناهج مختلفة مستمدة كلها من طبيعة اللغة نفسها ، فاستخدموا :

[المنهج الوصفي ، ثم المنهج التاريخي ، ثم المنهج المقارن] [١] .

أولًا : المنهج الوصفي :

يُعد (دو سوسير) أول من دعا إلى تطبيق(المنهج الوصفي) في دراسة اللغة ، وأول من وضع الأسس العلمية الدقيقة لهذا المنهج ، وقد أطلق على هذا العلم اسم (سايكروني) بمعنى علم اللغة التزامني ، أي في الزمن ، وقد أطلق عليه مصطلح آخر هو (علم اللغة التركيبي) ، لأنه يهدف إلى وصف تركيب البنية اللغوية ، وكان اللغوي السويسري " دوسوسير " أول من أبرز إمكان بحث اللغة ، أو اللهجة بالمنهج الوصفي ، وكان المنهج المقارن هو السائد حتى القرن التاسع عشر .

- ❖ والمنهج الوصفي يهتم بدراسة وتحليل البنية اللغوية لأية لغة أو لهجة ، لذا نرى أن أية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية ، أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة ، أو الوسيطة ، أو الحديثة تعد دراسة وصفية ،
- ❖ وهناك مجالات كثيرة لبحث النقوش والنصوص العربية القديمة بالمنهج الوصفي ،

---

(١) انظر : مقدمة في علوم اللغة – ط ثانية – ١٩٧٩ – دار المعارف بمصر – ص ١٩١، ١٩٢ ، (والمنهج) : هو الطريقة التي يسير عليها الباحث عند بحثه لقضية من القضايا ، أو معالجة ، ومناقشة موضوع ، أو نظرية تتعلق بعلم من العلوم بهدف الوصول إلى غاية (هدف) ، وطرق البحث تختلف باختلاف أهداف الباحثين ، وباختلاف العلوم ، والمناهج .

- ودراسة الأبنية الصرفية المنتمية إلى مستوى لغوي واحد تعد دراسة صرفية بالمنهج الوصفي
- ودراسة جوانب بناء الجملة في مستوى لغوي واحد تعد دراسة نحوية بالمنهج الوصفي ، وإعداد المعاجم الصغيرة كلها تتم بالمنهج الوصفي .
- ويقوم هذا المنهج على وصف اللغة المنطوقة المعينة في حالة الثبات ، حيث يقوم الباحث بوصف اللغة وتسجيل مظاهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية المتزامنة ، وليس من تخصصه تفسير الظاهرة ، أو الحكم عليها بالصواب ، أو الخطأ ، وإنما حسبه تسجيل الواقع اللغوي تسجيلًا أمينًا ، وفيه توصف اللغة حسب الشكل الموجود في فترة زمنية معينة وبيئة مكانية محددة حتى لا تختلط اللغات أو لهجات اللغة الواحدة بعضها ببعض ، فهو منهج علمي ساكن ، لا يقتضب الباحث فيه ما هو مفصل ، ولا يبسط ما هو معقد .
- والمنهج الوصفي هو المنهج السائد الآن في علم اللغة الحديث ؛ لأن التنظيم الباطني للقواعد الداخلية للغة هو المهم ، وليس تاريخها أو نشأتها ، أو مراحل تطورها هو المهم ، وعلى ذلك فالتناول التاريخي للظاهرة اللغوية ليس تناولًا علميًا ، أما المنهج الوصفي فهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على أساس علمي موضوعي وهو يحقق فائدة علمية وهي تعليم الناس اللغات الأجنبية وتعريفهم الطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم .

ومع ذلك فمن الصعب الفصل بين المنهجين : الوصفي والتاريخي ، فالدراسة اللغوية التاريخية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس المنهج الوصفي ، وذلك لأن متابعة التغير التاريخي للغة لابد من سبقه بوصف المراحل المختلفة التي مرت بها اللغة ، مرحلة أثر مرحلة .

ثانياً : - المنهج التاريخي :

يقوم المنهج التاريخي على : دراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون [1] ويعتمد على ما دون – من نصوص ، وهو يتتبع الظاهرة اللغوية من أقدم عصورها التاريخية إلى أحدثها مسجلًا التغيرات التي تلحق بها ، سرها وأسبابها ونتائجها .

أي أن هذا المنهج منهج استرجاعي يستعيد ماضي اللغة ويهتم بتاريخها عن طريق الوثائق القديمة .

وقد سمى(دو سوسير) علم اللغة التاريخي باسم (دياكروني) بمعنى: عبر أو خلال الزمن . وعلم اللغة التاريخي أو التطوري يقوم بدراسة اللغة المكتوبة من خلال تغيراتها المختلفة عبر الزمان والمكان ، فاللغة هي بناء حاضر ، ونتيجة ماض ، وحركة متطورة ، والتغير اللغوي يسير في كل الاتجاهات :

---

(١) انظر : مقدمة في علوم اللغة – د / البدراوي زهران – ص ١٩١ ، ١٩٢ – ط ثانية – ١٩٧٩م – دار المعارف بمصر .

(في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية والدلالات) ، ولا يحدث هذا التغير بدرجة واحدة ، ولا يخضع لنظام معين ثابت ، ويعتمد المنهج التاريخي على اللغة المكتوبة كما يعتمد على المنهج الوصفي للغة بتتبع تغيراتها ، والدراسة التاريخية تتصف بالحركة ، وعدم الاستقرار ، ولذلك يقول ماريو باي : " أما علم اللغة التاريخي فهو علم بفاعلية مستمرة فهو يدرس اللغة من خلال تعبيراتها المختلفة .

ثالثاً : المنهج المقارن

- يركز هذا المنهج على دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية أو الدلالية المشتركة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة الأصل ، ولقد استخدم (بوب) في بحثه (نظام التصريف في اللغة السنسكريتية) المقارنة بينهما وبين الألمانية واليونانية واللاتينية ، وأماط اللثام عما بين اللغات الهندية الإيرانية من جهة ، واللغات الإغريقية واللاتينية والجرمانية من جهة أخرى من تشابه وسمات مشتركة ، وفعل ذلك علماء كثيرون ،

ونتج عن تطبيق هذا المنهج ، تصنيف اللغات وربطها بعضها ببعض، واكتشاف ما بين هذه اللغات من سمات مشتركة ، مما جعلهم يطلقون عليها اسم(فصيلة اللغات السامية) التي تشمل اللغات الأكادية(الأشورية والبابلية) واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) ، واللغات الآرامية واللغة العربية الشمالية والجنوبية ، واللغة الحبشية .

- كما اكتشف اللغويون صلات القرابة التي تربط اللغات الحامية(اللغة المصرية القديمة، والقبطية الحديثة ، والبربرية ، واللغات الكوشيتية) .

كل استنتاج قائم على نظم افتراضية ، فعلم اللغة المقارن باستطاعته تحديد تغيرات معينة خضعت لها لغة ما في مرحلة معينة من مراحل تطورها التاريخي ، أو دراسة لغتين من فصيلة واحدة ، كالعربية والسريانية مثلًا .

رابعاً : المنهج المعياري

أنكر أصحاب هذا المنهج نظرية التطور اللغوي، ورأوا أن اللغة ظاهرة جامدة ، وأن اللغة ثابتة ، وأن التغيير في اللغة أمر فاسد يجب التصدي له ، كما يجب وضع قواعد معيارية للغة ويعتبر الخروج عنها أمر خطأ ، ومن وافقها فهو الصواب .

وقد ساد هذا المنهج عند الإغريق والرومان والمتأخرين من نحاة العرب ، حتى مطلع العصر الحديث ، حيث تراجع أمام المناهج الأخرى قليلًا .

خامساً : المنهج التقابلي

ويقوم بدراسة الثقافات والحضارات المختلفة بين لغتين من قبيلتين مختلفتين ، كالعربية والإيطالية مثلًا [١] ، أو العربية ، والألمانية ، كما يجب أن تحدد الدراسة مستوى بعينه في اللغتين المدروستين كالفصحى فيهما أو العامية فيهما مثلا ، وتركز الدراسة التقابلية على جوانب الاختلاف بصفة أساسية في اللغتين موضوع الدرس وتقوم أولًا بدراسة وصفية للظواهر في كل لغة على حده ، ثم تقوم بعد ذلك بدراسة تقابلية تقارن فيها اللغتين ؛ لمعرفة أوجه الاختلاف بينهما فهي دراسة تبدأ وصفية ثم تنتهي تقابلية ، وبجوار هذه المناهج الأساسية والبارزة في مجال البحث اللغوي ، فهناك مناهج أخرى كمنهج الملاحظة ، والاستقراء ، والتجريبي ، والمنهج النفسي والاجتماعي ، ولكل منهج مدارسه وعلماؤه وباحثوه ، ومؤيدوه ومعارضوه وناقدوه ، وإن كانت هذه المناهج ذات صلة بعضها ببعض وصولًا للهدف الرجو

" مستويات التحليل اللغوي "

اللغة الإنسانية هي نظام من الرموز الصوتية ، أو هي نسق من العلاقات ، وهذا النظام أو النسق تتحكم فيه قواعد معينة ، في مجال التحليل اللغوي ، ولتبسيط البحث وتيسيره نعمد إلى تجزىء الظاهرة اللغوية إلى مستويات أربعة ، ثم نفحص كل مستوى على حدة في محاولة لبناء نموذج أو صورة للغة لكي نستطيع تفسيرها و إلقاء الضوء عليها، وهذه المستويات الأربعة هي [٢] :

١- **المستوى الصوتي** : (phonetics)

ويدرس من خلاله منهجه مواضع النطق وصفات الحروف ، من حيث الجهر والهمس والانفجار والاحتكاك والترقيق والتفخيم ، كما يدرس مخارجها ، ومعانيها ، والنبر والمقاطع والتنغيم في لغة معينة باعتبار الأصوات اللغوية وحدات صوتية مجردة منعزلة عن سياقاتها ، أو باعتبار الصوت اللغوي وحدة في نسق صوتي فتهتم الدراسة ببيان الأشكال المختلفة التي يتشكل بها الصوت ، وكذلك بيان وظائفه وقيمه .

---

(١) انظر : أسس علم اللغة . د / محمود فهمي حجازي – ص ٤١ ، وعلم اللغة التقابلي . د / أحمد ياقوت – ص٧ وما بعدها

" الدراسة المقارنة هي تلك التي التي تعني بإجراء موازنة بين لغتين من أصل واحد كالعربية والعبرية ، أما الدراسة التقابلية فهي تلك التي تجري موازنة بين لغتين من أصلين مختلفين كالعربية والانجليزية " .

(٢) انظر : دراسات في علم اللغة د / كمال بشر ص١١ وما بعدها ، وعلم اللغة د / علي عبد الواحد وافي ، ومدخل إلى علم اللغة – د / محمود فهمي حجازي ص ٣١ ، ومقدمة في علوم اللغة ص ١٩٥ ، ومقدمة لدراسة فقه اللغة – د / محمد أبو الفرج – ص ١٢٢ وما بعدها ، ومن أسس علم اللغة – د / محمد حبلص – ص ١٣٠ ، والعربية معناها ومبناها – د / تمام حسان – ص ٢٣٩ ، ومدخل إلى علم اللغة – د / محمد حسن عبد العزيز – ص ١٩٩ وما بعدها ط ١٩٩٢م – مكتبة الشباب – القاهرة .

- ويطلق على هذا القسم من هذه الدراسة (فونولوجي)[١] ، أما القسم الثاني فيطلق عليه مصطلح (الفوناتيك) ، ويدرس الأصوات (مادة الكلام الإنساني) ، مع بيان صفاتها ، وأقسامها ، وخواصها ، ويدرس جهاز النطق ، وتشريحه ، ومخارج الحروف، والأذن، وتأثير هذه الأصوات في الهواء الذي ينقلها بين السامع، والمتكلم .

٢- **المستوى الصرفي** : (Morphology)

ويدرس الصيغ اللغوية وبناء الكلمة وطرق تشكيلها من اشتقاق ونحت وإلصاق ، والتغيرات التي يطرأ عليها ، ويصنف الصيغ إلى أجناس كالفعل والاسم والأداة ، أو التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع ، والتغيرات الصرفية نتيجة الأصوات المتجاورة ، كقولهم : مقال واستقال و إقالة وقوَّل وقلت من مادة (قول) [٢] .

هذا ويعلج علم الصرف الوحدة المسماة بـ (المورفيم) وهو أصغر وحدة ذات معنى في اللغة المدروسة ، أي الكلمة ، نحو : كلمة (معلمان) نجدها تتألف من مورفيمين هما (معلم) ، و (أن) ولا يمكن تقسيم الكلمة (معلم) أو (أن) إلى أقسام أخرى لها معنى .

٣- **المستوى التركيبي أو النحوي** (syntacs)

ويدرس نظام الجملة وتحليلها ووضع الكلمات في الجمل ، والعلاقات النحوية التي تربط بين عناصرها المختلفة ، ويدرس أيضًا أنواع الجمل من إثبات أو نفي أو استفهام أو تعجب وغير ذلك ، ونظرًا للارتباط الشديد بين علمي النحو والصرف فأطلق عليهما : قواعد النحو ، أو النحو (Grammar)، واتصالًا بهذه الدراسات ، وانبثاقًا عنها في الدرس اللغوي الحديث ظهرت مناهج جديدة في دراسة التراكيب من بينها المنهج التوليدي التحويلي[٣] .

٤- **المستوى الدلالي** (sematics)

علم المعجم وعلم المعاني : ويقوم بدراسة معاني المفردات ، والعبارات ، والعلاقات الدلالية المختلفة ، مثل : الترادف ، والتضاد ، والاشتراك اللفظي ، والتغير الدلالي وأسبابه ، والتطور التاريخي للكلمات وما يلحقها من حياة أو موت ، أو رقي ، أو انحطاط، كما يدرس ربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى الحال ، كذلك يدرس تاريخ الكلمات واشتقاقاتها .

---

(١) راجع الفصل القادم كيفية إنتاج الصوت ومراحله الثلاثة : إنتاج وانتقال واستماع ، وأنها تتنوع بتنوع المجرى (والمخرج) ، والخصائص الصوتية من جهر وهمس ، وشدة ورخاوة ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة ، فلو نطقت (صفر وسفر) ، (ويصير ويسير) ، و(يمت ويمد) ، و(باد وبات) لما وجدت خلافًا في النطق ، لاتفاقهما في المجرى والمخرج ، والخصائص الصوتية ، وإن اختلفتا في صفة صوتية واحدة كالسابقة .

(٢) أي أنه يهتم بالوحدات الصرفية الحرة (المستقلة) ، أو (المنفصلة) ، كما يهتم بالوحدات الصرفية المقيدة (المرتبطة ، أو المتصلة بغيرها من الكلمات) ، وكذلك بالوحدات الصرفية التتابعية (التي تتابع فيها مكوناتها الصوتية دون فاصل) ، والوحدات الصرفية غير التتابعية) ، كما يدرس الأنماط الصرفية الخاصة بالتحليل اللغوي ، وتختلف الأنماط في بنية مفرداتها .

(٣) انظر : مقدمة في علوم اللغة – د / البدراوي زهران – ص ٢٠٠.

❖ إذن اللغة تخضع إلى مجموعات من الضوابط ، وعديد من النظم التي تقنن ظواهرها، كما تتعدد مستوياته ، ويتطلب كل مستوى معرفة الروابط التي تنظمه ، والقواعد التي تحكمه ، واللغة وسيلة تعايش بين الفرد والمجتمع ، وبدونها ما كان له أن يعبر من نطاق ذاته إلى الآخرين ، وأن يقيم جسورًا من الصلات بينه وبينهم ، وذلك بنقل الأفكار والمعلومات وتبادل الخبرات ، كما أن اللغة وسيلة للتنفيس عن مشاعر الإنسان إزاء ما يحيط به في حياته وبتنفيسه عن مشاعره ، يعبر في الحقيقة عن مواقفه وطموحه .

وفي هذا الفرع يقول أستاذي الدكتور/ تمام حسان(١) :

" اللغة نتاج اجتماعي بلا شك ، ويراعي الكشف عن هذا الجانب الاجتماعي في إبانة المعنى وهو ما يعرف بالمعنى الدلالي الذي هو معنى المنطوق الذي هو نشاط نطقي بخلاف المعنى المعجمي العام الذي هو معنى الكلمة .

وهذه المستويات السابقة الأصوات ، الكلمات ، الجمل) هي مبني للغة ، أي ما يشبه أن يكون روحًا أو عقلًا للغة .

- **والخلاصة** : أن النشاط اللغوي الإنساني ليس عملية سهلة ، لتداخل العديد من المؤثرات في هذا النشاط ، وكذلك لخضوعه للنظم المتعددة ، والتي يخضع الإسنان لها عند ممارسته لهذا النشاط اللغوي .

" أثر السنسكريتية في علم اللغة "

كان الكشف عن اللغة " السنسكريتية " . sanscrit لغة الهنود القدماء ، والذي اهتدى إليها في عام ١٧٨٦م ، " السير وليم جونز " sir.w.jones الإنجليزي ، هو شهادة الميلاد الحقيقية لعلم اللغة الحديث .

فقد كان هذا الكشف حدثًا هامًا في الدراسات اللغوية من نواح عديدة :

١-فقد مكن اللغويين من إدراك ما بين اللغات الهندية والإيرانية ، وبين اليونانية واللاتينية واللغات المتفرعة عنهما من صفات التشابه أو التماثل .

٢-فقد ألف " فرانز بوب fransbopp "كتاب " نظام تصريف السنسكريتية " وبيَّن فيه العلاقات .التي تربطها بالجرمانية والإغريقية واللاتينية وغيرها ، فأوحى ذلك إلى اللغويين بفكرة " الفصائل " أو " العائلات اللغوية "

٣-كما أن كشف " السنسكريتية " أتاح لغويي الغرب الاطلاع على أقدم ما ألف العقل الإنساني وهو كتاب " بانيني " Panini الذي سماه " سوزا " أي الرموز ، وذلك ما بين عامي ٢٥٠: ٣٥٠ ق.م ، حيث وصف " بانيني " في كتابه هذه اللغة وصفًا دقيقًا في نظامها الصوتي والصرفي وخواصها التركيبية ، واستعمالاتها النحوية ، وقد شرح " باثانيالي " في القرن الثاني ق.م – كتاب

---

(١) انظر : اللغة بين المعيارية والوصفية – د / تمام حسان – ص ٢.

" بانيني " شرحًا مفصلًا ، ووجد أن دراسة اللغة عند الهنود قد اتجهت اتجاهًا " وصفيًا" ، خالية من التعليل والتأويل ، وهو المنهج السائد في الدراسات اللغوية الحديثة ، وذلك مختلف عما قامت عليه دراسة اللغة عند اليونان ، حيث اعتمدت على المنطق تستهديه في وضع النظريات والقواعد بينما اتجهت عند الهنود إلى وصف الأنظمة اللغوية المختلفة .

٤-كما أن كشف اللغة السنسكريتية أدى إلى نشأة ما يعرف ب (فقه اللغة) بحدوده المعروفة الآن ، ومن درس للنصوص القديمة في أشكالها المكتوبة ومن اتخاذ اللغة وسيلة لدراسة الثقافة على العموم .

الفصل الخامس

اللغات الإنسانية

تعددها وانقسامها إلى أسر لغوية

" الفصائل اللغوية "

لم يستطع العلماء إحصاء هذه اللغات فقالوا على سبيل التخمين إنها بين رقمي ٢٥٠٠-٣٥٠٠ لغة – وهذا أمر صعب تحديده لاختلاف اللغات باختلاف الشعوب وتنوعها ، ولتفاوت اللغات في الرقي والانحطاط ، أو التأخر عن ركب الحضارة .

اتفق العلماء على إطلاق اسم عائلة أو أسرة لغوية على مجموعة لغات متشابهة أو منحدرة من أصل واحد واختلفوا على عددها وعلاقاتها ببعض [١] .

يمكن حصر اتجاهات العلماء في تقسيم اللغات البشرية على أساس

أولًا : أساس ديني :

معتمدين على ما أوردته التوراة ، من أن سكان الأرض غرقوا بالطوفان ، وبقى نوح وأولاده : يافث ، وحام ، وسام ، وبمرور الزمن تحولت لغتهم الواحدة إلى لهجات ولغات تبعًا لعوامل التطور المختلفة ، ومنها : –

اللغة اليافثية (الآرية) : نسبة إلى يافث بن سيدنا نوح عليه السلام ، وموطنها : أرض بابل ، أو أرمينيا

اللغة الحامية : نسبة إلى حام بن نوح

اللغة السامية : نسبة إلى سام بن نوح ، وموطنها غرب آسيا .

ثانياً : على أساس مراحل التطور والارتقاء وأصحابها (شليجل) ، حيث قسمها إلى :

١- **لغات متصرفة ، أو تحليلية** : حيث تتصرف ، وتتغير أبنيتها ومعانيها (صرفيًا) ، وتمتاز بالربط بين أجزاء جملها (نحويًا) ، وسميت بالمتصرفة ، لتغير أبنيتها بتغير المعاني ، وسميت بالتحليلية ؛ تحليل أجزائها ، وربطها بعضها ببعض بروابط تدل على العلاقات المختلفة

٢- **لغات غير متصرفة (عازلة)** : كلماتها جامدة لا تتصرف لا بتغير البنية ولا عن طريق لصق حروف بالأصل ، و تلزم صورة واحدة ومعنى ثابت ، وتمتاز بعدم وجود روابط بين أجزاء الجملة ، وسميت بغير المتصرفة ، لأن كلماتها لا تتصرف ولا يتغير معناها ، سميت بالعازلة ، لأنها تعزل أجزاء الجملة بعضها عن بعض ، ولا تصرح بما يربطها من علاقات ، وأهمهم اللغات الصينية ، والفيتنامية ، والبرمانية ، وكثير من لغات الشعوب البدائية .

٣- **لغات لصقية ، أو وصلية** : لأن تغير معاني كلماتها إنما يأتي عن طريق لصق أحرف بأول الكلمة ، أو بنهايتها ، حتى يتم التوصل لربط أجزاء الجملة وبيان علاقة كل جزء منها بالآخر ،

---

[١] عنوان النظرية في تصنيف اللغات البشرية ، أو توزيعها على مجموعات ، أو عائلات تتشابه أفرادها تشابهًا كبيرًا في كثير من الظواهر اللغوية وقد جاءت فكرة هذا التصنيف كثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية المقارنة التي ازدهرت بعد كشف اللغة السنسكريتية (اللغة الهندية القديمة) على يد السير (وليم جونز) عام ١٧٨٩م مما يرجح البداية التاريخية لهذه النظرية على الرغم من وجود نظرات علمية حول أساس الفكرة سابقة لها .

ولتوضيح المعنى المقصود.

❁ وتعرف هذه اللواصق بالسوابق إذا أضيفت قبل الكلمة ، وتسمى اللواحق إذا أضيفت إلى نهاية الكلمة ، وتستخدم اللواصق كمساعد للدلالة على تغير معنى الأصل الذي تلصق به ؛ لأنه ليس لها دلالة مستقلة في حد ذاتها ، ومن أشهر هذه اللغات : اليابانية .

هناك عدة طرق لتصنيف اللغات ومنها [١] .

أ-الطريقة التشكيلية : وهي طريقة وصفية تقوم على أساس وسائل بناء وتوليد الكلمات ، وتهتم بالتركيب الحديث للغة ، فتقسم اللغات إلى أنواع عامة هي :

١-اللغات التصريفية أو التحليلية : وهي التي تدل على العلاقات النحوية عن طريق السوابق واللواحق والتغييرات الداخلية في بنية الكلمة ، وسميت بذلك لتغير أبنيتها بتغير المعاني ، ولإمكان تحليل أجزاء الجملة وربطها بعضها ببعض .

٢-اللغات اللاصقة : وهي التي تضيف لواحق منفصلة تختلف عن النهايات التصريفية في أنها يمكن أن تتمتع باستقلالها وانفصالها في بعض المواقف والملاحظ أن الحدود بين هذين النوعين ليست واضحة المعالم دائمًا .

٣-اللغات المفردة : وهي التي تستعمل كلمات جامدة لا يمكن أن تنقسم أو تفكك إلى كلمتين ، وتستعمل هذه اللغات ترتيبًا معينًا لجملها ، بحيث يدل على العلاقات النحوية بنظام الجملة المعين .

٤-اللغات المركبة : وهي التي تركب أعدادًا من الكلمات في شكل عبارة واحدة ، وليس الكلمة منها معنى إذا استعملت بعيدة عن بقية ملازماتها ، وهنا يبدو العبارة وكأنها كلمة واحدة .

❖ وهذا التصنيف لا يصلح كوسيلة لربط اللغة العربية جذورها العرقية والتاريخية ، فربما يقطع هذه الجذور ، لأنه يركز على الصورة الحالية للغة دون النظر لما كانت عليه .

❖ كما أنه تقسيم سطحي ، لأنه يجمع تحت فصيلة واحدة عدة لغات يختلف بعضها عن بعض في الروح [٢] ومثال ذلك : اللغة الهندية فإنها يقتضي هذا التصنيف تنتمي إلى نوع اللغات اللاصقة تاركة أمها السنسكريتية ضمن إطار نظام النهايات التصريفية ، بينما تنتمي اللغة العربية بمقتضى هذا التصنيف إلى ثلاثة أنواع مختلفة على الأقل ، ففيها من اللغات التصريفية سوابق المضارعة (الهمزة والنون والتاء والياء) وأيضًا الاشتقاقات المختلفة (كاسم فاعل واسم مفعول والصفة المشبهة) وكلها تقوم على أساس التغيير الداخلي .

❖ وبها أيضًا من الخصائص ما يجعلها تندرج تحت الصنف الثاني ، من خلال الضمائر المتصلة

---

(١) انظر : أسس علم اللغة – تأليف ماريو باي – ترجمة د / أحمد مختار عمر – ص ٥٥ : ٥٨ " تصنيف اللغات من حيث التطور والارتقاء ، وعلى أساس القرابة اللغوية ، أو على أساس جغرافي .

(٢) انظر : مدخل إلى اللغة – د / محمد حسن عبد العزيز – ص ٥٨ وما بعدها ، ودراسات في اللغة العربية – د / فتحي محمد جمعة – ص ٨ وما بعدها – ط ١٩٨٧م .

❖ التي من الممكن أن تقع منفصلة ، وفيها من الصنف الثالث (اللغة المفردة) الذي لا يستدل فيه على العلاقات النحوية إلا من خلال ترتيب معين ، نحو : ضرب موسى عيسى – ونعم مصطفى حيث نجد أنه في المثال الأول لا تستدل فيه على الفاعل إلا من خلال الترتيب
والتركيب الثاني يتألف من كلمة جامدة ، وأخرى لا تظهر عليها علامات الإعراب .
ونخرج من ذلك إلى أن هذا التصنيف لا يصلح لتحقيق ما نرمى إليه من تأصيل لنشأة اللغة العربية وعلاقاتها بغيرها من اللغات .

❖ كما أن هناك تصنيف جغرافي – وهو الآخر لا يصلح لتحقيق ما نصبو إليه ، بل إن إعماله يؤدي إلى توزيع اللغة العربية على مجموعة من العائلات الأسيوية ، ومنها العائلة الأفريقية ، وهذا التقسيم هو أقل شهرة وأهمية ، وهو يقوم على التقسيم الجغرافي المنطقي .

ب-التصنيف على أساس العلاقة والقرابة اللغوية والثقافية [1]

ويقوم على أساس تاريخي لربط اللغات بأصل معروف أو تخميني حيث يقال عن لغتين أنهما متصلتان جينيًا إذا ما ثبت أن إحداهما تنحدر عن الأخرى ، أو يقال إن تتشابه لغتان أو أكثر في الأصوات وفي الصيغ وفي التراكيب تشابهًا واضحًا ينبيء عن انحدارها من أصل لغوي واحد .
هذا وبعد هذا التصنيف القائم على الأساس (الجيني) هو أكثر التصنيفات أهمية ، لأنه التصنيف الذي قامت على أساسه دراسة علم اللغة المقارن في القرن التاسع عشر ، فإذا ما قلنا بوجود اتصال بين لغتين أو مجموعة من اللغات فإن الذهن ينصرف إليه ، كما أنه يفيد في التعرف على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول نشأة اللغة العربية ، كما يفيد أيضًا في معرفة ما طرأ عليها من تطور حتى آلت إلى ماهي عليه الآن ، وهذا لا يتحقق إلا بالعثور على منطلق تاريخي يشكل صورة ولو جزئية لبدايات تلك اللغة .

❖ ويعتبر العالم اللغوي (ماكس مولر) ، والعالم الألماني (شلوتشر) عام ١٧٨١م ، من أوائل
❖ العلماء والباحثين الذين لاحظوا وتنبهوا إلى علاقات القرابة ودرجات الصلة بين مجموعات من

---

(١) يقوم هذا التقسيم على ما يتوصل إليه فريق من علماء اللغة اللذين استفادوا من المنهج المقارن في دراساتهم وأبحاثهم ، ولا حظوا أن هناك صلات وعلاقات قوية ووثيقة بين مجموعات من اللغات اصطلحوا على تسمية كل مجموعة منها بالفصائل اللغوية ، تجمع كل فصيلة من هذه الفصائل علاقة وقرابة لغوية من حيث التقارب أو الاتفاق في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل ، ونحو ذلك من الظواهر اللغوية .
انظر : مدخل إلى اللغة – ص ٢٠٨ وما بعدها – ط ١٩٨٨م .
وفي التراث العربي نجد الخليل ، وابن حزم ، وأبا حيان لمحوا جميعا ما ينشأ من صلات بين اللغات ، وأدركوا العلاقة بين العربية ، والعبرية ، وأخواتها : كالكنعانية والسريانية ، وغبيرهما .
وقد ذكر ذلك الخليل في العين ، وابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام
كذلك أدرك (دانتي) في القرن ال١٤ من خلال المفردات أن اللغة الفرنسية ، والإيطالية ، والأسبانية ترجع إلى أصل واحد
انظر : كتاب الأحكام – لابن حزم ، وعلم اللغة – / د محمود فهمي حجازي ص١٢٣ ، وفصول في فقه العربية – ص ٢٩،٣٠ ، ودراسات في اللغة العربية د / فتحي محمد جمعة – ص ٨ : ١٠.

❖ اللغات في العناصر اللغوية المختلفة : صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، وتعتبر نظرياتهم ، وآراؤهم ، ومقترحاتهم من أشهر النظريات ، والآراء ، والمقترحات التي قسمت اللغات البشرية .
على هذا الأساس ، وقد أرجعت هذه النظرية اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل (عائلات) لغوية أساسية ، وهي تشبه القرابة بين إنسان وإنسان ، أو أسرة و أسرة ، وكل عائلة مجموعة أسر (فصائل) لغوية بحسب ما يجمع بينها من علائق في مختلف الظواهر اللغوية ، والفصائل اللغوية هي :

١-الفصيلة أو الأسرة الهندية (الآرية) .
٢-الفصيلة أو الأسرة السامية – الحامية .
٣-الفصيلة أو الأسرة الطورانية .

ويندرج تحت كل فصيلة من هذه الفصائل مجموعة من اللغات ، وسأتناول كل فصيلة – بمشيئة الله تعالى – هن هذه الفصائل بشيء من التفصيل .

أولًا : الفصيلة الهندية – الأوربية (الآرية) :

هي أعظم الفصائل اللغوية وأكثرها انتشارًا ، وتضم أشهر اللغات الإنسانية وأوسعها انتشارًا والتي يتكلم بها سكان مناطق كثيرة من بلدان العالم ، وتضم هذه الفصيلة عدة فروع ، منها : الفرع الهندي ، والفرع اللاتيني ، ومن لغاته : الفرنسية والإيطالية ، والأسبانية ، والفرع الجرماني ، ومن لغاته ، الإنجليزية ، والألمانية ، ومجموعة أخرى .
وأصحاب هذه الفصيلة من اللغات لهم أثر كبير وبارز في الحضارة الإنسانية الحديثة ، وبعض الناطقين بها من أرقى الشعوب حضارة .
وتختلف آراء العلماء حول الموطن الأصلي لهذه اللغات – ولم يعرف على وجه الدقة الوطن الأصلي لهذه الأسرة ، فقيل : إنها نشأت في آسيا الوسطى بمنطقة التركستان ، وقيل : في المناطق الروسية بأوربا الشرقية ، وقيل : في مناطق بحر البلطيق ، والهند وفارس وأفغانستان – وسكان أوربا والأمريكتين ، وأستراليا ، وجنوب أفريقيا ، أو بابل ، أو أرمينيا .
وتشمل هذه الفصيلة : اللغات الهندية القديمة (السنسكريتية) ، والفارسية القديمة ، وكثير من اللغات الأوربية ك (اللاتينية واليونانية والجرمانية والسلافية) ، ويلاحظ أنها تشتمل على ثمان مجموعات من اللغات ، وهي :

١- اللغات الهندية الإيرانية (الآرية)، وتشتمل على شعبتين :
الأولى :شعبة اللغات الهندية (السنسكريتية والبراكريتية ، واللغات الهندية الحديثة) .
الثانية : شعبة اللغات الإيرانية (الفارسية القديمة ، والافسيتية ، الزند أفستية [١] ، والبهلوية ، والفارسية الحديثة والكردية ، والإسبيتية [١] ، الأفغانية أو البشتو) .

([١]) وهي لغة الأسفار المقدسة المسماة (الابستاق) وشروحها المسماة الزند – أفسنا.

لوجوه الشبه المتقاربة والكثيرة بين هاتين الشعبتين اعتبرهما علماء اللغة طائفة واحدة ، سموها (طائفة اللغات الهندية الإيرانية ، أو طائفة اللغات الآرية [٢]

٢-اللغات الإغريفية : وتشمل اليونانية القديمة ، وأشهرها : اليونانية – القبرصية – الأتيكية – الدورية ، وتشمل : اليونانية الحديثة (في العصر الحاضر)

٣-اللغات الإيطالية ، وأهمها : اللاتينية والرومانية وهي المتفرعة من اللاتينية كالفرنسية والبرتغالية والإيطالية والأسبانية ولغة رومانيا .

٤-اللغات الجرمانية وتشمل ثلاث شعب :

أ-شعبة اللغات الجرمانية الغربية ، وتشمل : الإنجليزية القديمة (السكسونية) ، والإنجليزية الحديثة – والهولندية – والفلامندية [٣] – واللغة الألمانية .

ب-شعبة اللغات الجرمانية الشرقية : وهي اللغة الجوتية [٤] .

ج-شعبة اللغات الجرمانية الشمالية ، وهي لغات أيسلندا ، والدانمارك ، والسويد ، والنرويج .

٥-اللغات البلطيقية السلافية ، وتشمل شعبتين :

الأولى : شعبة اللغات البلطيقية : وهي الليتوانية (لغة ليتوانيا) أو البروسية القديمة .

الثانية : شعبة اللغات السلافية أو الصقلية ، وهي : السلافية القديمة والروسية ، والتشيكية ، والصربية ، والبولاندية ، والكرواتية ، والبلغارية الحديثة .

٦-اللغات الأرمينية .

٧-اللغات الألبانية .

٨-اللغات السلتية أو الكلتية [٥].

من هذا العرض يتضح أن هذه الفصيلة (اللغات الهند الأوربية) هي أكثر اللغات الإنسانية انتشارًا ، وتحتل أماكن كثيرة من مناطق العالم ، إذ يتكلم بها الآن جميع سكان أوربا والأمريكتين (الشمالية والجنوبية) ، وأستراليا ، وجنوب افريقيا ، وقسم كبير من سكان آسيا في الهند وفارس وأفغانستان والكردستان ، والقوقاز الأوسط ، وأرمينيا

---

(١) وهي لغة الأسيتين وهم سكان القوقاز الأوسط .

(٢) أطلق علماء اللغة الأقدمون هذا الاسم على جميع الفصيلة الهندية – الأوربية – من باب التوسع ، ومن قبيل إطلاق الخاص على العام ، ثم عدل علماء اللغة المحدثون عن هذا الاستعمال تجنبًا اللبس .والآري : لفظ سنسكريتي قديم ، معناه الشرف والنبل وينتمي معظم المتكلمين بهذه الأسر من اللغات إلى الجنس الآري ، مع أنها تختلف فيما بينها تبعًا لنهوض الشعوب وتقدمها ، كتفوق الألمان والإنجليز على اللغات الصربية والسلافية .

انظر : علم اللغة – د/ وافي – ص ١٨٣ وما بعدها ، ودراسات في فقه اللغة – د / صبحي الصالح – ص ٤٢ وما بعدها ، وفقه اللغة – د / إبراهيم محمد نجا – ص ٣٠ وفي فقه اللغة العربية – د / ناجح عبد الحافظ مبروك – ص ٦٩ وما بعدها .

(٣) وهي لغة مقاقعة الفلاندر ببلجيكا .

(٤) وهي لغة قبائل الجوت ، وهو شعب قديم كان يسكن جرمانيا الشرقية .

(٥) وهي التي كانت لغات شعوب السلت أو الكلت ، ومن بقاياها : لهجات إيرلندية ، وويلزية وغيرهما .

- وتعتبر هذه الشعوب هي أرقى وأكثر الشعوب مدنية وحضارة وتقدما وازدهارًا في العصر الحديث ، وأعظمها نشاطًا ، وأكثرها إنتاجًا ، وأكبرها شأنًا في مختلف مجالات الحياة ، كما أنها تعتبر أعظمها أثرًا في الحضارة الإنسانية الحديثة .

❁ ويرجع الفضل في انتشار هذه الفصيلة إلى عدة عوامل ، من أهمها : الغزو الاستعماري للشعوب المتكلمة بهذه اللغات ، فمثلًا بعد أن غزا الآريون بلاد الهند انتشرت لغاتهم في هذه البلاد وقضت على لغات السكان الأصليين ، ولم يبق من لغات تلك الشعوب المستعمرة إلا آثار ضئيلة – وكذلك بعد استعمار الأوربيين للأمريكتين ، وأستراليا ، وجنوب افريقيا – انتقلت إلى هذه المناطق اللغات : الإنجليزية والأسبانية والفرنسية .

❖ والملاحظ أ ن هذه الفصيلة تمتاز بكثرة شعبها واتساع هذا الخلاف بين لغات هذه الفصيلة حتى أنها انقسمت إلى الطوائف الثمان المذكورة سابقًا ، وانقسام هذه الطوائف إلى شعب ، وكل شعبة إلى لغات ، وأخذت كل لغة في الارتقاء والتطور ، مختلفة عن غيرها من اللغات .

❁ ومن ثم فقد كثرت وجوه الخلاف بينها ، وضعفت وتضاءلت وجوه الشبه لدرجة أنها تبدو غريبة عن بعضها ، ولا تتضح صلة علاقة وقرابة إلا بعد تأمل عميق ، ونظر كبير ، ويرجع السبب في هذا إلى عوامل كثيرة من أهمها :

- اختلاف النواحي والظروف الاجتماعية التي يعايشها الناطقون بكل شعبة وكل لغة منها .
- اختلاف البيئات التي انتشرت فيها هذه الفصيلة .
- ونتيجة هذه العوامل هو ذلك الاختلاف بين كل لغة عما عداها في درجة رقيها وبعدها عن أصولها الأولى .

ثانياً : الفصيلة الحامية – السّامية .

تشغل مناطق أقل بكثير من سابقتها ، حيث ينطقها أكثر من مائة وثلاثين مليونًا من البشر ، وذلك في بلاد العرب وشمال أفريقيا وجزء من شرق أفريقيا (أي نحو ٢٠ مليون كيلو متر مربع) داخلة فيها صحراء بلاد العرب وشمال أفريقيا ، كما أن عدد الناطقين بها محدود قياسًا بسابقتها ، غير أن مناطق المتكلمين بهذه الفصيلة تكاد تشكل منطقة واحدة متماسكة الأجزاء مستقلة ليس فيها عنصر دخيل ، وهذه تعتبر مزية كبيرة من مزاياها ، كما تتميز بتلاقي شعوبها في أصول واحدة قريبة ، وأساليب حياة متفقة ، وكذلك في نوع الحضارة والنظم الاجتماعية ، وتشتمل هذه الفصيلة على مجموعتين رئيسيتين من اللغات ، هما :

المجموعة الأولى : وهي مجموعة اللغات السَّامية ، وتتفرع إلى طائفتين :

١-الشمالية : وتشمل المجموعة الشرقية ، وتمثلها : اللغات الأكادية (الأشورية – البابلية) ،

٢-والمجموعة الغربية ، وتمثلها ، اللغات الكنعانية (العبرية [١] - الفينيقية) ، واللغة الآرمية ، وأهمها السريانية ، والأجاريتية والعربية ، والمؤابية المنسوبة إلى (مؤاب) شرق الأردن ونسل (لوط) بن أخي إبراهيم الخليل ، ويرجع تاريخهم إلى ٩٠٠ق.م .

٣-الجنوبية ، وتشمل : العربية ، واليمنية القديمة ، والحبشية السامية (الأمهرية – والجعزية) ، وقد نشأت في شبه الجزيرة العربية .

المجموعة الثانية : وهي مجموعة اللغات الحامية وهي تشمل ثلاث طوائف :

١-اللغات المصرية ، وتشمل : المصرية القديمة ، والقبطية ، وانتشرت في مصر منذ حوالي ٣٠٠٠ ق.م ، واللغة الهيروغليفية (لغة الطبقة العليا) ، واللغة الهيراطيقية (لغة الطبقة المتوسطة) ، واللغة الديموطيقية (لغة عامة الناس) .

٢-اللغات الليبية أو البربرية :

وهي لغات السكان الأصليين بالشمال من أفريقيا (تونس – الجزائر – مراكش – الصحراء – وطرابلس) ، وتشمل اللغات الشاوية (الجزائر) ، والتماشكية (صحراء المغرب) والشلحية (مراكش) .

٣-اللغات الحامية الشرقية :

وتشمل اللغات الكوشية [٢] : وهي لغة سكان شرقي أفريقيا الأصليين ، ومن فروعها : البجة بشمال أريتريا – الصومالية – العفر – الجالا– دنقلة –الأجاوا – والسيداما ، ويتألف من الناطقين بهذه الفصيلة السامية مجموعة شديدة التجانس تتقارب في صفاتها وخصائصها ، وتتلاقى شعوبها في أصول واحدة قريبة ، وتتفق في أساليب الحياة ونوع الحضارة والنظم الاجتماعية . ويجمع بين اللغات السامية (المجموعة الأولى من هذه الفصيلة) كثير من الصفات المشتركة المتعلقة بأصول الكلمات والأصوات ومخارج الحروف وقواعد الصرف والتركيب وما إلى ذلك .

---

(١) العبرية هي لغة العبريين " بني إسرائيل ، وجملة شعو أخرى كبني مدين ، وأهل مؤاب ، وعمون ، ويبدأ تاريخ هذه اللغة منذ القرن ١٢ ق.م ، حين دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين ، وقد كتب بهذه اللغة العهد القديم (كتاب اليهود المقدس) التوراة ، وأسفار الأنبياء من بعده من الذين خلفوه على قومه ، وكذلك كتب الحكمة "

انظر : اللغات السامية لوفنسون – ص٧٧ وما بعدها ، ودراسات في اللغة العربية د / فتحي جمعة – ص٢٢ ، هذا وقد مرت العبرية بطور العتيق (مرحلة ما قبل العهد القديم) ، وطور الفصاحة ، وقد بلغ قمته العليا في عهد داود ، وسليمان ، وطور الانحدار عندما زحفت الآرامية فتوارت العبرية وذلك في عهد مبكر (في حوالي القرن ال٦ ق.م) حيث أخذت العبرية تموت على ألسنة اليهود أنفسهم ، فهجروها إلى اللغة الآرامية ، وبقيت العبرية لصلاتهم في المعابد ، أو تعليمها في مدارس المعابد ، وأحيانًا يكون سرًا بعيدًا عن السلطات ثم قامت محاولات لأحيائها في العصور الوسطى ، ثم العصر الحديث حتى عادت إليها الحياة .

(٢) الكوشية نسبة إلى كوش ، أحد أولاد حام بن نوح (عليه السلام) – انظر : علم اللغة – د / وافي – ص ١٨٥ ، وفي التطور الصوتي – د / عبد الصبور شاهين – ص٢٩ وما بعدها ، ومدخل إلى اللغة – ص ٢٠٨ وما بعدها ، ودراسات في فقه اللغة – د / محمد الأنطاكي – ص ٦٣ ، ودراسات في فقه اللغة – د /صبحي الصالح – ص ٤٣ ، ٤٤.

وقد يحس الباحث بأن هذه الفصيلة مجرد لهجات للغة واحدة ، وذلك لقوة وجوه الشبه بين بعض أفرادها .

أما مجموعة اللغات الحامية : (المجموعة السامية من هذه الفصيلة) فلا يوجد بين طوائفها الثلاث (المصرية والبربرية والكوشيتية) من وجوه الشبه والقرابة اللغوية أكثر ما يوجد بين كل طائفة منها ومجموعة اللغات السامية .

ورغم الاختلاف غير اليسير في كثير من الظواهر بين هذه المجموعات الأربع (السامية – المصرية – البربرية – الكوشيتية) ، إلا أن ما بينها من وجوه الشبه والقرابة اللغوية ما يسمح بجعلها فصيلة واحدة مقابلة للفصيلة الهندية الأوربية ، كما نلحظ تغلب مجموعة اللغات السامية على المجموعات الثلاثة الأخرى .....

فمثلًا : اللغة العربية السَّامية قد حلت محل اللغات القبطية في مصر ، والبربرية في شمال أفريقيا ، واقتصرت البربرية على مجموعة محدودة كلغة حديث فقط عند القبائل المغربية في مراكش ، وبعض الواحات التابعة لطرابلس كواحة (أوجله) جنوب برقة ، كما تم القضاء على اللغة الكوشية في صراعها مع اللغات السامية .

واحتلت السامية معظم مناطقها ، ولم يبق منها الآن إلا بعض لهجات قليلة في بلاد الحبشة ، وبعض المناطق المتاخمة لها .

واللغات السامية دخلت في صراع بعضها مع بعض ، كصراع الآرامية مع اللغات الأكادية والكنعانية ، فتم القضاء على الأكادية في أوائل القرن الرابع ق .م ، ثم تم القضاء على العبرية أيضًا في أواخر القرن الرابع ق.م ، وتغلبت السامية أيضًا على الفينيقية في القرن الأول ق.م ، وكذلك حدث صراع بين العربية وأخواتها ، فقد اشتبكت في صراع مع اللغات اليمنية القديمة ، وقضت عليها قبل الإسلام إلا مناطق محدودة قد احتفظت بلهجاتها القديمة حتى العصر الحاضر ، وربما لأنها تقع في مناطق نائية منعزلة ساعدها على النجاة ، ثم قضت العربية على الآرامية في الشرق والغرب في حوالي القرن الثامن الميلادي .

وامتد أثر العربية إلى الأمم الآرية والطورانية التي اعتنقت الدين الإسلامي مثل الفرس والهنود والأتراك ، فاحتلت العربية لدى تلك الشعوب مكانة سامية مقدسة ، وتركت آثارًا عميقة في كثير من لغاتها ، واتسعت بذلك مناطق نفوذها .

وزاد عدد الناطقين بها ، والمتأثرين بسلطانها ، كما ترجع أهميتها إلى أنها تضم لغات هامة للغاية في تاريخ الحضارة الإنسانية وعلى رأسها العربية لغة القرآن الكريم ، ودستور المسلمين ، فضلًا عما أسدته اللغة العربية للحضارة الإنسانية ، ولم تزل إلى اليوم ، كما أن هذه الفصيلة شغلت وحدة جغرافية واحدة متماسكة .

ثالثاً : الفصيلة الثالثة : اللغات الطورانية :

الطورانيون من أقدم الأجناس البشرية في شرق وشمال شرق آسيا وينتمون إلى الجنس الأصفر ، وتطلق على طائفة من اللغات الأسيوية والأوربية التي لا تدخل تحت إحدى الفصيلتين السابقتين (الهندية – الأوربية – والحامية والسامية) وذلك مثل : (اللغات التركية والمغولية والصينية والتركملنية والفلندية ، واليابانية ، والمنشورية والغينية)

❖ **ويعد أول من أطلق عليه هذا الاسم هو العالم ماكس مولر**

وهذا التقسيم ليس كسابقه ، فهو لم يقم على أساس درجة صلة أو القرابة اللغوية بين هذه اللغات بل هي مجموعات من اللغات لا تدخل في إحدى الفصيلتين السابقتين .

ولقد عدل علماء اللغة المحدثون عن هذا التقسيم وعن استعمال كلمة (اللغات الطورانية) وقسموها إلى مجموعات صغيرة من الفصائل اللغوية التي تربطها أواصر القرابة اللغوية.

❁ **أما جمعية علم اللغة بباريس فقد قامت بأحدث نظرية تقوم على أساس تقسيم جميع اللغات الإنسانية الخارجة عن الفصيلتين الأولى والثانية قسموا – اللغات – إلى تسع عشر فصيلة منها** (١) :-

فصيلة اللغات اليابانية – الكورية – الأنيو – الصينية التبتية –الأسترالية الأسيوية –الدرافيدية– القوقازية – الهنود الحمر بأمريكا – السودان – الملايوية – الأسيوية القديمة – التركية والمغولية والمنشورية – الغينية – والباسك – والهيربورية – البنطوية – البوشيمان والينجريين – الأمريكية – لغات سكان استلراليا الأصليين .

رابعاً : فصائل لغوية أخرى :

وقد وضع علماء اللغة فصائل لغوية أخرى أهمها : –

أ-فصائل اللغات الصينيتة التبتية : -

وتنتشر في الصين وهضبة التبت والهملايا وبورما ، وأهم لغاتها : الصينية والتبتية والبرمية واللولية ، وأهمها الصينية من حيث الانتشار ، وهذه اللغة لها أدب غني وتتميز بألفاظها الأحادية المقطع ، والتنغيم الذي يخصص معنى الكلمة ، ولهذه اللغة عدة لهجات ، واللهجة الرسمية هي لهجة العاصمة (بكين) .

ب-فصيلة اللغات السودانية – الغينية : –

وأهمها :

١–النوبية – في جنوب مصر ما بين أسوان ووادي أبريم وفي وادي حلف ودار سكوت ودنقلة وكردفانن ودارفور بالسودان .

٢–الهوسا – وتنتشر بين نهري النيجر والفولتا.

---

(١) عرض د / على عبد الواحد وافي لهذه الفصائل في كتابه " علم اللغة " .

ج-فصيلة لغات البانتو : – جنوب خط الاستواء ومن أهم لغاتها الزولو – واللغة السواحلية في مناطق ساحل زنجبار ، وتحتل مركزًا مرموقًا في التعليم بمدارس كينيا والكونجو ، وتكتب بحروف عربية .

د-لغات المحيط الهندي : – ومن أهمها اللغات الأندونيسية والملاوية واللغات الأسترالية .

هـ- فصيلة اللغات الأورالية – وتضم : الفلندية والثامودية ، ، وفصيلة اللغة الألطائية وتضم اللغة المنشورية والمنغولية و التركية .

وبعد فهذه أهم الفصائل اللغوية المهمة التي يتكلم بها عدد كبير من الناس ، وهناك فصائل كثيرة صغيرة كلغات الأسكيمو والهنود الحمر والقوقازيين حول بحر قزوين ، ولغات مفردة لا أصل لها كلغة الباسك في فرنسا و أسبانيا وهي لا تشبه أي لغة معروفة لنا.

الأسرة اللغوية الأفرو أسيوية : –

تكون هذه اللغات أسرة لغوية واحدة تعتبر من أكبر الأسرات اللغوية قديمًا وحديثًا ، فهي تضم عدة أفرع لغوية : السامي والمصري القديم والبربري ، والتشادي ، والفرع الكوشي ، وأدرك الباحثون أوجه الشبه والاختلاف والعلاقة بين اللغات من حيث القرابة بينها ، مما جعل اللغوي الأمريكي " جرينبرج " هذه الأسرة بأنها الأسرة الأفرو أسيوية ، وهي تشترك في عدد من الخصائص البنيوية ، وأميزها ما يلي : –

١– التمييز بين المذكر والمؤنث في الصيغ الصرفية المختلفة دليل على انتماء اللغة موضع البحث إلى اللغات الأفرو أسيوية ، فاللغات الهندية الأوربية تميز بين المذكر والمؤنث والمحايد كما في الألمانية ، أما اللغات الأورالية ، فلا تعرف هذا المعيار في التصنيف ، كما يقوم التصنيف في عدد من الأسرات اللغوية وفق معايير أخرى بعيدة عن الجنس النحوي ،أي ليس في معيارها التذكير والتأنيث ، أما اللغات الأفرو أسيوية فتستخدم التاء لتمييز المؤنث عن المذكر ، فهي تتفق من ناحية بدأ التصنيف ومن ناحية الوحدة الصرفية الدالة على التأنيث .

٢– هناك لغات كثيرة ، تستخدم السابقة M في تكوين صيغ اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل وتدخل في الأسرة الأفرو أسيوية ، فنجده في اللغات السامية والتشادية ومنها لغة الهوسا ، فمثلًا في العربية اسم المكان " موضع " من المادة وضع ، واسم الآلة " منشار " من المادة نشر ، واسم الفاعل من الفعل " مقيم " من الفعل أقام ، وشبيه بهذا أبنية اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل ، وفي لغة هاوسا وغيرها من اللغات التشادية .

اللغات السامية ، وخصائصها [١]

❖ يعد العالم الألماني " شلوتس " وزميله " ايكهورن " أول من استعمل وأطلق مصطلح " السَّامية

---

(١) وتشمل : الآشورية ، والبابلية ، والآرامية ، والفينيقية ، والعبرية ، والسريانية ، والحبشية السامية ، والعربية الجنوبية والشمالية، انظر في فقه اللغة – د / محمد علام محمد –كلية اللغة العربية – أسيوط .

❖ في نهاية القرن ١٨ من علماء أوربا ، وذلك لأن شعوب هذه اللغة في الغالب ينتمون لذرية سام بن نوح ، وهو أحد ثلاثة إخوة هم : سام ، حام (الذي تنسب إليه الفصيلة الحامية) ويافث ، ومن أولاد سام بن نوح : عيلام وآشور ، وأرفكشاد ولود وآرام .

❖ وقد لاحظ الباحثون أن ما جاء في العهد القديم مبني على أساس عنصري ، حيث استبعد الكنعانيين ونسبهم السامي ثابت لا شك فيه ، ويرجع هذا الاستبعاد إلى العداوات والاحقاد التي كانت بين الساميين والكنعانيين .

❁❁ والمهم أن الباحثين ارتضوا على جعل كلمة الساميين اسما لمن تجمعهم بسام بن نوح علاقات ثابتة ، بعيدًا عن نظرة العهد القديم السياسية التي ترتب حسب العلاقة الحسنة أو السيئة ببني إسرائيل وهذا أمر موضوعي فقد اعتبر الكنعانيين من الساميين واعتبروا الليديين والعيلاميين من غير الساميين .

كذلك ارتضى الباحثون مصطلح " اللغات السامية " اسمًا لمجموعة اللغات التي يتكلمها هؤلاء الساميون .

❖ وهنا نتوقف قليلًا أمام قصة كشف العلاقة بين بعض اللغات السامية على أيدي بعض الباحثين القدامى :

حيث لاحظوا التشابه الواضح بين العبرية والكنعانية في وجود علاقة مشتركة بين هاتين اللغتين ، كما لا حظوا كذلك منذ القرن " العاشر الميلادي " تشابهًا عن سابقه بين العبرية والعربية ، ولاحظوا علاقة بين اللغة الكنسية بالحبشية وبين العربية .

ولم ينتصف القرن ١٧ حتى تكونت لدى المستشرقين فكرة واضحة عن صلاة القرابة بين اللغات السامية ، قبل أن يهتدي " بوب " إلى صلاة القرابة بين اللغات الهندية الأوربية .

❖ ومع بداية القرن ١٩ كانت فكرة المستشرقين عن القرابة اللغوية بين لغات الفصيلة السامية قد اكتملت ، فقد اكتشف الخط المسماري في هذا القرن حيث دونت به الكتابة على الآثار الآشورية ، وعثروا على بعض الوثائق المدونة .

باللغتين [١] الكنعانية واليمنية القديمة فوضحت الفكرة عن هذه اللغات ، فعكفوا على دراستها ومقارنتها بعضها ببعض ، ومحاولة معرفتها تاريخيًا لاكتشاف حركة الخط البياني في انشعابها بعضها من بعض .

---

(١) الكنعانية نسبة إلى كنعان أحد أولاد سام بن نوح ، وهي لغة القبائل النازحة من جنوب غرب جزيرة العرب ، مستوطنة فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر المتوسط عام ٢٠٠٠ق.م وكونت لها حضارات وممالك زاهرة ومن أشهرها مملكة قرطاجنة شمال أفريقيا .

انظر : فقه اللغة – د / وافي – ص ٣٤ ، ودراسات في فقه اللغة – / صبحي الصالح – ص ٥٠ – وفي فقه اللغة د / ناجح مبروك – ص ٨٤، ٨٥

" الموطن الأصلي للغة السامية "

أما عن الموطن الأصلي للغة السامية ، فيصعب تحديده رغم اتفاق هذه اللغات في أصول الكلمات والأصوات والمخارج ، وقد قبلت آراء كثير لهؤلاء نذكر منها [١]

١-القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ، وهو أصح الآراء ، لخروج أمم كالأكاديين والآراميين والكنعانين من هذه الجزيرة ، وغلبة صفات البداوة على هذه الأمم السامية .

وأول من نادى بهذا الرأي العالم الألماني (شريدر) عام ١٨٧٣م، (شيرنجر) عام ١٨٧٥ م ، والهولندي (ديموبيه) عام ١٨٨٢ م .

٢-أرض بابل حيث تقول التوراة إنها أقدم ناحية عمرها " نوح عليه السلام " .

٣-أرض أرمينية بالقرب من كردستان ، كما رآه العالم الفرنسي (دينان) .

٤-بلاد كنعان .

٥-بلاد الحبشة ، ومنها نزح الساميون للقسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب ، ثم انتشروا من هذا الجزء في شبه الجزيرة العربية .

٦-بلاد شمال أفريقية : ومنها نزح الساميون إلى آسيا عن طرق برزخ السويس ، وقد اعتمد (نولدكه) على القرابة بين السامية ، والحامية .

هذه هي الأماكن المختارة وحولها اختلافات كثيرة في تحديد الموطن الأصلي للساميين فمثلًا :

يرى إسرائيل ولفنسون : للتوراة نظرية خاصة عن أقدم ناحية عمرها بنو نوح وهي أرض بابل وهي المهد الأصلي للحضارة السامية و إلى هذا الرأي يذهب " جويدي " واستدل على دعواه بسرد قائمة من الكلمات المألوفة في اللغات السَّامية ، كجبل – خيمة – شيخ – صبي – أسود وادعى أن أول من استعمل هذه الكلمات هي أمم تلك المنطقة ثم أخذها عنهم جميع الساميين .

ويرى آخرون أن القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للساميين ومال إليه الكثيرون من قدامى المستشرقين ومحدثيهم مثل : رينان الفرنسي ، وبروكلمان الألماني

ورأى د / على عبد الواحد وافي أن هذا الرأي هو أصح الآراء وأقواها سندًا وأكثرها اتفاقًا مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ ، وقدم د / وافي مجموعة أدلة على صحة ما ذهب إليه ، ومنها :

أولًا : من القسم الجنوبي (بلاد اليمن ونجد والحجاز) خرجت موجات متلاحقة من الهجرات ، ومنها :

١-في حوالي ٣٦٠٠ ق.م خرجت موجة من الساميين توجهت من هذا القسم إلى جنوب العراق ، وغزا السومريين وقضوا عليهم ، وأنشأوا مملكة (بابل) .

٢-وفي حوالي ٢٦٠٠ق.م : نزح بعض الساميين إلى الشمال ، فتكونت من سلالتهم الشعوب

٣-الكنعانية ، ويظهر أنه قد تخلف منهم في شمال الحجاز قبائل ثمود المعروفة .

([١]) انظر : فقه اللغة – د / عبد الواحد وافي ص ٧-١١ – وفي فقه اللغة – د / ناجح مبروك ص ٧٩ وما بعدها .

٤-وفي حوالي ١٦ ق.م : حدثت هجرة إلى العراق وتولى الساميون زمام الحكم في معظم بلاد العراق ، وأسسوا الدولة الكلدية الخامسة ومن ملوكها " حمورابي " .

٥-نزح أولاد إسماعيل (عليه السلام) " قبائل الإسماعيليين " من بلاد الحجاز إلى الشمال وذلك في القرن ١٦ ق.م ، ومنها قبائل " بنو قيدار " الذين انتقلوا من الحجاز إلى يثرب ومنها إلى مدائن صالح حيث تركوا بعض النقوش ثم هاجروا إلى خليج العقبة شمالًا ، ثم إلى وادي موسى ، وكذلك قبائل " بنو ثابت " " المعروفين " " بالنبط " الذين نزحوا مع بني قيدار من الحجاز إلى الشمال ، واستقروا في منطقة خليج العقبة ، وكونوا مملكة عظيمة ، وتركوا آثارًا كثيرة وظهر فيهم الخط المعروف بالخط النبطي .

٦-ومن هذا القسم نزحت القبائل المعدية (من الحجاز) إلى الشام في (أوائل التاريخ الميلادي ، كذلك بعض القبائل القحطانية (من اليمن) إلى الشمال والشرق ، فنزلت خزاعة بمكة ، والأوس والخزرج بيثرب ، وغسان بالشام ، ولخم بالعراق .

ثانياً : دليل آخر يقدمه د / وافي يتلخص في دعوى أصبحت شائعة لدرجة أنها تكاد تنضم إلى جملة الحقائق والمسلمات ، وهذه الدعوى تقول :

" إن العقلية السامية القديمة عقلية أساسها المحس المشاهد ، لا المعنوي المتخيل ... وعقلية هذا طابعها في التفكير وفي اختيار الكلمات لا يمكن أن تكون نشأتها إلا في ربوع الصحراء ، حيث ثبات وجمود الطبيعة " .

ولعلنا نوافق على ما رآه د / وافي من أن الموطن الأصلي للساميين هو القسم الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وذلك لوجود دليل الهجرات التاريخية من شبه الجزيرة العربية حيث استقر الساميون ، ومع ضيق الأرض ، وقلة مصادر الرزق كانت هجرتهم أملًا في إيجاد مقر لها ، فنزلوا بمواطن أخرى .

ومع هذا الميل لهذا الرأي إلبا أننا لا نعتبر ميلنا أكثر من أنه افتراض لا يرقى بحال إلى مستوى الحقيقة ، ومع عجزنا عن القطع بالموطن الأم للساميين لما فيه من غموض ، فإن من الصعب الإجابة عن السؤال القائل : -

هل هناك لغة سامية أم لا ؟

وهل هناك لغة إنسانية أولى ؟

يقرر (إسرائيل ولفنسون) أنه من العسير أن نتخيل ما كانت عليه اللغة السامية الأصلية ، ومقدار كلماتها ، بل من العبث إطالة البحث في أمر غامض مجهول نشأ ونما في عصور سبقت العصور التاريخية : مما يجعل من الصعب الوصول إلى ماهية اللغة السامية الأم ، وأن الوسائل المتاحة حاليًا وأن الحفريات والنقوش تعجز عن تحقيق هذا الغرض ، ولن ما يعرف الآن أن هناك وشائج أخوية قوية تربط لغات هذه الفصيلة .

والمعروف لدينا أيضًا أن الفرع السامي يضم من اللغات الأفرو أسيوية عددًا من اللغات القديمة والحديثة التي لها دور واضح في الحضارة الإنسانية وتعد اللغات السامية من أقدم اللغات الإنسانية التي وصلت إلينا مدونة ، فاللغة الأكادية في أرض النهرين (العراق) قد دونت منذ ٢٥٠٠ق.م ، وهي بهذا من أقدم اللغات المدونة ، ومن أهم اللغات السامية الحية العربية والأمهرية ، ومنها العبرية الحديثة واللهجات الآرامية الحديثة، والمهرية، والتجرية .

وكل هذه اللغات قد نشأت عبر مراحل من التغير عن لغة واحدة مشتركة لم تصل إلينا نصوص منها ، وهي اللغة التي يسميها الباحثون باسم اللغة السامية الأولى .

" اللغات السامية وكيف انحدرت منها اللغة العربية [١] "

أولًا : قسمت اللغات وهي كثيرة ومتعددة ومختلفة فيما بينها إلى فصائل وعائلات إما تقسيمًا مستندًا إلى ما جاء في التوراة (في سفر التكوين الإصحاح العاشر) من أن الطوفان عندما اجتاح سكان الأرض ، لم ينجُ منه سوى نوح وأولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وما حمل معه في سفينة من كل زوجين اثنين فنوح هو الأب الثاني بعد آدم (عليه السلام) ، للشعوب البشرية ، وعن ولاده الثلاثة تفرعت هذه الشعوب إلى سامية وحامية وآرية (يافثية) ، ومن الباحثين من صنفوا اللغات البشرية ناظرًا إليها نظرة طبيعية ، فقسم الأجناس على أساس اللون والتركيب الجسمي ، وأخذ فريق آخر معيار التطور والارتقاء أساسًا للتقسيم ، فقسم اللغات الإنسانية إلى ثلاثة فصائل مختلفة في درجة رقيها وهي : اللغات غير المتصرفة أو العازلة (وتشمل الصينية والبرمانية والتبتية) ، واللغات اللصقية أو الوصلية (وتشمل التركية والمنغولية والمنشورية واليابانية والإغريقية والجرمانية والعربية والعبرية) .

أم اللغات السامية فتطلق على جملة اللغات التي شاعت في أسيا وأفريقية منذ أزمان بعيدة ، وبعضها حي لا يزال يتكلم به ملايين البشر ، ويحمل كنوزًا غنية من الثقافة والأدب ، وبعضها ميت عفت أثاره بذهاب الأيام ، وأول من أطلق هذه التسمية (اللغات السَّامية) هو الألماني (شلوزر) ، مستندًا إلى التقسيم الخاص بالتوراة .

---

(١) واختلف الباحثون في تعيين الوطن الأصلي للغة السامية ، فمنهم من رآه الجنوب الغربي من شبه الجزيرة (اليمن) ، لخصبه ولأن الهجرات القديمة كانت من الجزيرة العربية إلى البلاد الأخرى ، وقيل: جنوب العراق مستندًا إلى نص التوراة على أن أقدم ناحية عمرها بنو نوح هي أرض بابل ، ولخصوبة أرض العراق وقدم التاريخ ، وأن اللغات السامية تشترك في كثير من الألفاظ التي تتعلق بالعمران والحيوان والنبات ، وقيل: بلاد كنعان هي المهد الأصلي للأقوام السامية بدليل أن هذه الأقوام كانت منتشرة في البلاد السورية القديمة منذ أزمنة متوغلة في القدم ، وقيل : إن الساميين نشأوا في أرمينية ، لوجود جبال أرارات فيها ، وهو المكان الذي رست فيه سفينة نوح علي الأرجح ، وقيل : إن الحبشة أو شمال أفريقية هي موطن المسلمين الأول وذلك لوجود صلات لغوية قوية بين اللغات السامية والحامية .

وكما اختلفوا في بيان مهد السامية الأول ، فقد اختلفوا في بيان(تعيين) اللغة السامية الأولى ، فقيل : العبرية هي اللغة السامية الأم ، بل هي أقدم لغة في العالم ، وقيل : الآشورية البابلية ، وقيل : اللغة العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة .

ثانياً : ومن المعروف أن اللغة السامية الأم ، انقسمت إلى مجموعتين من اللغات : وتشمل اللغة السامية الغربية الشمالية : اللغة الكنعانية ، والفينيقية ، والعبرية القديمة التي تعد أهم اللهجات الكنعانية وأوسعها انتشارًا ، وأكثرها استعمالاً في الدين والأدب والتاريخ والفلسفة والعلوم .

والفينيقية سادت في المدن الساحلية لبلاد الشام ، مثل : جبيل وصور وصيدا ، وانتشر في قرطاجنة شمال أفريقيا من القرن ال٦ ق.م ، واستمرت هناك حتى الفتح الإسلامي .

أما المؤابية فتنسب إلى مؤاب – شرق الأردن ، وترجع إلى منتصف القرن ال٩ ق.م .

أما اللغة الآرامية فهي : إحدى اللغات السامية الغربية الشمالية ، ويمثلها الشعب الآرامي المهاجر من الجزيرة إلى أرض بابل و آشور وسوريا وفلسطين حوالي القرن ال١٥ ق.م .

ثم انقسمت مواطن الآرامية إلى قسمين :

أحدهما في الشمال الغربي على حدود البلاد الكنعانية .

والأخرى في الشرق على حدود باب وآشور بالعراق ونذكر منها : آرامية النقوش ، وآرامية الدولة ، وآرامية العهد القديم (اليهودية ، وتسمى هذه بالآرامية القديمة ، ثم الآرامية الشرقية (آرامية التلمود البابلي – وآرامية الصابئة أهل كتاب – واللغة السريانية) ، ثم الآرامية الغربية (النبطية ، والتذمرية ، والمسيحية ، ونصاري فلسطين)

وقد اشتبكت الآرامية مع لغات سكان المناطق الأصلية وانتصرت عليها ، واستفادت من آدابها وثقافاتها وصناعاتها .

واقتحمت الآرامية على الأكادية وقضت عليها في منتصف القرن ال٤ق.م ، كما اشتبكت مع لغات الكنعانيين ، وقضت على العبرية في القرن ال٤ ق.م ، وعلى الفينيقية في القرن الأول ق.م وذلك دليل على قوة اللغة الآرامية .

ونظرًا لاتساع المناطق التي استقرت فيها الآرامية فقد تفرعت إلى عدة لهجات ، منها :

١- من أهم اللهجات الشمالية الغربية :اللهجة التذمرية ، والنبطية [١] والآرامية الفلسطينية الحديثة .

٢- من أهم اللهجات الشرقية : الآرامية اليهودية جنوب العراق في بابل ، وشمال العراق في حران ، وهي أهم مراكز الثقافة الآرامية .

وتشمل اللهجات الشرقية ، اللغة السريانية في شمال حران ، وعرفت عند العرب ب"الرها " وهي من أهم مراكز الثقافة المسيحية في القرن الثاني الميلادي .

---

(١) النبطية : لغة النبط ، أو الأنباط ، والنبط شعب عربي يعيش في أقصى شبه الجزيرة العربية ، وفي جنوب بادية الشام ، وقد عرفت لغتهم من خلال نقوش تمتد حتى أواخر القرن الثالث الميلادي ، ويذكر التاريخ دورهم في الحضارة العربية فهم أول شعب عربي كتب ، وإنهم طوروا الكتابة الفينيقية من حروف منفصلة إلى متصلة ، فقد أراحوا الكتاب من كتابة كل حرف على حده ، أو وضع خطوط رأسية ، أو علامات لتحديد حدود كل كلمة ، أو ترك مسافات بيضاء بين كل كلمة وأخرى ،

انظر : دراسات في اللغة العربية – د / فتحي محمد جمعة – ص ٣٢ ، ٣٣ نقلًا من كتاب اللغة العربية – د / محمود فهمي حجازي – ص ١٨١

والشرقية تضم اللغات البابلية الآشورية أو الأكادية أو المسمارية ، نسبة إلى بلاد أكاد ، أو لأنها كتبت بالخط المسماري ذي الزوايا ، ولغات غربية تفرعت منها الآرامية والكنعانية والعربية ، ثم انقسمت العربية إلى عربية جنوبية وعربية شمالية ، وانقسمت العربية الجنوبية إلى لغات :معينية ، وسبئية ، وحضرمية ، وقتبانية ، وحبشية [١] .

ثانيًا : اللغة السامية الغربية الجنوبية : وتشمل :

اللغة العربية ، واليمنية القديمة وهي تشمل "المعينية ، والسبئية ، والحميرية "

واللغات الحبشية السامية وتشمل : اللغة " الجعزية ، واللغة الأمهرية ، واللغة التيجرية ، واللغة الجوارجية ، واللغة الهررية [٢] وكلها في الحبشة وما تاخمها.

وانقسمت العربية الشمالية إلى : عربية بائدة ويتكلم بها عشائر عربية (شمال الحجاز) ، وتشمل اللغات اللحيانية والثمودية والصفوية [٣] ، وقد بادت هذه اللهجات قبل الإسلام .

وعربية باقية وتشمل : لغة تميم ، ولغة الحجاز ، ولا تزال تستخدم في كل الوطن العربي كلغة أدب وكتابة وتأليف ، وقد انتشرت هذه اللغة في الحجاز ونجد واليمن وفلسطين والعراق ولبنان وبلاد المغرب والسودان وبلاد الشام ومصر وغيرها .

۞ وكلمتا (عربي ، وأعرابي) نجد أن المعاجم تفرق بينهما فتخص الأولى بسكان المدن ، والثانية بسكان البادية ، وإن كان ذلك قد حدث في عصر قريب من الإسلام لكن قبل ذلك كانت كلمتا (عَرَب ، أو عُرْب) تطلق على نوع خاص من القبائل بالبادية وهو نوع متنقل تبعًا لمساقط الغيث ومنابت الأعشاب والكلأ ، وأن لقظ (عربي) لم يكن يدل على لغة العرب ، بل على قبائل معينة ، ثم لما شاعت لغة شمال الجزيرة التي كان أغلب عناصرها من الأعراب سميت اللغة باسم هذه الطوائف البدوية في العصور القريبة من الإسلام .

---

(١) السبئية : هي لغة مملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم ، وهي أكثر لهجات اليمن انتشارًا ، والمعينية : هي لغة منطقة معين باليمن ، وترجع نقوشها إلى ما قبل الميلاد والقتبانية : نسبة إلى مملكة قتبان ، في وادي بيجان ، وحريب ، والحضرمية :نسبة إلى حضرموت .

(٢) الجعزية: هي اللغة السامية في الحبشة ،ومن لهجاتها :

أ- الأمهرية : وهي اللغة الرسمية في الحبشة ، وهي الآن لغة الصحف ، والكتب المدرسية ، ويتكلم بها أكثر من ثلاثة مليون مواطن

ب- التجرينية : وتعد أقرب لغات الحبشة من لغة الجعز القديمة ، وقد أعلنت كلغة رسمية في دستور أريتريا ١٩٥٢م ، ويتكلم بها نحو مليون

ج-اللغة الهررية ، ويتكلم بها سكان مدينة هرر ، وكلهم من المسلمين .

(٣) اللحيانية وهي : اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان التي كانت تسكن منطقة العلا ، وشمال الحجاز ، ويرجع اكتشافها ما بين ٤٠٠، ٢٠٠ق.م ، والصفوية هي اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفاة (شرقي دمشق والخط الصفوي شبيه بالخط الثمودي والثمودية : نسبة إلى قبائل ثمود وقد عثر على حوالي ألفي نقش من هذه اللهجة معظمها في الحجاز ونجد ، وعثر على بعضها في الصفاة (شرقي دمشق) وسيناء .

وقيل : إن كلمة (عرب) كانت مستعملة في اللغة العربية القديمة لتدل على أهل العربية (أي الصحراء) ، في حين كان لأهل المدن أسماء أخرى ، كلمتا (عبري ، وعربي) مشتقتان من ثلاثي واحد (عَبَرَ) وتؤديان المعنى نفسه [١] .

ويرى المستشرق " إسرائيل ولفنسون " أن من الخطأ تقسيم اللهجات العربية إلى لهجات شمالية وأخرى جنوبية على أساس أنه ليس تقسيمًا جغرافيًا صحيحًا ولا تاريخيًا دقيقًا ، فلا فواصل ولا حدود تفصل شمال الجزيرة عن جنوبها ، ويرى من الأصوب تقسيم اللهجات العربية إلى بائدة وباقية ، ولكن المهم في النهاية أن نصل إلى نتيجة واحدة ، وهي أن اللهجات العربية القديمة انقسمت إلى عربية بائدة ، وهي ما تسمى " عربية النقوش " [٢] .

- هذا وقد دلت الدراسات التي أجريت على هذه النقوش أن هذه اللهجات أقرب لهجات العربية البائدة إلى العربية الفصحى ، وأن خطوطها قريبة من الخط المسند ، أو مشتقة منه ، وأن خطنا العربي الشمالي المستعمل حتى الآن مشتق من الخط النبطي ، كما دلت عليه نقوش " أم الجمال الأول (منتصف القرن ٣م) والنمارة (٣٢٨م) ، وزيد (٥١٢م) ، وحران (٥٦٨م) ، وأم الجمال الثاني (القرن السادس الميلادي) .

وتشترك اللغات السامية بعدة مميزات عن سائر مجموعات اللغات ومن أهمها : –

اعتمادها في الكتابة على الحروف الصامتة دون الصائتة ، وتشابهها في تكوين الاسم من حيث عدده ونوعه ، وفي تكوين الفعل من حيث زمنه وتجرده وزيادته وصحته وعلته ، كما ترجع معظم كلماتها إلى أصل ذي ثلاثة أحرف ، وتختص بالحرفين الحلقيين : الحاء والعين ، وبحروف الإطباق : الصاد والضاد والطاء والظاء، وتكاد تخلوا من الأسماء المركبة تركيبًا مزجيًا إلا في ألفاظ العدد ، نحو : خمسة عشر ، بخلاف اللغات الآرية ، كذلك تتشابه في الضمائر وطريقة اتصالها بالأسماء والأفعال والحروف ، وفي صوغ الجمل وتركيبها ، وفي المشتقات ، وفي كثير من المفردات وبخاصة الدالة على أعضاء الجسم ، وصلة القرابة ، والعدد وبعض الأفعال ، وهذا يدل على وحدة أصلها .

ومع شدة القرابة بين اللغات السَّامية فإنها تختلف عن بعضها في بعض الأمور ومنها :

---

(١) انظر : تاريخ اللغات السامية – لإسرائيل ولفنسون – ص ١٤٦ : ١٦٥ ، وفقه اللغة العربية وخصائصها – د / إميل بديع يعقوب – ص ١١٦ ، ١١٧.

(٢) حيث وصلتنا عن طريق نقوش عثر عليها ف شمال الحجاز ، وقد صبغت هذه اللهجات العربية الجنوبية البائدة بالحضارة الآرامية ، فاستعملت حرفًا قريبًا من الخط المسند حيث إن حروفه تستند إلى أعمدة ، ويمتاز بالتناسق الهندسي الجميل ، ودونت تاريخها بتاريخ بصري " يبدأ هذا التاريخ سنة ١٠٦ للميلاد ، وهو تاريخ دمار مملكة النبط وقد أرخ شاهد قبر " أمريء القيس بن عمرو " ، كما دونت بحرب النبط وحرب الفرس والروم ، كما ظهر من خلال النقوش أن لهجات العربية الشمالية البائدة تأثرت بالحضارة النبطية ، فكتبت بخط نبطي أو خط قريب منه ، ومن هذه اللهجات : الثمودية والصفوية واللحيانية ، وقد تحدثت عنها من قبل بإيجاز .

١-أن (أل) وهي أداة التعريف في العربية وتوضع في أول الاسم ، وفي العبرية (الهاء) في أول الاسم ، وفي الآرامية حرف (آ) في آخر الكلمة ،
أما في اللغة الآشورية والحبشية فلا توجد أداة تعريف مطلقًا ، وفي السبئية حرف (النون) في آخر الكلمة .

٢-علامة الجمع في العربية (واو ، نون) لجمع المذكر السالم في حالة الرفع ، و(الياء ، والنون) لهذا الجمع في حالة النصب ، وتحذف هذه النون عند الإضافة ، كما توضع (الألف والتاء) لجمع المؤنث السالم ، أما علامة الجمع في العبرية فهي حرفًا (يم) للمذكر ، و (واو ، تاء) للمؤنث ، وفي الآرامية علامة الجمع حرف (ين) .

٣-أن الأصوات العربية ، ذ ، غ ، ظ ، ض ، لا وجود لها في العبرية ، والصوتين العبريين ، (ب – أ) ، (ف ، ٧) لا وجود لهما في العربية ، ولا وجود لأصوات : (ع ، ق ، س) في البابلية ، وأغلب ما يأتي في العبرية بالسين يأتي في العربية والحبشية بالشين ، والعكس بالعكس [١]
لذا ذهبت بعض النظريات إلى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية في اللغة السامية الأم ، وهي أرجح النظريات جميعًا لدى الباحثين ، لأنها احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى ، ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات السامية ، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل ، وفيها صيغ كثيرة لجموع التكسير ، وغير ذلك من ظواهر لغوية ، يؤكد لنا الدارسون أنها كانت رائدة في السامية الأولى التي انحدرت منها كل اللغات السامية المعروفة لنا الآن [٢] .

الخصائص المشتركة في اللغة السامية ؟

تتفق السامية في مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وأهم هذه الخصائص :

١-وجود مجموعة أصوات الحلق : (العين والحاء والغين والخاء والهاء والهمزة) في اللغات السامية ، وهذه المجموعة بشكلها موجودة في اللغة العربية ، وقد حدثت بعض التغيرات أدت إلى تداخل بعض هذه الأصوات ، كما في العبرية حيث حل فيها صوت العين محل العين والغين ، أي أن الصوتين تحولا في العبرية إلى صوت واحد ، بمعنى أن الكلمات التي توجد في العبرية يمكن أن يقابلها في العربية من الناحية الاشتقاقية كلمات تضم صوت العين أو صوت الغين .
كذلك وجود مجموعة أصوات الأطباق ، مثل : (القاف والضاد والطاء) وهذه الأصوات الحلقية .أو أصوات الأطباق كونها في اللغات السامية تكون وحدات صوتية متميزة ، فإذا وجدت في غير السامية فهي مجرد وسيلة نطقية لإبراز نطق الحركة .

---

(١) انظر : فقه اللغة – د / علي عبد الواحد وافي – ص ٢٢.

(٢) انظر : في اللهجات العربية ، د / إبراهيم أنيس – ص ٣٣ – ط٣ – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٢م.

٢-وتشترك هذه الأصوات (المطبقة) من الناحية النطقية في ارتفاع اللسان درجة أثناء النطق بها مع اتخاذه شكلًا مفعرًا ، والأصوات المطبقة في العربية هي : (الصاد والطاء والضاد والظاء) وقد عرفتها السامية الأم على نحو وجودها في العربية والعربية الجنوبية القديمة ، والعربية الشمالية ، أما في اللغات السامية الأخرى فتوجد أصوات الأطباق في عدد أقل ، فالعبرية تعرف الصاد في نطقه مقابلا اشتقاقيا لثلاثة أصوات عربية هي : الصاد والضاد والظاء ، وبذلك حل صوت واحد في العبرية محل ثلاثة أصوات في العربية ، ونفس الوضع في الأكادية ، وتحولت الضاد في العربية إلى قاف ثم إلى عين في اللغة الآرامية ،ومع ذلك فإن أصوات الأطباق الموجودة في العربية تعد امتدادًا مباشرًا لأصوات الأطباق الموجودة في اللغة السامية الأولى ، وهذه التحولات تسمى ب (القوانين الصوتية) .

٣-يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساس الصوامت والوزن ، فمثلا : الكلمات : (فعل ، وفعل ، وفاعل) يرتبط معناها الأساسي بالفاء والعين واللام ، والكلمات : (كتب ومكتب وكتابة) يرتبط معناها بالكاف والثاء والباء ، والكلمات : (علم وعالم وعلم) يرتبط معناها بالعين واللام والميم ، أما الوزن : فاعل فيحدد المعنى الدقيق للكلمة حيث يدل على من قام بالفعل – وعليه نجد اتفاقًا بين الكلمات : كاتب ، وضارب ، وعامل ، لاتفاق وزنها .

وهكذا يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساسين متكاملين : المادة اللغوية والوزن .

٤-كما تصنف الأسماء في اللغات السامية وفق معايير ثابتة كالعدد (إفراد وتثنية وجمع) ، وكالحالة الإعرابية (رفع ونصب وجر) ، وكالجنس (مذكر ومؤنث) ، ولا يعكس هذا التقسيم في العربية مثلا منطلقا عاما يسري على كل اللغات ، فهناك لغات تصف الأسماء إلى أربع صيغ، فلكل لغة نمطها الخاص بذلك[١] .

٥-كما تصنف اللغات السامية الفعل إلى : ماض ومضارع وأمر كما في العربية واللغات السامية القديمة في الشام والحبشة ، وفي الأكادية أكثر من ذلك ...وإن كان للعربية القدرة على التعبير عن الزمن متنوعة ، فيعبر الفعل الماضي عن الحاضر أو المستقبل ، كجملة الشرط : إن كتب كتبت ، والمضارع يعبر بالصيغ المركبة عن الحدث الذي استمر في الماضي ، مثل كان يكتب .

٦-تشترك اللغات السامية في عدد كبير من المفردات الأساسية المشتركة ويمكن تقسيم هذه المفردات إلى المجموعات التالية : -

- ألفاظ خاصة بجسم الإنسان (رأس – عين – يد – رجل – شعر) .
- ألفاظ خاصة بالنبات والحيوان (قمح –سنبلة – كلب – ذئب) .
- بعض الأفعال الأساسية (ولد – مات – قام – زرع) .
- الأعداد الأساسية(من اثنين حتى عشرة) .

---

(١) انظر : علم اللغة العربية – د / محمود فهمي حجازي – ص ١٤٤ – ط ١٩٩٢ – دار الثقافة بمصر .

- **حروف الجر الأساسية (من – على – في) .**

وإن كانت تختلف في دلالتها من لغة وأخرى ، ولكن المقصود أن هذه الألفاظ ترجع إلى أصل اشتقاقي واحد في اللغة السامية الأولى .

فمثلًا : " هلك " في العربية تدل على الذهاب إلى العالم الآخر ، وهالخ في العبرية تدل على مطلق الذهاب : للمدرسة ، للعمل ...إلخ ومع اختلاف الدلالة فإن كلا الفعلين يرجع إلى المادة السامية المشتركة (هـ ل ك) ، ولكن ثمة خلافًا بين معناهما في اللغتين .

وكلمة (لحم) في العربية تختلف عن معنى لحم في العبرية ، فهي في العبرية بمعنى الخبز ، رغم أن الاشتقاق من أصل واحد.

وفوق هذا فإنه من الممكن للباحث في اللغات السامية التعرف على المواد اللغوية المشتركة في كل هذه اللغات ، والتي قامت اللغات السامية المختلفة بالإفادة منها لتكوين كلماتها الكثيرة المتجددة .

إن المنهج المقارن يفترض أن الظواهر المشتركة في كل اللغات السامية أو في أكثر اللغات السامية ظواهر موروثة عن اللغة السامية الأولى ، يصدق هذا على الأصوات وعلى الأبنية الصرفية وعلى أبنية الجمل وعلى المفردات أيضًا ، فتلك الظواهر المشتركة ميراث سام قديم ، أضافت إليه كل لغة من اللغات السامية على مر الزمن .

وليس من المفيد كثرة الجدل حول مهد هذه اللغة السامية الأولى التي سبقت اللغات السامية المختلفة في الوجود ، وكذلك الآراء التي قيلت في ذلك والتي تتلخص في افتراض أن الساميين عاشوا في اليمن ، أو في شمال جزيرة العرب ، أو في العراق ، أو في الحبشة ...

والغالب أن أبناء اللغة السامية الأولى كانوا في بيئة تعرف قدرًا من الزراعة ، وقدرًا من الرعي ، لوجود قدر كبير من الألفاظ الزراعية والرعوية المشتركة في اللغات السامية .

وإذا صح لنا أن نفترض كما ذكرت من قبل أن الجماعة اللغوية السامية الأولى قد عاشت في شمال الجزيرة العربية وبادية الشام والعراق فإن الهجرات التي خرجت من مهد الساميين قد اتجهت في موجات تاريخية متتالية إلى منطقة الوافدين وإلى أرض الشام وإلى اليمن والحبشة ، وفي هذه المناطق تكونت اللغات السامية المختلفة ، ولا شك أن درجة التقارب بين اللغات السامية المختلفة تجعلها تشكل فرعًا واحدًا في إطار الأسرة الأفرو أسيوية ، ومعنى هذا أن اللغة العربية أقرب إلى اللغة العبرية أو اللغة الأكادية منها إلى لغة الهوسا .

فالعربية والعبرية والأكادية من الفرع السامي ، ولغة الهوسا من الفرع التشادي ، والفرع السامي والفرع التشادي يدخلان في الأسرة الأفرو أسيوية .

ومما سبق نستخلص ما يلي : -

١-أن اللغات السامية قسمت في القرن ١٩ على أيدي اللغويين الأوربيين مجموعات أسرية فهناك أسرة اللغات الهندية – الأوربية التي تضم عددًا كبيرًا من اللغات المنتشرة في منطقة شاسعة من الهند وإيران إلى أوربا ... وهناك الأسرة السامية التي تنتمي إليها اللغة العربية ، وأسرات لغات كثيرة أخرى ، ويقوم تصنيف هذه اللغات إلى أسرات على أساس أوجه الشبه بين هذه اللغات من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية التي قد تتغير من لغة لأخرى تبعًا لقانون التطور عن اللغة الأم التي انحدرت عنها ، وقد يسجل اللغويون هذا التغير في قوانين تفسر التغير الصوتي ، وتسمى (القوانين الصوتية) كذلك بالنسبة للتغير الصرفي والدلالي ، وهنا تكون المقارنة بين اللغات في الأسرة الواحدة موضوعًا من موضوعات البحث المقارن .

٢-أن تصنيف اللغات إلى أسرات يعني أن اللغات المندرجة في أسرة لغوية واحدة ترجع إلى لغة واحدة وتفرعت هذه اللغات عن هذه اللغة باعتبارها الأصل ، فالعربية والآرامية – مثلًا – لغتان ساميتان – أي أنهما من أصل واحد وأنهما تطورتا عن لغة واحدة هي اللغة السامية الأولى ، وإن كان وجود هذه اللغة في عصور مفرقة في القدم لتفسير انتماء اللغات العربية والآرامية والحبشية .... إلخ إلى أسرة لغوية واحدة .

أما إذا ذكر الباحثون أن اللغتين العربية والفارسية من أصلين مختلفين فالعربية سامية ، والفارسية هندية – أوربية فيعني أن كليهما تطورتا عن أصل مستقل و أنهما في ذلك من أسرتين لغويتين مختلفتين ، وتكون الفارسية مع عدد من اللغات في الهند و أوربا أسرة لغوية كبيرة هي الأسرة الهندية – الأوربية ، ومن هنا أدت الدراسة اللغوية المقارنة في القرن ال١٩ إلى تصنيف اللغات على أساس أوجه الشبه بينها ، وكلما زادت أوجه الشبه بين لغتين أو أكثر ، عدت هذه اللغات الأكثر تشابهًا فرعًا لغويًا في إطار الأسرة اللغوية الواحدة – وبهذا المعنى يذكر الباحثون العربية الشمالية والجنوبية ، واللغات السامية في الحبشة باعتبارها تكون الفرع الجنوبي من أسرة اللغات السامية ، لأن هذه اللغات أكثر تشابهًا ، وتشترك في صفات أكثر من الصفات التي تشترك فيها مع باقي اللغات السامية ، وتنقسم الأسرة الهندية – الأوربية بدورها إلى عدة أفرع ، وقد أمكن عن طريق مقارنة اللغات الأقدم في كل فرع من أفرع هذه الأسرة إثبات أن هذه اللغات من أصل واحد هو اللغة الهندية – الأوربية الأولى ، وكانت مهمة البحث بعد ذلك بيان أوجه الاختلاف بين هذه اللغات وتفسير ذلك بقوانين تاريخية [١] .

٣-يقوم علم اللغة المقارن على دراسة مجموعة اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ، وبحث هذه اللغات ، وهنا لابد من ضرورة معرفة الباحث المقارن بكل اللغات موضع المقارنة ، فعليه أن يبحث بنية ومعجم هذه اللغات بهدف إيضاح العلاقات التاريخية التي تربط لغات الأسرة الواحدة ، وأن يفسر هذه العلاقات بقوانين ثابتة مطردة .

([١])انظر : علم اللغة العربية – د / محمود فهمي حجازي ص ١١٩ ، ١٢١.

٤-أما عن العرب واللغات الأجنبية ، فإنه وفق إطار الحضارة العربية الإسلامية كان كثير من النحويين واللغويين يؤلفون بالعربية ، ويعرفون الفارسية أو التركية ، فسيبويه صاحب أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي كان يعرف الفارسية ، والسيرافي مؤلف أقدم شرح وصل إلينا على كتاب سيبويه نشأ أيضًا بيئة لغوية فارسية ، وأبو الفرج بن العبري (ت ١٢٨٦م)فقد كان عارف بالعبرية ، مؤلفا بالسريانية والعربية ، وكان مؤرخا ولغويا اهتم بجهود النحاة العرب ، ودرس " المفصل " للزمخشري ، وألف في النحو السرياني على غرار المفصل ودرس النحاة اليهود في الأندلس الإسلامي النحو العربي ، وألفوا نحوًا للعبرية على أساس معرفتهم بمنهج التحليل النحوي عند العرب .

وإلى جانب هؤلاء جميعا كان النحوي العربي " أثير الدين بن حيان " رائد التأليف في النحو التركي ، وربما كان أيضًا أول مؤلف في النحو الحبشي وفوق هذا فقد عرف ابن" حزم " القرابة اللغوية بين العربية والعبرية ، وللسريانية وشبه هذه القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة .

هكذا أتيح لبعض النحاة والمفكرين في الدولة الإسلامية أن يعرفوا لغات متشابهة ومن أصل واحد مثل العربية والعبرية والسريانية ، وأن يعرف بعضهم إلى جانب العربية لغات أخرى تختلف بنيتها عن بنية اللغات السامية مثل اللغة الفارسية وهي لغة هندية – أوربية ، واللغة التركية تنتمي إلى مجموعة لغوية أخرى .

٥-بدأت أقدم محاولات الباحثين الأوربيين للتعرف على علاقات القرابة بين اللغات في القرن ١٤ الميلادي ، حيث أدرك (دانتي) ١٢٦٥-١٣٢١م ببحث عدد من المفردات في اللغات الأسبانية و البرفسالية والفرنسية والإيطالية أن هذه اللغات ترجع إلى أصل واحد ، ولم يجعلها متفرعة عن اللاتينية .

لاعتقاده أنها مصنوعة من جانب العلماء ليتعاملوا بها ، وأنها لم تكن لغة حية طبيعية في وقت من الأوقات .

وهنا نلحظ أن (دانتي) صنف هذه اللغات في إطار واحد ، وأن البحث العلمي أثبت خطأ رأيه موضحًا أن اللغات الرومانية المختلفة إنما تطورت عن أصل واحد هو اللاتينية الشعبية في صورتها المنطوقة ، وهناك محاولات كثيرة تالية لتصنيف اللغات الأوربية المختلفة في مجموعات ويرجع قصور هذه المحاولات إلى قيامها على دراسة المفردات ، ولم تقم على دراسة البنية الصوتية والصرفية والنحوية .

❁ ومن هذه المحاولات محاولة " سكا ليجر " (١٥٤٠ – ١٦٠٩ م) حيث صنف اللغات الأوربية إلى أربع مجموعات رئيسية ، وأطلق على كل مجموعة مصطلح اللغة الأم ، وهي المجموعة الرومانية والجرمانية والسلافية ، ثم سبع مجموعات فرعية تدخل فيها باقي لغات القارة الأوربية ، وتدخل الفنلندية والمجرية وهما من غير اللغات الهندية – الأوربية في هذه المجموعة الفرعية .

وهذا التقسيم وغيره حتى القرن ال ١٧ م لم يتجاوز مجرد التصنيف ، فلم يتجاوز تصنيف المفردات بعيدين عن البحث عن المراحل الأقدم لهذه اللغات من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية ، فكان عملهم مجرد ملاحظات جزئية كثيرة لم يخرجوا منها بقواعد عامة أو بقوانين توضح الفروق بين اللغات الأقدم والأحدث ، وتفسر مسار التغير اللغوي ، ولم يحاولوا استنتاج العلاقات القديمة ، ثم المغرقة في القدم بين هذه اللغات ، وظلوا مأسورين للفكرة الموروثة قديمًا (العبرية هي أصل لغات الأرض) – مما أعاق جهود هؤلاء العلماء في أن ينظروا للمراحل الموغلة في القدم في تاريخ اللغات ...

٦-تقدم علم اللغة المقارن في بداية القرن ال١٩ بعد اكتشاف الأوربيين اللغة السنسكريتية (وهي لغة تراث الهند القديم) ، وما زال العلماء الهنود يقرأون نصوصها ويؤلفون بها ، ولاحظ اللغويون الأوربيون الشبه الواضح بينها وبين اللغات الأوربية القديمة من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، وقاموا باستنتاج القوانين التاريخية للتغير اللغوي.

وكان العالم " شليجل " أول من طالب بدراسة البنية اللغوية للغة السنسكريتية باعتبارها منطلقا للمقارنات اللغوية ، ورأى " فردريخ شليجل " أن اللغات الأوربية القديمة كالإغريقية واللاتينية والجرمانية من أصل سنسكريتي .

هذا وقد أحرز علم اللغة المقارن بعد " شليجل " تقدمًا مطردًا حقق للبحث اللغوي درجة من الدقة والعلمية ، فألف " فرانتس بوب " – ١٨٣٣-١٨٥١م كتابًا جادًا في علم اللغة المقارن (النحو المقارن) محاولًا إعادة تكوين اللغة الهندية الأوربية الأولى ، ومستخرجًا ملامحها اعتمادًا على مقارنة اللغات الأوربية المختلفة والمضي من

المراحل القديمة إلى المراحل الأقدم في محاولة للتعرف على اللغة الأقدم التي خرجت عنها كل هذه اللغات ، وهو بهذا يختلف تمامًا عن " شيليجل " الذي يرى أن السنسكريتية هي أصل كل اللغات الهندية – الأوربية .

فدرس " بوب " ومن بعده اللهجات الحديثة في إطار علم اللغة المقارن لا باعتبارها هدفًا في ذاتها أو موضوعًا متكاملًا في ذاته ، بل باعتبارها أداة توضح جوانب من التاريخ اللغوي القديم ، أي أنها كانت وسيلة لفهم الماضي .

هذا وقد دخل علم اللغة المقارن منتصف القرن ال١٩ م مرحلة جديدة ، فقد اهتم البحث اللغوي بالعلمية وتطوير المناهج الدقيقة في التصنيف والتفسير واستخراج القوانين الدقيقة .

❁ ويعد كتاب " شلايشر " في النحو المقارن للغات الهندية – الأوربية من أهم الكتب التي جعلت من علم اللغة علمًا دقيقًا يحاول تفسير التغير بقوانين واضحة ، وكان لهذا الكتاب أثر مباشر في

قيام مدرسة النحاة الشبان [١] ، وينتمي إليها أهم اللغويين الألمان في الثلث الأخير من القرن ال١٩ وأوائل القرن العشرين من أمثال : لسكين ، وأوستهوف " ولد ١٨٤٧م " وبروجمان " ولد ١٨٤٩م " في مجال علم اللغات الهندية الأوربية ، وتبعهم نولدكه ، وبروكلمان في مجال علم اللغات السامية .

الخصائص المميزة للغات السامية عن الهندأوربية

١-معظم كلماتها ذات أصل واحد .

٢-تختص بحروف لا توجد في غيرها من اللغات الأخرى ، كحرف الحاء – الخاء – الضاد – الطاء – والظاء .

٣-الضمائر في اللغات السامية متصلة ومنفصلة ، بينما في اللغات الهندو– أوربية لا تعرف إلا المنفصلة .

٤-يتميز المذكر من المؤنث في السامية بوجود التاء الفارقة – بينما اللغات الهندو – أوربية توجد أدوات تسبق الكلمة لتميز المؤنث من المذكر.

٥-تتفق فيما بينها بعدد من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .

٦-تتميز العربية بالقوة والإيجاز والدقة والمحافظة ، واتساع ثرواتها اللفظية ، وقواعدها الإعرابية الدقيقة ، واشتمالها على جميع الأصول السامية وزيادة .

٧-الجملة في اللغات السامية بسيطة التركيب بصفة عامة ، قصيرة متواصلة بواسطة حروف العطف غالبًا ، بخلاف اللغات الأوربية المعقدة التركيب التي تصل فيها الجملة الواحدة إلى خمسة أسطر .

٨-يراعى في الجر بالإضافة أن يكون المضاف خاليًا من أداة التعريف .

٩-يحدث في الغالب تأنيث الاسم والصفة في اللغة السامية بإضافة تاء إلى مذكر

١٠- تتميز في الجانب النحوي بظاهرة الإعراب ، والتمييز بين الجمل الفعلية والاسمية في التراكيب .

١١- طريقة الساميين في بناء الكلمات قياسية مطردة في معظمها .

١٢- اللغات السامية لا تعرف الكلمات المركبة أسماء وأفعالًا على نحو ما يعرف في مجموعة اللغات الأوربية .

---

(١) قامت هذه المدرسة على المنهج العلمي الدقيق مستفيدة من التقدم المنهجي في العلوم الطبيعية ، محاولة استخراج القوانين المفسرة للتغير اللغوي كالقوانين الصوتية ، وأفادت في مجال اللغات الشرقية أيضًا من الكشوف الأثرية الكثيرة التي ثمت في القرن ال ١٩ ، وأماطت اللثام عن لغات قديمة بائدة ، كما أفادت من حركة تحقيق النصوص القديمة في بحث اللغات ، وتوصلوا عن طريق هذا كله إلى منهج دقيق يهدف عن طريق القوانين التاريخية إلى تفسير العلاقات بين اللغات والمستويات اللغوية المختلفة القديمة والحديثة في إطار الأسرة اللغوية الواحدة ، وفي ظل هذه الظروف نشأ علم اللغة المقارن في اللغات الهندية الأوربية ، ثم في باقي الأسرات اللغوية .

١٣- تعرف اللغات السامية نوعًا خاصًا من الجمع وهو جمع التكسير الذي يصاغ بتغيير الاسم تغييرًا داخليًا – إما بزيادة الحروف ، نحو : جدار ، وجدران – و إما بنقص الحروف ، نحو : كتاب ، وكتب – وإما بتغيير الحركات وحدها ، نحو : أسد وأسد .

١٤- تشتمل اللغات السامية على مجموعتين صوتيتين لا وجود لنظيرهما في سائر اللغات ، وهما :

أ- الأصوات الحلقية ، نحو : الهمزة ،والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء .

ب- أصوات الإطباق : وهي : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والقاف .

١٥- التغير الحركي في أول ، أو وسط الكلمة يؤدي إلى اختلافات هامة في المعنى ، نحو : كتب – كتب – كاتب – كاتب ...وهكذا

١٦- ثلاثية المواد اللغوية غالبًا ، مع أنها ثنائية غالبًا اللغات الهندو – أوربية .

.....

.....

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٩.٤
الفصل الأول: دراسة تمهيدية " القرآن الكريم واللغة العربية "	١٠ . ١٦
الفصل الثانى : مفاهيم ومصطلحات (اللغة ، والمنهج ، والبحث)	١٧ . ٥١
حاجة الإنسان إلى اللغة	٢٤
وظائف اللغة	٢٦
خصائص اللغة الإنسانيّة	٢٩
اللغة المنطوقة ، واللغة المكتوبة	٣٠
اللغة والكلام	٣١
المراحل التى مرت بها نشأة اللغة	٣١
نظريات نشأة اللغة الإنسانية	٣٣
نظرية التوقيف	٣٣
نظرية الإصلاح والمواضعة . محاكاة أصوات الطبيعة	٣٤
نظرية التنفيس عن النفس	٣٥
نظرية الاستعداد الفطرى ، والملاحظة	٣٥
نظرية الأصوات التعجبية العاطفية، والاستجابة الصوتية للحركات ، والنظرية الاجتماعية ، والتطور اللغوى	٣٦
أهمية البحث	٤٩
الفصل الثالث : فقه اللغة . علم اللغة . جهود علماء العربية	٥٢
تمهيد	٥٣
علم اللغة عند علماء اللغة والاجتماع	٦١
الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة	٦٣
الفصل الرابع : علم اللغة (بحوثه ، وفروعه ، ومناهجه ، ومستوياته)	٦٨
تمهيد	٦٩
أهم البحوث اللغوية عند العرب	٧٢

أغراض علم اللغة	٧٩
علم اللغة بين العلوم الأُخرى	٧٩
مناهج علم اللغة	٨٧
مستويات التحليل اللغوى	٩٠
أثر السنسكريتية فى علم اللغة	٩٢
الفصل الخامس: اللغة الإنسانية (تعددها ، وأقسامها ، وأسرها)	٩٤ . ١١٩
الفهرس	١٢٠

استقيتُ مادة هذه الدراسة من كتب أَساتذتى وزملائى الأفاضل وعلماء اللغة الأجلاء عبر كتبهم وأبحاثهم المنشورة والمنتشرة خلال المكتبة الشّاملة ، والمكتبات العامة والخاصة بالكليّات والمعاهد والمدارس ، وعبر الشبكة العالمية العنكبوتيَّة(النت) وما تقدمه من أصناف البحوث في كافّة المجالات اللغويَّة .

" **الحمد لله** : **انتهيتُ من تأليف كتاب** (**علم اللغَة**)..

وأرجو الله أن ينفع به الأُمّة ...